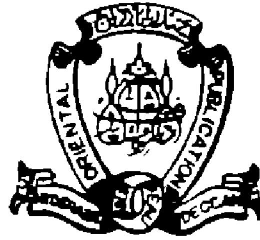
السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٩/١٣/٤



كتاب الالمام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى

(المتوفى بعد سنة ٧٧٥ ﻫ / ١٣٧٢ م)

الجزء الرابع

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة برلين و بانكى پور

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

محامد على العباسى مدير دائرة المعارف العثمانية

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن - الهند

١٣٩٠ ﻫ = ١٩٧٠ م

محتويات الجزء الرابع

من

كتاب الإلمام

موضوع	صفحة
بناء الإسكندرية	١
شجرة نحاس بأرض رومة	٤
تاج أهل مصر	»
الأقاليم السبعة و مدنها	٩
ذكر ملوك الإسلام بمصر بعد الثلاثمائة سنة للهجرة إلى سنة خمس و سبعين و سبعمائة	١٦
الدولة الإخشيدية	»
الدولة الفاطمية	٢١
الدولة الأيوبية	٤٩
المؤلف و ظفر القبرسي بالإسكندرية	٥٠
ذكر الصوفية	٥٣
من أخبار صلاح الدين الأيوبي	٦٢
أبواب القاهرة	٧٤
أخبار الظاهر بيبرس	٧٥

موضوع	صفحة
الإقطاع	٨٠
وقعة بيبرس و محي الدين النووى	٨١
أخبار السلطان قلاون	٨٧
سلطنة الأشرف خليل	٩٣
سلطنة الناصر محمد الأولى	١٠٤
سلطنة العادل زين الدين كتبغا	١٠٥
سلطنة حسام الدين لاجين	١٠٨
سلطنة الناصر محمد الثانية	١١١
سلطنة بيبرس ششنكير	١١٢
سلطنة الناصر محمد الثالثة	»
الزلازل و الطاعون و الأهوية و الفيضان و الغلاء	١٢٤
ذكر محاسن الناصر محمد	١٤٤
الكواكب و الأفلاك و الأبراج	١٥٩
استدارة الأرض و أبعادها	١٦٢
الجبال و البحار و الأنهار و العيون و المدن	١٦٣
خلفاء الناصر محمد	١٦٤
مرثاة الإسكندرية للنستراوى	١٧١
حكايات جرت بالإسكندرية حين الوقعة	١٧٩
فضل الشهادة و الشهداء	١٨٨

في

موضوع	صفحة
فى تلقين الميت و غير ذلك مما يتصل بالموت و القبر	١٩٧
الجسم و النفس و الروح و العقل	٢٣٥
ما قيل فى القلب	٢٤٩
فى اعضاء الجسم البشرى	٢٥٠
فى وظائف الأعضاء	٢٥٣
حمد الله على ثمانية	٢٦٦
وظيفة العين و الأذن و اللسان	»
ما قيل فى الأزمنة و الطبائع	٢٦٧
حكاية تشتمل على فرج بعد حرج	٢٧٣
حكاية قاض من بنى إسرائيل	٢٧٨
حكاية تشتمل على فراق الأحبة	٢٨٢
حكاية العجوز النصرانية	٢٨٦
حكاية تشتمل على غنى بعد فقر	٢٨٩
حكاية حرجة مؤلمة مزعجة	٢٩٠
حكاية تشتمل على فرج بعد أسر	٢٩٣
حكاية المرأة المرتدة	٢٩٥
حكاية المرأة المهتدية	٢٩٨
حكاية مروءة مع تغرير بالنفس	٣٠٢
حكاية تشتمل على قوة قلب و تعزير بالنفس	٣٠٦

موضوع	صفحة
حكاية تشتمل على فزع و جزع و فرج بعد شدة	٣٠٧
حكاية عن الحجاج بن يوسف الثقفى	٣١١
حكاية مؤلمة لقلب امرأة مسلمة	٣٢٦
حكايات فى الودائع	٣٣٠
حكاية فى المخاصمة	٣٣٤
حكاية فقيه و أعرابى بطريق مكة	٣٣٦
حكاية فى تأدية الشهادة	٣٣٨
حكاية رجل و امرأة و بعض المفتيين	٣٤٠
النخعى عن العدة	٣٤٧



بسم الله الرحمن الرحيم

[بناء الاسكندرية]

و لما أراد الإسكندر أن يبنى مدينة يسميها باسمه، اختار مصر. فلما عزم على بناء الإسكندرية دعا ثلاثة نفر من الصناع يولهم بناء المدينة، فجعل أحدهم على أساس المدينة و إحكامها، و ولى الآخر[1] طرق المدينة و نصب أسواقها، و ولى الثالث بناء القصور و الدور. فبلغ ذلك أرسطاطاليس معلم الإسكندر و ما أمر به الإسكندر من بناء المدينة، فأرسل إليه أرسطاطاليس أنه لا ينبغى أن تبنى مدينة على السعة و العظم، فانك لا[2] تجد بدا من أن تسكنها أصنافا[3] من الأمم و اختلاف اللغات، ولست تأمن أن يتمايلوا عليك [4]فيقتلونك أو يخرجونك[4] من المدينة، و أخوف ما يكون ذلك فى يوم عيد[5]. و إذا أردت جمع أهلها لأمر تحدثه فيهم

---

(١) زيد فى بن: بتقويم الآخر بتقويم.

(٢) الكلمة ساقطة من بن.

(٣) فى بن: أصناف.

(٤-٤) فى الأصلين: فيقتلوك أو يخرجوك.

(٥) فى بن: عيده.

لم يجتمعوا إليك أياما ، و لو جعلت شعير البلاد لهم سويقا لم يشبعهم ذلك . فشق ذلك على الإسكندر من رأى أرسطاطاليس و داخله من ذلك هم[١] و فكرة . فدعا إليه رؤساء المنجمين و أهل العلم و الأدب و النظر ، فأعلمهم بما أشار إليه أرسطاطاليس فقالوا له : أيها الملك الرشيد لا يحزنك ذلك [٢١٤ : ب] و لا يهولنك ذلك ، و كن واثقا بها ، و إنها ستكون مدينة عامرة سليمة واسعة العيش ، ذات خصب كثير ، يحمل إليها أهل البلدان تجاراتهم . و ليس أحد من الصناع يعالج فيها صناعة إلا كان عزيزا . فسر ذلك الإسكندر ، و جد فيما أشاروا عليه و عزم على البناء ، و أمر عماله بالجد فى ذلك حرصا على تخليد اسمه ، و بقاء ذكره . حين علم أن لا سبيل إلى تخليد جسمه . و قد كان أناس من الأوائل يخلفون صورهم أصناما عند أهليهم لكيلا تنسى منازل صورهم . و فى رسالة استقراطس عن الإسكندر أن الإسكندرية أقامت حتى كملت بعد الإسكندر فى ثلاثمائة سنة ، و أن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها إلا بخرق سود على وجوههم مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها . و منارتها العجيبة على سرطان [٢] من زجاج [٢] مطل على البحر . و كان فيها سوى أهلها ــ أعنى الإسكندرية ــ مئة ألف من

(١) فى بن : هموم .

(٢–٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .

اليهود خول لأهلها . و قد تقدم ذكر وضع أساس الإسكندرية و هدم الشياطين له حتى احتيل على دفعهم عنه فتمت عمارتها .

و قيل عجائب الدنيا أربعة : مرآة كانت معلقة بمنارة الإسكندرية ، فكان يجلس الجالس عليها فيرى من بالقسطنطينية و بينهما[1] عرض البحر[2] ؛ و صنم من نحاس بأرض الأندلس باسط يديه أى ليس [3] مثلى كمثلك [3] فلا يطأ تلك الأرض أحد إلا ابتلعه[4] ؛ و منارة بأرض عاد فاذا كانت الأشهر الحرم [5]هطل منها الماء فشرب الناس و سقوا و صبوا فى الحياض فاذا ذهبت[6] الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء.

و قد نهى الله تعالى عن الذنوب فى الأشهر الحرم ، لأن العمل الصالح فيها أجره يضاعف ، و كذلك العمل الردئ يضاعف أيضا قال الله تعالى : " ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتب الله يوم خلق السموت و الأرض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم[7] ". و الأشهر الحرم منها شهر فرد و هو رجب و ثلاثة

---

(١) فى بن : و بينها و بينها .

(٢) فى بن : البحار .

(٣–٣) بياض فى بن .

(٤) فى بن : ابتلعته ـ و جائز أن يكون هذا هو الصواب .

(٥) بقية العبارة من هنا ساقطة من بن إلى « انقطع ذلك الماء » .

(٦) فى بر : ذهب.

(٧) قرآن كريم ٩ : ٣٦ .

سرد و هي ذو [1] القعدة و الحجة و المحرم . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ما ورد في فضل شعبان و رمضان و الأشهر الحرم إن شاء الله تعالى – انتهى [2] .

[شجرة نحاس بأرض رومية]

نعود . و بأرض رومية شجرة من نحاس عليها سودانية من نحاس، فاذا كان [٢١٥ : الف] أوان [3] الزيتون صفرت السودانية التي هي [4] من نحاس [4] فتجيء كل سودانية من الطير بثلاث زيتونات ، زيتونتين في رجليها و زيتونة في منقارها ، فتلقيها على تلك السودانية النحاس ، فيعصرون أهل مدينة رومية ما يكفيهم لسرجهم و أدمهم إلى قابل – انتهى [2] .

[نتاج أهل مصر]

فلنذكر الآن نتاج [5] أهل مصر [4] إن شاء الله تعالى [4] ، و لأهل مصر النتاج العجيب من الخيل و البغال ، و الخيل المدربة على الحروب ، و الجوارح المعلمة على الصيد ، ترتفع أقدارها ، و تغالى [6] في أثمانها ، لامتيازها بالفضائل

(١) في بر: ذي – و صوابه في بن كما أوردناه بالنص .

(٢) الكلمة واردة في بن و ساقطة من بر .

(٣) في بن [ص ١٥٨ :الف] : أول .

(٤–٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن نتائج .

(٦) في الأصين : و تغالا .

المكتسبة . و سأذكر[1] لمعا من [2]أخبار الخيل[2] و الجوارح المعلمة و كلاب الصيد فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

و لأهل مصر معدن الزمرد ، و لهم زيت الفجل و البسر و النبق و البيران[3] و النيدة و الجلبان و ذكر أهل العلم أنه ليس يكاد من رهبان الشام إلا أعمش من أكلهم العدس . و رهبان مصر سالمون من ذلك مع أكلهم الجلبان

و لأهل مصر البقر الخيسية المؤبلة لا تعمل و لا تثير الأرض بالحرث بل للحلاب فقط ، و هى أحسن البقر صورا . و بقر مصر العاملة ليس فى الدنيا بقر[4] أعظم منهن خلقا ، و إن[5] العضو منهن يساوى أكثر من ثور من غيرها .

و لأهل مصر حطب الصنط و القرظ الذى تعلفه الدواب . و ذكر بعض أهل العلم أنه يوقد بالحطب الصنط عشرين سنة فى الكانون ، فلا يوجد له رماد[6] طول هذه المدة . و يقد أخضرا و يابسا و هو شجر [7]الخبط و القرظ[7] .

(١) فى بن : و سيأتى .

(٢ - ٢) واردة فى بن و ساقطة من بر . وأضفنا منها واو العطف على الجوارح .

(٣) فى بن : البيراف . و بهامش بر : خصوصيات مصر .

(٤) فى الأصلين : بقرا .

(٥) كذا فى بن ، و هى فى بر بدون واو العطف .

(٦) كذا فى بن ، و هى فى بر : رمادا .

(٧ - ٧) فى بن : القرض والخبط .

و يوجد بمصر فى كل وقت من الزمان من المأكول و الإدام و المشموم و سائر البقول و الخضر جميع ذلك فى الصيف و الشتاء، الا ينقطع منه شيء واحد لبرد و لا لحر. يوجد ذلك كله فى الصيف، و يوجد بقيته فى الشتاء١ غير مفقود منه شيء واحد، و لا ينقطع و لا يتعذر و لا يوجد ذلك فى غيرها.

و من كلام المصريين فى شهور القبط و ما فى كل شهر منها: كُلْ رطب توت، و رمّان بابه، و خروف هاتور، و جدى كيهك، و اشرب ماء طوبه، و اقعد فى شمس امشير، وكُلْ لبن برمهات، و عسل برموده، و تفاح بشنس، و تين بؤنه و ابيب٢، و عنب مسرى.

و مصر فرضة مكة و المدينة و ساحلها و فرضة صنعاء و عدن و عمان و الشحر و الهند و جزيرة سرنديب [٢١٥ : ب] و غيرهم، يجلب إليها الجواهر٣ و الظرائف٤ و الآنية فى البحر حتى توفى٥ المراكب بالقلزم، و هى فرضة بحر الروم من العلايا و أنطاكيا و قسطنطينية و رومة٦ و بلد إفرنجة و طرابلس الغرب و تونس و القيروان و تاهرت و سجلماسة

(١ – ١) ساقطة من بن.
(٢) «و أبيب» ساقط من بر و وارد فى بن.
(٣) فى بن [١٥٨ : الف] : الجوهر.
(٤) فى بن : و الطرائف. و ربما كان أصوب.
(٥) فى بر : توفا. و فى بن : توافى. و هو جائز.
(٦) فى بن : و روميه.

و السوس

و السوس[١] و طنجة و الأندلس و جزائر البحر مثل صقلية و اقريطش و قبرس و رودس و نابل[٢] و غيرها من الجزر . يحمل إلى مصر رقيق هذه البلدان كلها من الجوارى و الغلمان و التاج[٣] و الحديد و النحاس و الفضة البيضاء و الرصاص و القزدير [٤]و الزنجفر و العفص[٤] و خشب البقس و القرو و الصنوبر و الشوح و الصوارى و المجاذيف و المدارى [٥]و خشب النشاب الغشيم[٥] و القطع[٦] و الطوافر[٧] و المرجان و العنبر و الزعفران و الكحل و الزئبق . و لا يحمل الزئبق إلا فى جلود الكلاب لا فى غيرها من الجلود لقوة جلود الكلاب على حمله ، و إذا حمل[٨] فى غيرها من الجلود خرقها و خرج منها لثقله عليها . و كذلك يحمل إلى مصر من جزر البحر الرومى البزاة و الصقور و الشواهين و الكواهى و العقبان

(١) فى بن : والسوسه .

(٢) كذا فى الأصلين ، و ربما كان المقصود إحدى الجزر القريبة منه نابولى Naples و التابعة لها .

(٣) فى بن : و الساج .

(٤ - ٤) فى بن : و الجوخ .

(٥ - ٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٦) فى بن : و القصع .

(٧) فى بن : و الطوافير . و زيد بعدها فى بن : و المبعه .

(٨) فى الأصلين : عمل . و الغالب أنه خطأ قلمى ، و ربما كان استعمالا قديما للفظة « حمل » .

و سائر أنواع[1] التجارات [2]كالزيت و العسل و الجوز و البندق و اللوز[2] لا يضيق بها تجارتها، و لا يقصدون بها[3] بلدا سواها[4] . فلأهل مصر جباها[5] كله و لسائر الناس حيالته[6] .

و لمصر من الكور ثمانون كورة ليس[7] فيها كورة إلا و فيها ظرائف[8] و عجائب من أصناف البز و الآنية و الطعام و الشراب و الفاكهة و جميع ما ينتفع به الناس، يعرف صنف كل كورة و جهازها، و ينسب كل لون منه إلى كورته، فصعيدها أرض حجازية حرها حر الحجاز، تنبت النخل و القرظ و القصب و الدوم، و أسفل أرضها شامى يمطر بمطر الشام، و النبت ثمار الشام من العنب و التين و اللوز و سائر الفاكهة و البقول و الرياحين، و كورة الإسكندرية فبرارى[9] و جبال و غياض وكروم، و هى برية بحرية جبلية، بلاد إبل و ماشية و نتاج و عسل و لبن. [10]و بكل كورة[10] من كور مصر مدينة بها آثار كريمة من الأبنية و الصخور و البرابى و العجائب، فمنها الإسكندرية فى أبنيتها و عجائبها .

(١) فى بن : أصناف .
(٢ - ٢) هذه الأصناف ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٣) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن [١٥٨ : ب] .
(٤) فى بن : بدا اسواقها .
(٥) فى بن : حيارها .
(٦) بهذه الجملة غموض فى التركيب و المعنى و لعلها : لا يضيق بها تجارها . . . فلأهل مصر خيارها و لسائر الناس حيالته . و المقصود ما تبقى عن مصر و هى كلمة غريبة . (٧) فى بن : و ليس .
(٨) فى بن : و الطرائف ، و ربما كان أصوب.
(٩) فى بن : فبوادى . (١٠ - ١٠) فى بن : و نحل كوره .

و أجمع الناس أنه ليس بالدنيا بناء بالوحى غير هذه الكورة . و حجر اللاهون أحد عجائب الدنيا، بناه[1] يوسف الصديق عليه السلام . وكانت ملوك الفرس تأتى إليه لتشاهده[2] [٢١٦ : الف] و هو بصعيد مصر[3] الأدنى بالقرب من الفيوم بالخليج[4] المعروف بالمنهى الذى حفره يوسف[5] عليه السلام .

[الأقاليم السبعة و مدنها]

ذكر الأقاليم السبعة و ما فيها من المدن المشهورة .

[6]الأقاليم السبعة على بروج السماء مدن كبار عظام، مدينتان فى إقليم زحل و مدينتان فى إقليم المشترى و مدينتان فى إقليم المريخ و مدينتان فى إقليم الشمس و مدينتان فى إقليم الزهرة و مدينتان فى إقليم عطارد و مدينتان فى إقليم القمر . و قيل إن الأقاليم السبعة إقليم فى أرض المغرب و إقليم فى أرض الروم و إقليم فى أرض الحبشة و إقليم فى أرض الهند و إقليم فى أرض الترك و إقليم فى أرض الصين و إقليم فى أرض يأجوج و مأجوج، لا يدخل هؤلاء و لا هؤلاء أرض هؤلاء[6] .

---

(١) فى بن : بناء .
(٢) فى بن زيد ما يلى و الجملة مكررة : و هو بصعيد مصر لتشاهده .
(٣) ساقطة من بن .
(٤) فى بن : و بالخليج .
(٥) زيد فى بن : الصديق .
(٦ – ٦) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن .

الإقليم[1] الأول يبتدئ من المشرق ببلاد الصين فيمر على بلاد الصين مما يلي الجنوب، و فيه مدينة الصين و الشقيرا، ثم يمر على سواحل البحر في جنوب بلاد الهند ثم بلاد السند. ثم يمر في البحر إلى جزيرة الكوله. و يقطع البحر إلى جزيرة العرب و أرض اليمن، فيكون فيه من المدن المعروفة ظفار و عمان و حضر موت و عدن و صنعاء و العنق و تانا و تبالة و مهرة و سبأ، ثم يقطع الإقليم بحر القلزم، فيمر على بلاد الحبشة، و يقطع نيل مصر. و فيه هناك مدينة ملك الحبشة و تسمى جرمة[2] و ماقة إلى أن ينتهي إلى بحر المغرب.

و أما الإقليم الثاني[3] فانه يبتدئ من المشرق فيمر على بلاد الصين ثم على بلاد الهند ثم السند. و فيه مدينة المنصورة و التبروذ و الدليل، ثم يلتقي البحر الأخضر في بحر البصرة، و يقطع جزيرة العرب في أهل نجد و أهل تهامة، و فيه من المدن هناك اليمامة و البحرين و هجر و مدينة يثرب و الحجاز و مكة و الطائف و جدة. ثم يقطع بحر القلزم، و يمر بصعيد مصر، فيقطع النيل. و فيه من المدن قوص[4] و أخميم و أنصنا و أسوان. ثم يمر في أرض المغرب على وسط بلاد إفريقية و بلد البربر، ثم ينتهي إلى بحر المغرب.

(١) في بن: فالإقليم — و بهامش بر: الأقاليم الأول — و بهامشه أيضا بقلم يختلف نوعا عن قلم الناسخ: مطلب معرفة الأقاليم السبعة و حدودها.

(٢) في بن: حرمه — انظر ياقوت معجم البلدان ج ٢ ص٢٩: جَرْمَى.

(٣) في هامش بر: الإقليم الثاني.

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

و أما

و أما الإقليم الثالث[١] فانه يبتدئ من المشرق فيمر على بلاد الصين و على بلاد الهند، ثم على شمال السند، ثم على بلاد كابل و سجستان، ثم يمر على بحر البصرة. فيه من المدن هناك مدينة اصطخر و جور و سابور و شيراز و سيراف و جنابا و سلس و مهروبان[٢] ثم كور الأهواز و العراق. وفيه البصرة و واسط و بغداد و الكوفة و الأنبار و هيت. ثم يمر على بلاد الشام، و فيه من المدن هناك سلمية و حمص و دمشق و صور و عكا و طبرية و بيت المقدس و الرملة و عسقلان و غزة و القلزم. ثم يقطع أسفل[٢] أرض مصر و الفرما و الإسكندرية. ثم يمر على برقة[٣] و طرابلس و بلاد إفريقية، و فيه مدن[٤] القيروان. و ينتهى إلى الغرب[٥] لمدينة فاس و أعمالها.

و أما الإقليم الرابع[٦] فيبتدئ من المشرق. فيمر على بلاد التبت، ثم يمر على [٢١٦ : ب] بلاد خراسان، فيكون فيه من المدن خجندة و فرغانة و سمرقند و بلخ و بخارى[٧] و هراة و مرو و سرخس و طوس و نيسابور و جرجان و قومس و طبرستان و الديلم و الرى و أصبهان و قم

(١) فى هامش بر: الإقليم الثالث.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) عن بن [١٥٩ : الف]، و فى بر: برقا.

(٤) فى بن: من المدن.

(٥) فى بن: القرب.

(٦) فى هامش بر: الإقليم الرابع.

(٧) فى الأصلين: بخارا.

و همدان و نهاوند و الدينور و سُرّ من رأى و الموصل و رأس العين[1] و سميساط و حران و الرقة و قرقيسيا . ثم يمر على بلاد الشام ، و فيه من المدن هناك بالس و منبج و حلب و قنسرين و انطاكية و طرابلس[2] و المصيصة و صيدا و بيروت و أدنه و طرسوس و عمورية و اللاذقية . ثم يمر فى أرض المغرب على بلاد طنجة ، و ينتهى إلى بحر المغرب[3] .

و أما الإقليم الخامس[4] فانه يبتدئ من ياجوج و ماجوج ، ثم يمر على شمال خراسان ، فيكون فيه من المدن هناك الطيراز و هى مدينة التجار ، و خوارزم و سنجار و اذربيجان و كور ارمينية و خلاط و جرهية[5] و رومية الكبرى . ثم يمر على سواحل الشام . ثم يمر على بلاد الأندلس طرطوشة و سرقطة و طليطلة و قرطبة و أشبيلية و ماردة و مالقة حتى ينتهى إلى بحر المغرب .

و أما الإقليم السادس[6] فانه يبتدئ من المشرق من ياجوج و ماجوج ، ثم يمر على بلاد الخزر ، و يقطع وسط جرجان و بحرها إلى بلاد الروم . ثم يمر على جروان و ماسيا و القسطنطينية و إفرنجة و بلاد نوحان إلى بحر المغرب .

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : راس العين .
(٢) فى بن : و أطرابلس .
(٣) فى بن : الغرب .
(٤) فى هامش بر : الإقليم الخامس .
(٥) فى بن: جرهبة - بسقوط واو العطف .
(٦) فى هامش بر : الإقليم السادس

و أما الإقليم السابع[1] فانه يبتدئ من ياجوج و ماجوج ، ثم يمر على بلاد الترك على سواحل بحر جرجان و الصقالبة ، و ينتهي إلى بحر المغرب .

فهذه الأقاليم السبعة فيها المدن [2]المذكورة و غيرها من المدن[2] الكثيرة ، تركت ذكرها لكثرتها و طلبا للاختصار . و في هذا القدر[3] كفاية .

و كل إقليم لملوكه[4] اسم . فاليمن يقال لمن ملكه تُبّع ، و الفرس كسرى ، و الروم قيصر ، و اليونانية[5] بطليموس ، و الترك خاقان ، و الحبشة النجاشي[6] ، و الخزر طرخان ، و مصر فرعون . و الهند [7]الأركن ، و الصين بغفور[7]

و اعلم أن خط الاستواء[8] من المشرق إلى المغرب ، فالبلاد التي تكون أطوالها و أعراضها واحدة في درج الفلك تعد[9] إقليما مثل أن يكون بلد بالأندلس و بلد بافريقية و بلد بالصين تكون أعراضهم و أطوالهم

(١) في هامش بر : الإقليم السابع .
(٢ – ٢) العبارة ساقطة من بن .
(٣) زيد في بن : المذكور .
(٤) في بن : لملكه . و زيد في هامش بر : أسماء الملوك .
(٥) في بن : و اليونان .
(٦) في بن : بالنجاشي .
(٧ – ٧) ساقطة من بر و واردة في بن . و جائز أن تكون « بغفور » يغفور .
(٨) في هامش بر : خط الاستواء .
(٩) كذا في بن ، و هي في بر : يعد .

سواء فيعدوا بذلك إقليما واحدا . قال الشاعر [1]من قصيدة مدح بها جعفر ابن أبي القاسم[1] [٢١٧ : الف] :

مدى[2] الدهر ما دامت نجوم بأفقها   تلوح و دام الإستواء مع الخط

[3]. سأذكر هنا ما قاله[3] أبو القاسم محمد بن هانئ في نجوم السماء من قصيدة له مدح بها جعفر بن أبي القاسم :

أليلتنا إذ أرسلت واردا و حفا   و بتنا نرى الجوزاء [4]في أذنها[4] شنفا
و قد فككت الظلماء بعض قيودها   و قد قام جيش الليل للصبح فاصطفا
و ولت نجوم للثريا كأنها   خواتم تبدو[5] في بنان يد تخفا
فثنى على آثارها دبرانها   كصاحب ردء كميت[6] خيله خلفا
و أقبلت الشعرى العبور ملبد[7]   بمرزمها اليعبوب يجنبه طرفا
و قد بادرتها أختها من ورائها   لتخرق من ثنيّ مجرتها سجفا
[8]تخاف زئير[8] الليث قدّم نثرة   و بربر في الظلماء ينسفها نسفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا   على لبدتيه ضامنان له حتفا

(١ – ١) ساقطة من بر و واردة في بن .
(٢) في بن : مدا .
(٣ – ٣) في بن : و قال .
(٤ – ٤) مكررة خطأ في بن .
(٥) في بن : تبدوا .
(٦) في بن : كمنت .
(٧) في بن : مكبلة .
(٨ – ٨) في بر : خاف زيرا . و أغلب الظن صحته في بن كما أوردناه بالنص و يستقيم بذلك ميزان البيت .

فذا

فذا رامح يهوى إليـه سنانـه وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
كأن رقيب النجم أجدل مرقب يقلّب تحت الليل فى ريشه طرفا
كأن بنى نعش و نعشا مطافل بوجهة[1] قد أضللن فى مهمه[2] خشفا
كأن سهيلا فى مطالع أنفه مفارق ألف لم يجد بعده ألفا
كأن[3] سهاها عاشق بعد عودها[4] فآونة يبدوا و آونة يخفا
كأن معلا قطبها فارس له لواءان مركوزان تذكرة الزحفا
كأن قداما النسر و النسر واقع قصصن فلم تسم[5] الخوافى به ضعفا
كأن أخاه حين دوّم طائرا أتى[6] دون نصف الليل[7] فاختطف النصفا
كأن الهزيع الابنوسى رهبة[8] سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
كأن ظلام الليل إذ مال ميله صريع مدام بات يشربها صرفا
كأن عمود الفجر خاقان معشر من الترك نادى بالنجاشى فاستخفا
كأن لواء الشمس غرة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

---

(١) فى بن [١٥٩ : الف] : بوخزة .
(٢) فى بر التاء المربوطة منقوطة و النقط خطأ لأن الكلمة « مهمه » بالهاء الغير منقوطة فى بن و يستقيم المعنى بذلك .
(٣) « كأن » ساقطة من بن .
(٤) فى بر : عود . و هى كما أوردناه بالنص فى بن .
(٥) فى بن : تسموا .
(٦) فى بر : أنى ــ بالنون و هى فى بن بالتاء .
(٧) الكلمة ساقطة من بن .
(٨) كذا فى بن ، و هى فى بر : وهبة .

[1] و دخل إلى المدح و هى طويلة[1] . و كانوا يقولون : اطلبوا الرزق فى البعد فانكم إن لم تغنموا مالاً غنمتم عقلا . و قالوا : من تعذر عليه الرزق فعليه بمدينة عمان . و من مفاخرة[2] أهل مصر أنهم لا يطلبون الأموال و المتاجر[3] فى غير مصر ، و جميع تجار البلدان يطلبون الرزق [٢١٧ : ب] بها . [4] و اعلم أن الرزق لا يجره حرص حريص . و لا يرده كراهية كاره . قال الشاعر :

ما لك ضامن رزقى[5] فلماذا أكلف الخلق رزقى
فكما لا يرد مجرى رزقى فكذا لا يجر رزقى حذقى[4]

ذكر[6] ملوك الإسلام بمصر بعد الثلاثمائة[7] سنة للهجرة[7]
إلى سنة خمس[8] و سبعين و سبعمائة
[الدولة الإخشيدية[9]]

كانت الدولة الأخشيدية من قواد الطولونية . و كان طولون مملوكا

(١-١) فى بن : و خرج .
(٢) فى الأصلين : مقافرة - و أغلب الظن أنه خطأ قلمى لكلمة «مفاخرة» كما أوردنا بالنص .
(٣) فى بن : من المتاجر .
(٤-٤) هذا القسم ساقط من بر و وارد فى بن (٥) كذا فى بن .
(٦) فى بن زيد : لمع من أخبار .
(٧-٧) فى بن : من الهجرة النبوية و .
(٨) فى بن : ثمان .
(٩) فى هامش بر : طولون .

لأمير المؤمنين عبد الله المأمون بن الرشيد[١] ، فرزق طولون ولدا سماه[٢] أحمد ، فنجب فولى مصر نيابــة لبنى العباس ، ٢ ثم ولى بعده مصر ولده أبو الحسن خمارويه بن أحمد بن طولون ٣ . فأراد خمارويه أن يزوج ابنته من على ابن أمير المؤمنين المعتضد . فقال المعتضد[٤] إنه قصد أن يتشرف بنا وأنا[٥] أتزوجها ، فتزوجها المعتضد ، فأتت له معها بأموال جزيلة . ٥

و أول الدولة الأخشيدية[٦] طغج الفرغانى ، كان متوليا لخمارويه ابن أحمد[٧] بن طولون دمشق و الشام . ثم ولى الأخشيد أبو بكر بن[٨] محمد بن [٩]طغج مصر . ثم وليها بعده أبو الجون محمد[٩] بن أخشيد . ثم وليها بعده أبو المسك كافور الأخشيدى[١٠] ، جلب من الحبشة و عمره[١١] أربعة

(١) و تاريخ حكمه ١٩٨ - ٢١٨ هـ = ٨١٣ - ٨٣٣ م .

(٢) فى بن : اسماه (٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) زيد فى بن : لما بلغه ذلك ـ و حكم المعتضد ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ = ٨٩٢ - ٩٠٢ م .

(٥) فى بن : انا (٦) فى هامش ر : أول الدولة الأخشيدية .

(٧) استمر حكم الدولة الطولونية من ٢٥٤ هـ = ٨٦٨ م إلى ٢٩٢ هـ = ٩٠٥ م . و حكم الدولة الأخشيدية ٣٢٣ - ٣٥٨ هـ = ٩٣٥ - ٩٦٩ م . و حكم أحمد بن طولون ٢٥٤ - ٢٧٠ هـ = ٨٦٨ - ٨٨٢ م و خمارويه ٢٧٠ - ٢٨٢ هـ = ٨٨٣ - ٨٩٥ م أما طغج فحكمه ٣٢٣ - ٣٣٤ هـ = ٩٣٥ - ٩٤٦ م .

(٨) لفظ « بن » ساقط من بن .

(٩-٩) يلاحظ هنا اختلاف فى تفصيل الأسماء عما هو معروف مثلا فى جداول زامباور ص ٩٣ و ستانلى لين بول ص ٦٩ مما يستحق المراجعة و البحث .

(١٠) حكمه ٣٥٥ - ٣٥٧ هـ = ٩٦٦ - ٩٦٨ م .

(١١) فى بن [٦٠ ا : الف] : و كان ابن .

عشر سنة ، و ذلك فى سنة اثنى عشر و ثلاثمائة ، فكان عادلا فى حكمه محبوبا لرعيته لكرمه و سخائه و عدله ، و كان فى كل سنة فى ليلة عيد الأضحى يوقر بغلا ذهبا و يفرقه فى أهل العلم و الخير و الصلاح . قال صاحب كتاب الأشارات فى الزيارات : إن مصر زلزلت فى [1] دولته ستة أشهر [1] ليلا و نهارا ، فأنشد محمد بن القاسم [2] من قصيدة يقول فيها :

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها　　لكنها رقصت من عدله فرحا [3]

و قيل إن كافور الأخشيد لما ملك مصر و عزمت كتاب الدولة [4] على كتابة [5] تقليده ، فأمرهم أن لا يكذب أحد ، و لا يخفى جنسه إذ هو عبد كان فتوقف [6] الجميع عن ذلك ، فنهض أحدهم و قال : أنا

(١-١) فى بن : دولة كافور مستقلا شهرا .

(٢) فى بن : القسم .

(٣) و رد هذا البيت مع كلمة « خوف » بدلا من « سوء » منسوبا إلى محمد بن عاصم فى « سكردان السلطان » (طبعة مصر ١٢٨٨ هـ) ص ١٣٣ عند الكلام عن كافور . و جاء نفس البيت فى السيوطى (كتاب حسن المحاضرة فى اخبار مصر و القاهرة ـ مطبعة الموسوعات بمصر ١٣٢١ هـ) ج ٢ ص ١٦٧ و لفظة « سوء » به و القصيدة من تأليف محمد بن القاسم بن عاصم .

(٤) فى بن : دولته .

(٥) فى بن : كتاب .

(٦) فى بر : فتوقفوا . و صححته فى بن كما أوردنا بالنص .

أكتبه . فكتب : أما بعد فان الفرس بكده ، و السيف بحده ، و المرء بسعده ، لا بأبيه و جده ، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه - [1] قال بعضهم :

لو كان باللب يزداد اللبيب غنى لكان كل لبيب مثل كافور
لكنه الرزق بالقسطاس من حكم يقضى اللبيب و يعطى ذل ماخور

و قال الآخر [1] :

قد يرزق المرء لا من حسن حيلته
و يصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى
[2] ما مسى من غنى يوما و لا عدم
إلا و قولى فيه الحمد لله [3]

[بن : ١٦٠ : الف] و لما سار أبو الطيب المتنبى الشاعر من دمشق إلى كافور بمصر فمدحه بقصيدته التى قال فيها ما لم يمدح رائس أسود بأحسن

(١ - ١) هذا الجزء بما فيه البيتان ساقط من بن ، ثم أورده الناسخ بعد البيتين التاليين .

(٢) تبدأ هنا فى بر فجوة كبيرة واردة فى بن من ١٦٠ : الف (سطر ٥) إلى ١٦٧ : ب (سطر ١١) و قد نسخناها عن بن فيما يلى ، و هى تكمل عرض الدولة الإسلامية إلى عهد صلاح الدين الأيوبى حيث يستأنف الكلام من « نعود إلى اخبار الخ » .

(٣) هذا البيت مع سابقه ورد فى بن قبل البيتين السابقين ، و سقط البيت الأخير من بر .

منه ، فقال :

فجاءت به إنسان عين زمانه و خلت بياضا خلفها و مآقيا
فواصل كافور توارك غيره و من قصد البحر استقل السواقيا

و لم يعطه كافور ما يرضى به ، و أراد كافور الغض منه . فقال المتنبى :

ألا ليت شعرى هل أقول قصيدة
فلا أشتكى فيها و لا أتعتب
أبا المسك [1] هل فى [1] الكأس فضل لشارب [2]
فانى أغنى منذ حين و تشرب

ثم جعل من يكلم له كافورا ليوليه ولاية . فقال كافور لذلك الشفيع : أتكلمنى فى أن أولى رجلا أحمق لسانه يزيد على عقله ؟ أما تعلم أنه ادعى النبوة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو خير ولد آدم و سيد النبيين و خاتم المرسلين ؟ أتراه إن صار واليا لا يدعى الملك مع كافور الحبشى الخصى ؟ فضحك الشفيع و قال : مولانا الأستاذ أعرف بما يقول و يفعل .

ثم ملك بعد كافور الأخشيد أحمد بن على بن الأخشيد ، و هو آخر من تولى من الأخشيدية مصر و عدتهم خمس نفر ، و كان آخر ملكهم فى سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة ، و مدة ملكهم أربعون [3] سنة .

(١–١) مطموسة جزئيا فى ب ، و لكن قراءتها ممكنة كما أوردنا بالنص .
(٢) فى ديوانه : « أناله » مكان « لشارب » .
(٣) فى الأصل : اربعين .

[الدولة الفاطمية]

وكان كافور الأخشيدى خادما[1] لأبى بكر محمد[2] بن طغج ، فجهز أبو[3] الحسن جوهر القائد غلام الإمام اسماعيل المنصور العبيدى[4] من أرض القيروان بالمغرب جيشا إلى مصر حارب وملك منه من الأشمونين إلى الجيزة ؛ فوقع فناء بعسكر جوهر ، فرجع إلى أرض المغرب . ثم أتى مصر ثانيا ، فوافى[5] موت كافور فى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . وولى مصر بعده أحمد بن على بن الأخشيد ، فحاربه جوهر مدة فلم ينجع له طلب . ثم رجع وعاد وحارب إلى أن ملك مصر ، وانتقل إليها المعز لدين الله من المهدية وعمّر القاهرة المعزية فى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، فسميت القاهرة لقهره بنى العباس وأخذه مصر منهم .

قال ابن الربيب فى تاريخه : وفى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة انقطعت الدعوة العباسية عن الديار المصريـــة بدخول جوهر الرومى غلام المعز العبيدى المخطوب له بالخلافة فى إفريقية إلى مصر واستيلائه على أعمالها ،

---

(١) فى الأصل : خادم .

(٢) كذا فى الأصل ، وقد ورد فيما سبق « ابو بكر بن محمد » (انظر ص١٧ س٧).

(٣) فى الأصل : أبا . والمقصود طبعا جوهر الصقلى فاتح مصر للدولة الفاطمية فى سنة ٣٥٦ هـ = ٩٦٩ م .

(٤) ربما كان المقصود هنا المنصور أبو طاهر إسماعيل خليفة المهدى أبى محمد عبيد الله بالمهدية وكان خلفه المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ - ٣٥٦ هـ = ٩٥٢ - ٩٧٦ م) الذى غزيت مصر فى عهده .

(٥) فى الأصل : فوافا .

و ذلك أنه اختلت أمورها بعد وفاة كافور الأخشيدى ، و وقع بها الغلاء العظيم و الوباء اللذان قتلا الخلق حتى أحصى من مات فى أيام يسيرة فكانوا ستمائة ألف ، و اشتغل صاحب الجيش و التدبير الحسن بن عبيد ابن طغج بقتال القرامطة فى الشام . و كان له معهم وقعات مشهودة . فلما استقرت هذه الأخبار عند المعز أخرج جوهر المذكور فى عسكر و معه العدد الهائلة و الجمال عليها مفرغا كالأرحال ليهول ذلك المنظر من رآه ، و فى جيش جوهر هذا يقول محمد بن الأندلسى فى جملة قصيدة :

رأيت بعينى فوق ما كنت أسمع

و قال فى أبياتها :

إذا حل[1] فى أرض بناها مدائنا و إن سار عنها أصبحت و هى بلاقع

[بن ١٦٠ : ب] و كان فى مصر قواد تجمع فدافعوا جوهرا ففرق جمعهم ، و قتل من ظفر به منهم ، و أرسل إلى سيده المعز برؤسهم ، و من طلب الأمان سيره مكرما إلى إفريقية ، و كان دخول جوهر مصر يوم الثلاثاء الثلاث عشر ليلة بقيت من شعبان من سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة . و خطب فيها للمعز ، و انقطعت منها الخطبة العباسية ، فلم تعد إلا فى سنة سبع و ستين و خمسمائة على يد السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب . قال أبو الحسن الشرابى : و لما بلغ هذا الخبر بغداد لم ير أحد أن يطالع به الخليفة المطيع لله ، و تلطفت به حتى أعلمته بأن جيش

(١) فى الأصل : دخل . و الأغلب أن الصحيح « حل » كما أوردنا بالنص و يستقيم به وزن البيت .

الأخشيدية على الهلاك لأن القرامطة أقبلوا إليهم من جهة شرقهم و جنوبهم، و المغاربة أقبلت إليهم من جهة الغرب . قال: و قد بلغنا أن جيش ابن طغج على الرملة و وافى[1] المغاربة إلى الرملة، فقلت يا مولانا ما بقى بينهم و بين المغاربة[2] إلا خمسة مراحل، قال فاستوى قاعدا، و قد كان متكئا و قال: فدخلوا إذا الديار المصرية! قلت: كذا . فخرج[3] من الحديث فأرسل حينئذ إلى عز الدولة بختيار بن نويه يسأله عن ذلك . فقال: أحسن الله عزاء[4] أمير المؤمنين فى الديار المصرية، و ما أروع سمع مولانا أمير المؤمنين بهذا لو لا ما سأل عنه، لكن المطلوب بقاء أمير المؤمنين و بحضرته من اللبوس و العدد و الرجال ما يقضى إن شاء الله تعالى بفتحها و بفتح غيرها إلى البحر الأخضر . قال فلما رجعت له الرسالة قال: هذا يسمع الخاطر بتعليله عن الديار المصرية . و قد أمر الخليفة المقتدر[5] أن[6]) يجهز لها المستجاس و الدنيا حينئذ بيده و قاسى عليها حتى امتلأت منه التواريخ و نحن الآن و قد أخذت منا مصر و ليس فى حكمنا إلا هذا القصر الذى نحن فيه و الشيعة قد كثرت فى الأقطار من حين رجوع مصر، ثم قال: اعلم أن بنى نويه شيعة،

(١) فى الأصل: و وافا .
(٢) الكلمة مكررة بالأصل .
(٣) فى الأصل: يخرج . و أغلب الظن أنها خطأ قلمى .
(٤) فى الأصل: عزى .
(٥) الخليفة العباسى و حكمه ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ = ٩٠٨ - ٩٣٢ م .
(٦) ناقصة بالأصل و لزومها واضح للسياق .

و هم أول من يشمت بذهاب مصر و الجزيرة و الشام فى أيدى بنى حمدان وهم شيعة ، و قد ذهب منهم أهل الوفا و المنا كناصر الدولة و سيف الدولة ، و بقى شبان أعمار لا يعرفون ودا ، و لا يحفظون عهدا . و كأنا بهم و قد صاروا مع ابن ديصان - يعنى المعز - فكان كما قدره . و سيأتى خبر العبيديين المدعين أنهم فاطميون ، و ليس كذلك بل نسبتهم إلى ديصان .

نعود - و كان أحمد بن طولون فى دولته عمرّ الجامع المعروف به فى مكان يعرف بيشكر بين مصر و القاهرة بسبب رجل صالح ، فكان فى المكان . فحين وصل المعز إلى مصر أمر بأن يؤذن على جامع عمرو ابن العاص و جامع ابن طولون بحى على خير العمل . فاستدام ذلك فى الأذان إلى حين انقضاء دولة العبيديين فى سنة سبع و ستين و خمسمائة . فانقرض حينئذ ذكر حى على خير العمل بانقراض دولتهم . أبطل ذلك السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب . و أمر بالدعاء على المنابر لخلفاء بنى العباس كما كانت أولا بالديار المصرية و الشامية . و سبب تسمية القاهرة بالقاهرة لغلبة العبيديين الشيعيين على بنى العباس بأخذهم مصر منهم و قهرهم لهم عليها ، فقالوا نسميها القاهرة لقهرنا لهم . و تسمت العبيديون المذكورون بالفاطميين ، و ادعوا أنهم من ذرية فاطمة [بنت[1]] النبى صلى الله عليه و سلم . و لما ولى المعز ملك مصر قال

(١) الكلمة ساقطة من الأصل ، و لزومها واضح من السياق .

أبو القاسم محمد بن هانئ الشيعي قصيدته[1] التي أولها .

تقول بنو[2] العباس هل[3] فتحت مصر ... فقل لبني العباس قضي الأمر

و قد جاوز الإسكندرية جوهر ... تطالعه البشرى و يقدمه النصر

/ [4]و قد أوفدت مصر إليه وفودها[4] ... و زيد إلى المقود من جسرها جسر [بن١٦١:ب]

فما جاء هذا اليوم إلا و قد غدت ... و أيديكما منها و من غيرها صفر

فلا تكثروا ذكر الزمان الذي خلا ... فذلك[5] عصر قد تقضى و ذا عصر

أفي الجيش كنتم تمترون[6] رويدكم ... فهذا القنا[7] العراص والجحفل المجر[7]

(١) و ردت القصيدة في طبعات ديوان ابن هانئ و أقدمها طبعة بيروت ١٣٢٦ هـ=١٩٠٨ م ، ثم طبعة زاهد على تحت عنوان تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ في القاهرة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م ، و أحدثها نشرة كرم البستاني بعنوان ديوان ابن هانئ الأندلسي في بيروت (دار صادر) ١٩٥٢ م . و قد صححنا النص على هذه الأخيرة كما أدخلنا بالحواشي بعض ما اسقطه الناسخ من الأبيات نظرا لأهمية هذه القصيدة التاريخية و هي طويلة .

(٢) في الأصل : بنوا .

(٣) في الأصل : قد . و صححته في الديوان (كرم البستاني) ص ١٢١ .

(٤ - ٤) كذا في ديوان ابن هانئ ص ١٢١ . و في الأصل : و قد وفدت إليه وفودها

(٥) في الأصل : فذاك . و صححتها بالديوان ص ١٢١ .

(٦) في الأصل : تمرون . و صححتها من الديوان ص ١٢١ .

(٧-٧) في الأصل : العراض . و بقية البيت مطموس ، فأكملناه من الديوان ص ١٢١ . و يتلو هذا البيت بيت ساقط من الأصل و هو الآتي :

و قد أشرفت خيل الإله طوالعا ... على الدين و الدنيا كما طلع الفجر

و ذا ابن نبي الله يطلب وِتْره ... و كان حَرًّا[1] أن لا يضيع له وتر
ذروا الوِرد في ماء الفرات لخيله ... فلا الضَّحْل[2] منه تمنعون و لا الغمر
أفي الشمس شك أنها الشمس بعد ما ... تجلّت عيانا ليس من دونها ستر
و ما هي إلا آيـة بعـد آية ... و نذر لكم إن كان يغنيكم النذر[3]
٥ أطيعوا إماما للأئمة فاضلا ... كما كانت الأعمال يفضلها البر
رِدُوا ساقيا لا تنزفون[4] حياضه ... جموما[5] كما لا تنزف الأبحر الذرّ
فـإن تتبعوه فهو مولاكم الذي ... لـه برسول الله دونكم الفخر
[6]و إلا فبعـدا للبعيد[6] فبينه ... و بينكم ما لا يقرّبه الدهر
أفي ابن أبي السبطين أم في طليقكم[7] ... تنزلت الآيات و السور الغر؟

(١) في الأصل : حرا .

(٢) في الأصل : الضحك . و صحته من الديوان ص ١٣٢ .

(٣) المقصود بكلمة « النذر » الإنذار و يلى هذا البيت في القصيدة آخر ساقط من النص (انظر الديوان ص ١٣٢) :

فكونوا حصيدا خامدين أو ارعووا ... إلى ملك في كفه الموت و النشر

(٤) في الأصل : يعرفون . - وصحته من الديوان ص ١٣٢ .

(٥) في الأصل : جموحا . - و صحته بالديوان ص ١٣٢ . و الجموم الكثير الماء، و الذر صغار النمل .

(٦-٦) الشطر مطموس أغلبه في الأصل ، و قد أخذناه عن الديوان ص ١٣٢ .

(٧) في الأصل : طليعتكم . و صحته من الديوان ص ١٣٢ . و المقصود بابن أبي السبطين علي بن أبي طالب و الطليق هو عباس بن عبد المطلب أصل العباسيين .

[1] بنى نَتْلَـةَ ما أورث الله نَتْلَة [1] … وما نسلت [2] هل يستوى العبد والحر؟
وأنى بهـذا وهى أعدت برقها … أباكم فاياكم ودعوى هى الكفر
ذروا الناس ردوهم إلى من يسوسهم … فما لكم فى الأمر عُرف ولا نُكر
أسرتم قروما بالعراق أعزة … فقد فُكّ من أعناقهم [3] ذلك الأسر
وقد بزّكم أيامكم عُصَب الهدى … وأنصار دين الله والبيض والسمر
[4] ومقتبل أيامـــه متهـــلل [4] … إليه [5] الشباب الغضّ والزمن النّضر
أدار كما شاء الورى وتحيّزت … على السبعة الأفلاك أنمله العشر
أتدرون من أزكى البرية منصبا … وأفضلها إن عُدِّد البدو والحضر؟
تعالوا إلى حكام [6] كل قبيـــلة … ففى الأرض أقيال وأنديـة زهر
ولا تعدلوا بالصيد من آل هاشم … ولا تتركوا فِهرا [7] وما جمعت فهر
فجيئوا بمن ضمت لُؤىّ بن غالب … وجيئوا بمن أدت كنانة والنضر
ولا تذروا عليا معدّ وغيرها … ليُعرَف منكم من له الحق والأمر

(١ – ١) فى الأصل: فى نسله ما أورد الله مثله. – والتصحيح من الديوان ص ١٣٢. والمقصود ببنى نتلة أم عباس بنت جناب بن كليب.

(٢) الكلمة غير واضحة بالأصل فأخذناها عن الديوان ص ١٣٢.

(٣) فى الأصل: أعناقها.

(٤–٤) هذا الشطر مختبل بالأصل فأخذناه عن الديوان ص ١٣٣.

(٥) ساقطة من الأصل وواردة بالديوان.

(٦) فى الأصل: أحاكم. وصحته بالديوان ص ١٣٣.

(٧) فهر قبيلة من أصول قريش.

١او من عَجَب أن اللسان جرى لهم   بذكر على حين انقضوا وانقضى الذكر١
فبادوا وعفى٢ الله آثار ملكهم   فلا خبر يلقاك عنهم ولا خُبر
ألا تلكم الأرض العريضة أصبحت   ٣ولا لبنى العباس من عرضها شبر٣
فقد دانت٤ الدنيا لآل محمد   وقد جرّرت أذيالها الدولة البكر٥
ورد حقوق الطالبين من زكت   صنائعه فى آله وزكا الذخر
معزّ الهدى والدين والرَّحِم التى   به اتصلت أسبابها وله الشكر٦
٧من انتاشهم فى كل شرق ومغرب٧   فبُدّل أمنا ذلك الخوف والذعر٨
٩فكل إمامى يجئ كأنما   على يده الشعرى وفى وجهه البدر

(١ - ١) البيت ساقط من الأصل وأورد بالقصيدة فى الديوان ص١٣٣ وإيراده بالنص لازم لأحكام السياق.
(٢) فى الأصل: وعفا.
(٣-٣) بالديوان ص١٣٣: وما لبنى العباس فى عرضها فتر. وكلا الشطرين جائز.
(٤) بالديوان: دالت.
(٥) كذا بالديوان، وفى الأصل: الغر.
(٦) ورد هذا البيت فى غير موضعه بالأصل فنقلناه إلى هنا عن القصيدة بالديوان.
(٧ - ٧) بهذا الشطر خبل فأخذناه عن الديوان ص ١٣٤.
(٨) كذا بالديوان، والكلمة فى الأصل: والدهر.
(٩) اختلطت الأبيات التالية فى النص، فآثرنا إعادة تنظيمها على أساس أصل القصيدة بالديوان ص ١٣٤ - ١٣٥. مع إضافة بيتين فى موضعها حتى يكتمل تسلسل المعنى.

و لما تولت دولة النُّصْبِ عنهم — تولى العمى و الجهل و اللوم والغدر
حقوق أتت من دونها أعصر خلت — فما ردها دهر عليهم و لا عصر
فجرّد[1] ذو التاج المقادير دونها — كما جُرِّدَت بيض مضاربها حمر
فأنقذها من برثن الدهر بعد ما — [2]تواكلها القرس المذيّب والهِصر[2]
فأجرى على ما أنزل الله قسمها — فلم يُتَخَرَّم منه قلٌّ و لا كثر[3]
فدونكموها [4]أهل بيت[4] محمد — صَفَتْ بمعز الدين جمّاتها[5] الكدر
فقد صارت الدنيا اليكم مصيرها — و صار له الحمد المضاعف و الشكر[3]
إمام رأيت الدين مرتبطا به — فطاعته فوز و عصيانه خسر
[6]أرى مدحه كالمدح لله أنه[6] — قنوت و تسبيح يحط به الوزر[7]

[بن ٦٠ : ب] و هي طويلة مذكورة بديوان أبي القاسم محمد بن هانئ الأزدي. و لما مات أبو القاسم بن هانئ المذكور حزن عليه المعز حزنا شديدا و قال: مات رجل كنا نفاخر به أهل المشرق...[8] بمصر قائد جيوشها عشرين سنة إلى أن قتله الحاكم العبيدي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى.

(١) فى بن: بحر.
(٢-٢) فى الأصل: توكلها القرش المبين و الهصر. ـ و الصواب ما أوردناه عن الديوان ص ١٣٤.
(٣) البيت ساقط من الأصل. فأخذناه عن الديوان ص ١٣٤.
(٤-٤) فى الأصل: جيت آل ـ و المقصود «بيت آل».
(٥) فى بن: أمواهها.
(٦-٦) فى الأصل: أرى مدحه من طاعة الله أنه ـ و قد أخذنا النص عن الديوان ص ١٣٥.
(٧) و للقصيدة بقية طويلة فى خمسة وخمسين بيتا. انظر الديوان ص١٣٥ - ١٣٩.
(٨) بياض بالأصل.

وكان[1] العبيديون أولهم أبو محمد عبد الله المهدى[2] الذى عمّر المهدية بأرض المغرب على ساحل البحر، وهى مدينة حصينة ليس للفرنج عليها سبيل لحصانتها. ومولده ببغداد سنة ستين ومائتين. ووصل إلى مصر فى ذى الحجة سنة تسع وثمانين ومائتين، وغدا إلى المغرب تسلطن به، ثم تسلطن بعده أبو القاسم محمد القائم بأمر الله[3]. ثم أبو معد إسمعيل المنصور بالله[4]، ثم أبو تميم معد المعز لدين الله[5] إسمعيل المنصور، وهو الذى أتى من المغرب إلى مصر وعمّر له القاهرة جوهر القائد، وقيل بينما المعز مارا فى موكبه ظاهر القاهرة وإذا بامر(أ)ة[6] استقبلته بيدها طار تطبل به وتقول: [7]يا بنى العباس ردوا ملك الدنيا معد. إنها الدنيا عوادى والعوادى ترد[7]. فأعجب المعز قولها بحنين صوتها وتك...[8] لهذين البيتين اللذين لاقا بخاطره، فقال: تعطى هذه الطبالة هذه الأرض إلى حيث انقطاع حس طبلها. فأعطيتها فسميت أرض الطبالة إلى الآن. وهذه لغة المغاربة يقولون للرجل الضارب للطبل طبال وللمرأة الضاربة بالطار طبالة.

(١) فى الأصل: كانت.
(٢) وسلطنته فى المهدية ٢٩٧ – ٣٢٢ هـ = ٩٠٩ – ٩٣٤ م.
(٣) حكمه ٣٢٢ – ٣٣٤ هـ = ٩٣٤ – ٩٤٥ م.
(٤) حكمه ٣٣٤ – ٣٤١ هـ = ٩٤٥ – ٩٥٢ م.
(٥) حكمه ٣٤١ – ٣٦٥ هـ = ٩٥٢ – ٩٧٦ م.
(٦) فى الأصل: بامرة.
(٧-٧) آثرنا استرسال هذين البيتين فى النص لعدم استقامة ميزان الشعر فيهما.
(٨) الكلمة مطموسة جزئيا ولم نستطع حلها فى السياق.

وكان

وكان المعز المذكور خرج بأهله و حاشيته و جنوده من مدينة المنصور من أرض المغرب قاصدا الديار المصرية بعد ما مهد له غلامه جوهر القائد أمرها، و بنى له القصرين. فاستخلف المعز على بلاد المغرب و نواحيها و صقلية و أعمالها نوابا[1] من حزبه و أنصاره من أهل تلك البلاد. و دخل المعز إلى الديار المصرية و صحبته توابيت آبائه. فوصل إلى الإسكندرية و قد تلقاه أعيان مصر إليها، فخطب الناس خطبة بليغة ذكر فيها فضلهم و شرفهم و أن الله تعالى أغاث الرعايا بهم و بدولتهم. وكان إلى جنبه قاضى مصر فقال له : هل رأيت خليفة أفضل منى؟ فقال: لم أر من الخلفاء سوى أمير المؤمنين. فقال له : أحججت؟ قال : نعم! قال : زرت قبر رسول صلى الله عليه و سلم؟ قال : نعم! قال : و قبر أبى بكر و عمر؟ قال القاضى : فتحيرت ما أقول لأن المعز شيعى المذهب يبغضهما، ثم نظرت فاذا ابنه قائم مع كبار الأمراء فقلت : أشغلنى عنهما زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم كما أشغلنى أمير المؤمنين عن السلام على ولده و ولى العهد من بعده و نهضت إلى ولده فسلمت عليه و رجعت. فانفسخ المجلس إلى غيره. و ذلك أن العبيديين الزاعمين أنهم فاطميون كانوا شيعة تقولون فى أذانهم بعد الحيعلتين[2] حى على خير العمل. يقولونها مرتين كما تقولها الزيدية فى أذانهم بمكة و المدينة فى غير أيام الحج وكذلك بصعدة أيضا و غيرها

(١) فى الأصل : و نوابا.

(٢) المراد بحيعلتين «حى على الصلاة» و «حى على الفلاح» من كلمات الأذان.

من أرض اليمن، و لهم مذهب خامس غير المذاهب الأربعة، و هم يبغضون أبا بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما - انتهى .

نعود إلى ذكر بعض أخبار المعز، و ذاك أنـــه لما وصل إلى الإسكندرية تلقته أكابرها، ثم دخل بها الحمار[1]، و سار من الإسكندرية إلى مصر فنزل بالقصرين. فيقال إن أول دخوله موضـــع ملكه خرّ [بن ١٦٢ : الف] ساجدا لله تعالى. ثم كان أول حكومة حكم فيها أنه تقدمت إليه امرأة محمد الإخشيد فذكرت له أنها كانت أودعت رجلا من اليهود قبا من لؤلؤ منسوج بالذهب مكلل بأصناف الجواهر فى جرة نحاس حين زال ملكهم و أنه جحد ذلك. فاستحضره و قرره، فجحد اليهودى ذلك و أنكره. فأمر عند ذلك المعز بأن تحفر داره و يستخرج ما فيها، فوجدوا القبا فى الجرة مدفونا. فسلمه المعز إليها. فقدمته المرأة إليه و قالت: ما بقى هذا يصلح لمثلى و إنما يصلح لخطاياك. فأبى[2] أن يقبله منها، و قالت: أنت أحق به فاستحسن ذلك منهام[3]، و أخذته المرأة و انصرفت. فكانت خلافته سنتين و ستة أشهر[4].

و ولى ملك مصر بعد المعز ولده العزيز لدين الله نزار، و كان يحب اللعب بالحمام، و كان وزيره يعقوب بن كلس. و إليه تنسب الحارة

(١) كذا فى الأصل. فاذا ادخلنا النقط على الحاء أصبحت الكلمة «الخمار» و هو جائز.

(٢) فى الأصل: فأبا.

(٣) فى الأصل: منه.

(٤) كذا فى الأصل، و التاريخ هنا لا يتفق و التواريخ المعروفة المعتمدة حتى إذا اعتبرنا أن ما ذكره النويرى قاصر على خلافة المعز بمصر فحسب.

المعروفة بالوزيرية و بساتين الوزير . فكان العزيز له مقاصير حمامات و لوزيره كذلك ، فقال العزيز لوزيره المذكور : أريد المسابقة بحمامى و حمامك . فتسابقا فغلب حمام الوزير حمام العزيز ، فغضب العزيز و شق عليه ذلك ، فخاف الوزير على نفسه منه ، فأنشد يقول :

قل لأمير المؤمنين الذى له العلا و النسب الثاقب
طائرك السابق لكنـــه لم يأت إلا و له حاجب

فحينئذ سر بمقالته و رضى .

و ولى ملك مصر بعد العزيز بن المعز منصور الملقب بالحاكم ، و هو الذى بنى جامع الحاكم بالقاهرة ، فحول إليه الجمعة ، و ترك الجامع الأزهر ، فلم تكن تقام فيه الجمعة من حين بنى الحاكم جامعه الذى هو بين بابى الفتوح و النصر إلى زمن دولة الملك الظاهر بيبرس كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . و كان الحاكم المذكور منع النساء فى دولته من الخروج من المنازل ، و أن لا يتطلعن من الأسطحة و الطاقات ، و منع الخفّافين من عمل الأخفاف لهن ، و من الخروج إلى الحمامات ، و قتل خلقا من النساء على مخالفته فى ذلك . و هدم بعض الحمامات عليهن ، و جهز عجائز كثيرة تطفن فى البيوت يستعلمن أحوال النساء ممن تعشق أو يعشق بأسمائهن و أسماء من يتعرض له ، و أكثر من الدوران فى الليل بالبلد ، و أحرق بيوت من يطلع على فسقه من الرجال و النساء ، فطاق النطاق على الفُسّاق ، و لم يتمكن أحد منهم أن يصل إلى أحد

إلا نادرا، حتى أن امرأة نادت قاضي قضاة مصر، وهو مالك بن سعيد الفارقي، وحلفت بحق أمير المؤمنين الحاكم الأمان[١]، وقف لها واستمع كلامها، فوقف لها فبكت بكاء شديدا وقالت: إن لي أخا ليس لي غيره وهو في سياق الموت، وأنا أسألك الأمان[١] وصلني[٢] إلى منزله لأنظر إليه قبل أن يفارق الدنيا. فرق لها القاضي رقة شديدة، وأمر رجلين معه أن يكونا معها حتى يبلغاها إلى المنزل الذي تريده، فأغلقت بابها وأعطت المفتاح جارتها، وذهبت حتى وصلت مع الرجلين إلى منزل رجل تهواه ويهواها. فأخبرته بما احتالت به من الحيلة على القاضي وأعجبه، وجاء زوجها من آخر النهار فوجد باب داره مغلقا. فسأل عن زوجته، فذكر له ما صنعت، فاستغاث على القاضي وذهب إليه وقال: ما أريد زوجتي إلا منك، فإنها ليس لها أخ بالكلية، وإنها ذهبت إلى عشيقها. فخاف القاضي من معرة هذا الأمر، فركب إلى الحاكم وبكى[٣] لديه، فسأله عن شأنه، فأخبره بما اتفق له من الأمر. فأرسل الحاكم مع الرجلين اللذين وصلاها من يحضر الرجل والمرأة جميعا على أي حال كانا عليه، فكسروا الباب، [ن ١٦٢ : ب] فدخلوا فوجدوهما[٤] متعانقين سكارى، فحملوهما إلى الحاكم. فسألهما الحاكم فأخذا يعتذران بما لا يجدى

(١) في الأصل: الاما. والتركيب في الجملة إذا تركنا الأصل على ما هو عليه غريب، واعتقادنا أن بعض الحروف ساقطة من الكلمة وهي «الأمان» فأبرزناها كما في النص.

(٢) في الأصل: وصلتي. وأغلب الظن أن المرأة طلبت من القاضي الأمان وتوصيلها لأخيها. (٣) في الأصل: وبكا. (٤) في الأصل: فوجدها.

شيئا، فأمر بتحريق[1] المرأة بالنار فحرقت، وضرب الرجل بالسياط ضربا مبرحا، و ازداد احتياط الحاكم العبيدى على النساء إلى أن مات. و كان أمير المؤمنين الحاكم قد عدم، فاستبشر المسلمون بذلك لأنه كان جبارا عنيدا و شيطانا مريدا. وكان كثير التلون فى أفعاله و أقواله. و كان يروم أن يدّعى الإلهية كما ادعاها فرعون، لأنه كان أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفا إعظاما لذكره، و احتراما لاسمه. فكان يفعل هذا فى سائر ممالكه حتى فى الحرمين الشريفين. وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خروا سجدا حتى أنه يسجد بسجودهم كل من فى الأسواق. و فعل أشياء قبيحة تركت ذكرها لشناعتها. قال ...[2] فى تاريخه أن الحاكم العبيدى كفر كفرا لم يكفره فرعون. و مات مقتولا، و صفة قتله أنه اتهم أخته [3]ستّ الملك[3] بالفاحشة و أسمعها غليظ الكلام، فتبرمت منه. و عملت على قتله. و أرسلت إلى أكبر الأمراء الذى يقال له ابن دواس. و توافقت هى و إياه على قتله. فجهز من عنده عبدين أسودين و قال لهما: إذا كان الليلة الفلانية فكونا بالجبل المقطم، فى تلك الليلة يكون الحاكم هناك فى الليل لينظر فى النجوم، و ليس معه إلا ركابى وصبى

(١) فى الأصل: بتحقيق. و الكلمة مصححة بنفس القلم إلى تحريق.

(٢) قراءة الاسم هنا أشكلت فالكلمة غير منقوطة و جائز قراءتها «احيان» أو «احسان» أو «اختان» وكل هذه القراءات لا تدل على من يمكن متابعته بين مؤرخى الدولة الفاطمية فتركنا المكان بياضا.

(٣-٣) فى الأصل: ست الملوك. و هو تحريف لاسم أخت الحاكم بأمر الله، و قصتها معروفة و كذلك اسمها.

فاقتلاه ، اقتلاهما معه ، و اتفق الحال على ذلك . فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لأمه : إن فى هذه الليلة علىّ قطعا[1] ، و إن نجوت منه عمرت أكثر من ثمانين سنة ، و مع هذا فانقلى إليك حواصلى . فانى أخاف ما أخاف من أختى . فنقل حواصله إلى أمه ، وكان له فى صناديقه قريب من ثلاثمائة ألف دينار و جواهر أخر . فقالت له أمه : إذا كان الأمر كما تقول ، فارحمنى ، لا تركب فى ليلتك هذه إلى موضع . فكانت من كاشفه[2] أن يدور حول القصر كل ليلة ، فدار ثم عاد فنام إلى قريب من ثلث الليل الأخير ، و قال : إن لم أركب الليلة فأمنت نفسى ، فركب فرسا فصحبه صبى و الركابى ، و صعد إلى الجبل المقطم ، فاستقبله ذلك العبدان ، فأنزلاه عن مركوبه و قطعا يديه[3] و رجليه و بقرا بطنه و أتيا به مولاهما الأمير ابن دواس ، لحمله إلى أخته ، فدفنته فى مجلس دارها . و بايع بعده أبا الحسن على و لقبه بالظاهر . و لما بنى الحاكم الجامع المنسوب إليه بالقاهرة ، بنى[4] فيه دار العلم . و أجلس فيها الفقهاء ، ثم بعد ثلاث سنين من بنائها أهدمها ، و قتل خلقا كثيرا ممن كان بها من الفقهاء و المحدثين و أهل الديانة ، و كان يأمر بأن يكتب على حيطان المساجد السب للصحابة ، ثم يأمر بعد مدة بمحوها . و كان يأمر بجمع الأعناب توضع

(١) فى الأصل : تطع.

(٢) كذا فى الأصل كما أمكننا قراءتها مصححة و مطموسة جزئيا ، و تركيب الجملة كما هو فى الأصل غير محكم و لكن المدلول واضح على كل حال .

(٣) فى الأصل : يده .

(٤) فى الأصل : بنا .

على شاطئ النيل و تداس بالبقر فيسيل ماؤها فيه . و كان يمنع الناس من أكل الملوخية [1] و لحوم البقر [1] . و كانت أحكامه متناقضة ، يأمر بالشيء ثم يمنع منه . و كان يأمر بهدم الكنائس التى لليهود و النصارى فتهدم، ثم يأمر بعد مدة ببنائها فتبنى[2] . و له سير غير مرضية لو استقصيتها لرأيت العجائب. منها أنه قال لكتّابه : كم ادّعى لنا الإلهية فى دفترك من رجل؟ قال ستة عشر ألف نفر . [بن ١٦٣ : الف] و سلط على أهل مصر عبيده، فصاروا [3] يؤذونهم و يهجمون[3] (على[4]) دورهم حتى اجتمعوا و قالوا له : إن كان أمير المؤمنين (يأمر[4]) بالرحيل من مصر ارتحلنا ، و وطئ عبد من عبيده امرأة رجل من أكابر أهل مصر غصبا ، فقتلت نفسها من فضيحتها من زوجها و أهلها . و كان جماعة من أهل مصر عملوا صورة امرأة من أقفاص ، و أزروها بازار ، و نقبوها بنقاب ، بيدها قصة كأنها متظلمة ، و أوقفوها على طريق ممره ، فلما اجتاز بها قال : آتونى بقصة هذه المرأة. فلما فتحها رأى ما فيها مما سوّد وجهه من ظلمه و شتمه و لعنه . ففحص عن المرأة، فاذا هى أقفاص صورت ، فعلم أن أهل مصر عملوها . فلذلك سلط عبيده عليهم . و كل ما شكا[5] أهل مصر له يقول : ما أمرتهم

(١-١) مكررة بالأصل .

(٢) فى الأصل : فتبنا .

(٣-٣) فى الأصل : يوذوهم و يهجموا .

(٤) ساقطة من الأصل و تكتمل الجملة بذكرها .

(٥) فى الأصل : شكى .

بشىء مما ذكرتموه . فلما بلغهم قتله كما تقدم ذكره ، فرح الفرح الكامل بذلك . وكانت خلافته خمسة وعشرين سنة .

وللما ولى ولده الظاهر[1] لإعزاز دين الله ، أقام مدة ومات ، فولى بعده المستنصر[2] لدين الله سنة سبع وستين ، فأقام فى الملك ستين سنة وعمّر وزيره الأفضل بن بدر الجمالى أمير الجيوش جامعا بالإسكندرية بالقرب من سوق العطارين . وكان بدر الجمالى مملوكا أرمنيا رباه جمال الدولة ابن عمار . وكان سفاكا للدماء غير مراقب للعواقب . ثم إنه مات على فراشه غير قتيل . وكان ولد[3] الأفضل بن بدر الجمالى وزيرا للمستعلى على الديار المصرية وهو الملقب تاج الملك . فحصل له من الأموال والذخائر ما لم يسمع بمثله . قيل إنه كان له بقصره عشرة[4] مجالس ، فى كل مجلس عشرة[4] مسامير من ذهب ، زنة كل مسمار مائة مثقال ، برسم تعليق عمائمه وبُقجه . وكان عنده [5]صندوقان ملآنان[5] أبر ذهب برسم عصائب حريمه وجواريه . وكان[6] من جملة غلاله من بيع ابن ماشيته فى كل يوم بعشرة آلاف درهم . وكان له من الأموال ما لا تحصره الأقلام . وكان حسن الرأى ، فحل التدبير ، ولم يكن له قصد فى سفك الدم . فقتلته طائفة من الإسماعيلية الملحدة . قال ابن الهبّاريه فى كتابه المعروف

(١) خلافته ٤١١ - ٤٢٧ هـ = ١٠٢٠ - ١٠٣٥ م .
(٢) خلافته ٤٢٧ - ٤٨٧ هـ = ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م .
(٣) فى الأصل : ولده . وهو خطأ قلمى واضح .
(٤) فى الأصل : عشر .
(٥-٥) فى الأصل : صندوقين ملانين . (٦) فى الأصل : كانت .

بالصادح

بالصادح و الباغم و الحازم و العازم و النـاسك و الفاتك فى بدر الجمالى و الأفضل ولده : كان بمصر بدر له عليها الأمر بقتل كل ساعة من أهلها جماعة و يشرب الدماء حتى يخال ما أصلحها بسيفه و جوره و حيفه جزاء كل فعل لديه سوء القتل لما عصاه ولده ، و بان منه نكده خنقه بيده ثم رمى بجسده . ثم غزا .. .. (١) حماته ، لحين قيد الأسرى قال : اقتلوهم صبرا عشرون ألفا كانوا حتى جرى الميدان فى النيل من دمائهم ، و لج فى إفنائهم و هو على ظهر الفرس كضيغم إذا افترس . و مات حتف أنفه لم يعتسف بعسفه . و التاج تاج الملك كان قليل الفتك حرا قليل النفس كملك فى القدس مهذب الشمائل، مقدس الخصائل، موطؤ الأكتاف، ليس بذى اعتساف ، ما سل قط سيفا و لا استجاز حتفا ، مهذب السيرة أعدل وال سيرة ، لا يعرف القساوة ، ليس(٢) له تفرق فى المنام من شرطة الحجام ، يرحم من يقصد لشىء ، لا يقصد برفقه ..... (٣) و قتل المسكين و أيما قَتَل قتِل فصل منه ما وصل، ليعلم اللبيب أن القضاء عجيب، و أن للقصاص يوما [ن ١٦٣ : ب] بسوء العاصى ، و أمر هذى الدار للاعتبار جار(٤) ، ليس له جزاء لكنه ابتلاء .

(١) مكان هـذا البياض بالأصل كلمتان أو ثلاثة يصعب استيضاحها فى سياق العبارة ، و من الجائز قراءتها : لميراثه إذ ظن . ـ و بالكلام فى هذا القسم ركاكة فى التركيب و غموض فى المعنى .

(٢) فى الأصل : ليست .

(٣) هنا أيضا كلمة لا تقرأ تركنا مكانها بياضا و السياق مفهوم .

(٤) فى الأصل : جارى .

و الأفضل هذا هو الذى بنى الجامع بالإسكندرية، فصار بها جامعان [١] جامع غربى و جامع شرقى، و الغربى هو العتيق، و كان موضعه دير للروم، فزاد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الآتى ذكره فيه زيادة كبيرة. و أهل الإسكندرية يحبون السعى إليه و الصلاة فيه. و الجامع الشرقى هو الجديد، و هو القريب من سوق العطارين. و كان الفراغ من عمارة بدر الجمالى له فى سنة ست و سبعين و أربعمائة، و هو المعروف بالإسكندرية بالجامع الجيوشى. و كان بانيه المذكور من الشيعة الذين يقولون فى أذانهم حى على خير العمل، فدام ذلك فى الأذان بالجامع المذكور إلى أن انقرضت دولة العبيديين الشيعيين. و أقبلت دولة السنيين، فأبطلوا منه ما كانت الشيعة تقوله فى أذانهم، ثم بطلت الخطبة و الجمعة منه و استمرت بالجامع الغربى مدة سنين. فلم تزل كذلك إلى أن ولى قضاء الإسكندرية فخر الدين أحمد بن مسكين الشافعى عوضا عن المالكية لأمور يطول شرحها، و ذلك فى دولة السلطان الناصر محمد بن المنصور قلاوون، فأقام به الخطبة و الجمعة فاستمرت به إلى الآن.

و فى معنى ما كانت الشيعة تقول فى أذانهم من قولهم حى على خير العمل نظم الشيخ الفاضل بهاء الدين عبد الله بن تاج الدين محمد الدماميني فى شاب جميل رافضى أبياتا و هى:

ما سلّ سيف لحظة إلا قتل   و طرفه أنفذ من وقع الأسل

(١) فى الأصل: جامعين.

فارس حسن لا يبالى أن سطا   بلحظـه فى دهره بمن حمل
قلت وقد فرق حاجباه لى   ما أضعف القوس وأقوى البطل
مذهب الرفض فما أحسبه   ينفر من حى على خير العمل

وفى ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة ولى معين الدين محمد ابن الشيخ بهاء الدين عبد الله المذكور نظر الإسكندرية ، فشرع فى ترميم الجامع الغربى بها فرمّه وجدد بياضه ، فشكر على ذلك وصار له به تذكار على مر الدهر بما نقش على الرخامة التى فيها تاريخ ذلك واسمه أيضا بأعلى بابه الشرقى والقبلى من أبواب الجامع ، وكانت الرخامة مزخرفة بالذهب واللازورد . تم[1] فى سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وسيأتى سبب قلعها وبياض مكانها إن شاء الله تعالى .

ولما كان فى وقت العصر من يوم الثلاثاء الحادى عشر من ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة سقط عمود من الجامع الشرقى فتكسر قطعا ، ولم يحصل بوقوعه لأحد ضرر . وكان ناظره إذ ذاك قاضى القضاة كمال الدين ابن قاضى القضاة جمال الدين ابن قاضى القضاة شمس الدين سبط النبى[2] ، فقال الشيخ بهاء الدين عبد الله والد الناظر المذكور فى تجديد والده معين الدين محمد فى بياض الجامع الغربى وسقوط العمود من الجامع الشرقى :

بين ....[3] هما الجامع الشرقى صنع محمد
بجامعنا الغربى لما تضعضعا

(١) فى الأصل قراءة الكلمة أقرب إلى « ثم » ولكن السياق يقتضى « تم » .
(٢) كذا ظهرت بالأصل ولو أنها مشكوكة فى قراءتها .
(٣) كلمة أو بعض كلمة مطموسة .

تميز غيظا و استشاط تنمرا
و خر [1]عمود غيره[1] فتقطعا

فقلع قاضى القضاة كمال الدين عمودا من الجانب البحرى من الجامع المذكور و وضعه مكان العمود الساقط ، و أخذ عمودا من فندق الموز[2] الذى بشارع المرجانيين المنهدم [بن ١٦٤ : الف] بعمل الفرنج حين الوقعة و وضعه مكان العمود بسرعة . ثم أن الشيخ الفاضل شهاب الدين أحمد سليل الشيخ الصالح أبى العباس أحمد الشهير بالشاطر الدمنهورى لما بلغه [3]البيتان المذكوران[3] نظم ثلاثة أبيات ردا على قائلهما فقال :

أنزّه بيت الله عن قول من هجا   لجامعنا الشرقى تدعدعا
أ يزعم جهلا أنه اغتاظ إذ رأى   أخاه بأبواب البياض تلمعا
و حاشا من غيظ به غير أنه   من الذكر أضحى خاشعا متصدعا

فلما وقف الشيخ بهاء الدين عبد الله عليها أجابه بأبيات و هى :

أ يضحك أم يبكى من الحزن جامع   به الدين و الذكر المبين تجمعا
و لم لا نبكيه و نبكى تأسفا   و صوّت فيه اليوم جهرا و رجعا

(١ - ١) فى الأصل تصحيح جائز أن يكون بنفس القلم دون شطب : عموده غبطا ـ و الغالب أن الكلمة الثانية « غيظ » لكن الوزن يقتضى استعمال الأصل الغير المصحح

(٢) و ربما كانت الكلمة « الموزة » .

(٣ - ٣) فى الأصل : البيتين المذكورين ـ بدون نقط .

و عممه جيش البـــلاد و اميره[١] … مداه[٢] الدهر حزنا بالسواد تبرقعا
تـهـدم مـنـه بعضــه بجميـه … على الـكل يبكى حسرة و تفجعا
فمن يلك[٣] هذا وصفه و صفاته … أ يفرح أم يبدى أسى و توجعا
و لم أتخذ عجزا سوى أن مقصدى … أ ذكر جهدى أو أصادف موقعا
و قصدى بــه و الله يعلم أننى … أريد بـه خيرا و صـاحبه معا
فكيف و إنى بـاعتذارك خاطئا … يخفّض جهلا حـا له الله يرفعا
و كيف بـه و الأفضلية فرّقت … مكانيهما شخصا و ذاتا و موضعا
فأنت بنـا تبـــدى و عيشك عالم … و ذلك يـا منقذى بعلم تشيعا
و أنى لك الذكرى و لو شاه مقولى … لشرمط أوصال العريض و قطّعا[٤]
و لـكنّ تقوى الله عن ذا تصدنى … و شيبة إيمـانى و راعيت مارعا
و حسبك أن تثنى عنـانك مقلعـا … و إلا فاتنى عنك عنقاء و أجذعا
و حسبك تركى أو أصادف مقتلا … و إن ليس للانسان إلا ما سعا

قال المؤلف رحمه الله تعالى: و لما وقفت على الأبيات الأولى و الثانية نظمت

---

(١) اقرأ الـكلمة « و ميره » يستقيم بها ميزان الشعر .

(٢) فى الأصل : مد .

(٣) فى الأصل : يكن .

(٤) فى الأصل : و بضعا . ـ و لا بد أن تكون الـكلمة « و قطعا » لانسجامها مع كلمة « لشرمط » فى نفس البيت و هى لفظة من العربى المصرى الدارج و تحمل نفس المعنى الذى تؤديه لفظه « و قطعا » و الأبيات فى مجموعها من نوع المناظرة و الأدب الشعبى السكندرى فى القرن الرابع عشر الميلادى .

أبياتا فى الجامعين المذكورين ساويت بينهما فى الأفضلية و العمارة و هى :

رأى الجامع الشرقى ترميم جامع   بغربى ثغر بالبياض تلفعا
فسر له الشرقى عند سماعه   لذاك فأضحى خاشعا متصدعا
فأكرم به من خشية و مسرة   لحسن صنيع من معين به سعا
لجرده حتى لقد صار روضة   لكل رفيع القدر زال تورعا
و سُرّ به الغربى عند إقامة   به لعمود بالعمارة أسرعا
فسُرّ جميعا بالعمارة فيهما   فطوبى لمن بالجامعين تركعا
فيرجا له الغفران من فضل ربه   ليبلغ بالغفران بالخلد موضعا
لسان النويرى بالمديح مقصر   بما قاله فى الجامعين و أودعا

و فى المحرم سنة ثلاث و سبعين و سبعمائة رمّم الجامع الشرقى و كسى بالبياض فقلت فيه :

غدا الجامع الشرقى بالحسن مبدعا   له بهجة يصبوا له كل من سعا
بياض له كالياسمين تخاله   كدُرّ على حيطانه مترصعا
حوى روضة خضراء فى وسط صحنه   فأصبح ذاك الروض ريّان مترعا
تمايل فى بيض الثياب و حسنها   و خير الثياب البيض لونا منصعا
رأى الجامع الغربى حسن بياضه   فصار الناس حسنهما معا
سور[1] على الغربى (عا)د[2] ضياؤه   و نور على الشرقى ضاه مشعشعا

(١) فى الأصل : صور .
(٢) الكلمة مطموسة جزئيا .

لسان النويرى[1] بالمدائح فيهما كشند وكافور و مسك تضوعا

[ن ١٦٤ : ب] - انتهى .

ثم ان معين الدين الناظر المتقدم ذكره أقام ناظرا بالإسكندرية نحو سنة و عزل منها ، فأقام مدة بطالا ، فسعى بالقاهرة أن يكون الجامع الغربى تحت نظره ، لحسب تجديده لعمارته عوضا عن عزله عن نظارته و عوضا عن ناظره موفق الدين العوفى الذى هو من ذرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فكان موفق الدين المذكور هو الذى جدوده لهم النظر خلفا عن سلف على الجامع المذكور. فلما بلغ موفق الدين السعى عليه فى نظر الجامع توجه إلى القاهرة و قدم للسلطان الملك الأشرف شعبان تواقيع الملوك السالفة بتواتر النظر له و لأجداده ، فرسم السلطان الملك الأشرف شعبان باستمراره على جارى عادته من غير معارض له و لا منازع . فلما قدم إلى الإسكندرية قلع الرخامة التى نقش عليها معين الدين الدمامينى الناظر كان اسمه بها ، فقلعها من أعلا الباب و بيّض مكان الرخامة المذكورة بعد البناء حتى لم يصر لها أثر . وكانت هذه الرخامة مزخرفة بورق الذهب و اللازورد أيضا ، فنسخ حكمها و ذهب رسمها ، و استمر موفق الدين العوفى على جارى عادته فى النظر على الجامع المذكور .

و قد تغلغل بناء الكلام وتشعب إلى أن خرجنا عما كنا فيه من أخبار

---

(١) من الأمثلة المعدودة التى يذكر المؤلف اسمه فيها بصلب الكتاب . و هذا طبعا مثل من شعره ولا يعتبر من الأدب الرفيع ، و لكنه من أمثلة الأدب السكندرى بهذا العصر .

العبيديين و هم أربعة عشر خليفة ، فانقرضت[1] دولتهم بوفاة العاضد ، و ذلك فى سنة ست و ستين وخمسمائة ، و أول دولتهم بمصر سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة[2] ، فكان ملكهم بمصر مائتين و سبعين سنة ، فصاروا كما قال الشاعر :

وأناس قعد الدهر بهم   زالت الأيام عنهم و الليالى

وكان الناس فى قلق شديد فى زمن دولتهم . و قتل المعز فى دولته الشيخ الصالح أبا بكر النابلسى ، وكان بلغه عنه أنه قال : لو كان معى عشرة أسهم قاتلت الروم بتسعة و قاتلت العبيديين بواحد . فأحضره و قال له : أنت القائل كذا و كذا . فقال : لم أقل ذلك . و لكنى قلت : لو كان معى عشرة أسهم قاتلت الروم بواحد و قاتلت العبيديين بتسعة . قال : و لم؟ قال : لأنكم غيرتم الرعية و قتلتم الصالحين . فأمر به فضرب بالسياط ضربا شديدا . ثم أمر به فسلخ و هو حى . و ذلك أنه جئ بيهودى ، فجعل اليهودى يسلخه و أبو بكر يقرأ القرآن . قال اليهودى فأخذتنى رأفة . فلما بلغت تلقاء قلبه طعنت بالسكين فمات تخفيفا له من عذاب السلخ. فقيل أبو بكر الشهيد . و اشتهر بالشهيد و إليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلى الآن . فينبغى للإنسان أن لا يتعرض لذى سلطان بالكلام

(١) فى الأصل : فانقرت . و هو خطأ فنى واضح .

(٢) التاريخ المضبوط لحكم الفاطميين فى مصر يوم دخول المعز بها سنة ٣٦٢ هـ = ٩٧٣ م و سبقه دخول جوهر سنة ٣٥٦ هـ = ٩٦٩ م . أما نهاية الدولة فكان فى سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م .

الحاد و خاصة المغاربة فانهم يتنكون(١) من الكلام الفاضح، فيكون قد ألقى نفسه إلى الهلاك. قال الله تعالى: "و لا تلقوا بايديكم الى التهلكة(٢)". و فى المثل السائر: اللسان سيف الإنسان، إن حسّن الضرب به نجا، و إلا مات موت الفجا _ انتهى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى وقفت على بعض التواريخ فرأيت فيه نسخة محضر كتب فى جملة محاضر يتضمن الطعن و القدح فى نسب الخلفاء العبيديين الذين يزعمون أنهم فاطميون، ليسوا كذلك بل نسبتهم إلى ديصان بن سعيد الخرمى فى الدين، و كتب فى ذلك [ب ١٦٥: الف] جماعة من العلماء و الفضلة و الفقهاء و الأشراف و الأماثل و المعدّلين و الصالحين. و سأذكر نص المحضر و هو: شهدوا شهوده الواضعون خطوطهم آخره، شهدوا جميعا أن الناجم بمصر و هو المنصور بن نزار الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزى والنكال والاستئصال، ابن العزيز بن المعز معد بن إسمعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله، فانه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله و تلقب بالمهدى. و من تقدم من سلفه من الأراجس و الأنجاس عليه و عليهم لعنة الله و لعنة اللاعنين، إذ هم خوارج لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب، و لا يتعلقون منه بسبب، و أنه منزّه عن باطلهم و زورهم، و أنه لا يعلمون أن أحدا من أهل بيوتات الطالبيين توقف عن إطلاق القول فى هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء. و قد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعا فى الحرمين و فى ...(٣) و له

(١) فى الأصل: يتنكوا. (٢) قرآن كريم ٢: ١٩٥.

(٣) هنا سقوط واضح من بن رغم استمرار الكلام فتركنا بياضا للدلالة عليه.

أمرهم بالمغرب ينتشر انتشار المنع من أن يدلس على أحد كذبهم أو يذهب وهم إلى تصديقهم ، و أن هذا الناجم بمصر هو و سلفه دار فسّاق فجار و ملحدون و زنادقة معطلون و للاسلام جاحدون و لمذهب الثنوية و المجوسية معتقدون ، قد عطلوا الحدود و أباحوا الفروج و أحلوا الخمور و سفكوا الدماء و سبوا الأنبياء و ادعوا الربوبية . و ذلك أن الحاكم العبيدى قال لكاتبه : كم ادعى لنا الآن الربوبية من رجل فى حسابك ؟ فقال: ستة عشر ألف رجل ـ انتهى .

نعود إلى ذكر المعز جد الحاكم . قيل إن المعز معد لما دخل مصر ، و جلس على سرير الملك قال له الشريف طباطبا: يعرض علينا الملك نسبه . فلما قال له ذلك كشف عن دنانير فى منديل و جرد عن بعض سيفه ـ و كان أعدهما لذلك لأنه علم أنهم لا بد أن يسألوه عن نسبه . فقال المعز[1] فى جوابه : هذا حسبي ـ و أشار إلى الذهب ، و قال : هذا نسبي ـ و أشار إلى السيف . فمن رضى فله هذا و أشار إلى الذهب ، و من سخط فله هذا و أشار إلى السيف . فلما قال المعز ذلك قال جميع الحاضرين بمجلسه : سمعنا و أطعنا رغبة و رهبة . قال بعضهم فى المعز علقوا صارما ، و قالوا صدقنا . فأجبنا معا سمعنا و أطعنا . فهذا يدل على كذبهم فى أنسابهم الذين ادعوها ، إذ ليس لدعواهم صحة فى قولهم نحن [2] عبيديون فاطميون [2] .

---

(١) فى الأصل :الشريف . و هو خطأ واضح صححناه فى النص .

(٢-٢) فى الأصل : عبيديين فاطميين .

[الدولة الأيوبية]

و لما انقرضت دولتهم بموت العاضد، تسلطن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب. فأمر بالدعاء فى الخطبة لبنى العباس كما كانت أولا، و خطب الخليفة المستضىء[1] بنور الله أحد خلفاء بنى العباس، و قطع من الأذان حى على خير العمل من الديار المصرية كلها. و صنف الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى كتابا سماه السراج المضىء فى خلافة المستضىء. و صار السلطان صلاح الدين يوسف[2] نائبا له بمصر على ما كانت عليه خلفاء بنى العباس الأول. و هرب نزار العاضد و الأمير كنز الدولة إلى ناحية أسوان خوفا من السلطان، فجهز إليهما جيشا مقدمه أبو بكر القائم بعده فقتل نزار بن العاضد، و الأمير كنز الدولة. و صارت ذرية كنز الدولة إلى الآن بأسوان يعرفون بأولاد كنز الدولة. ثم أن السلطان صلاح الدين يوسف أقطع الفيوم لأخيه تقى الدين بن أيوب، فسكن به و عمر على خليج المنهى دوره. و هو الخليج المنسوب حفره لنبى الله يوسف الصديق عليه السلام. فأقام بالفيوم سنين ثم نقله السلطان من الفيوم إلى مدينة حماة، فوقف داره الكبيرة مدرسة على طائفة الفقهاء المالكية. و بناؤها على رتبة ديار الاسكندرية بمجلس مطوى الأبواب [ن ١٦٥ : ب] بيادهنج

(١) خلافته ببغداد ٥٦٦ - ٥٧٥ هـ = ١١٧٠ - ١١٨٠ م.

(٢) سلطنته بمصر ٥٦٤ - ٥٨٩ هـ = ١١٦٩ - ١١٩٣ م.

فى صدره يلقى الهواء فيه ، و أكام بجانب المجلس ، قاعة وصفتين متقابلتين و بيت عرضى فى صدره شبابيك مشرفة على خليج المنهى ، و جعل حرمية الدار المذكورة (و)قفا[1] على طائفة فقهاء الشافعية ، و وقف دارا أخرى مجاورة لها على طائفة فقهاء الصوفية ، و أقام بها[2] محاريب و تركها[3] على ذلك على بنائها[4] الأول ، و محراب الدار الكبيرة بصدر مجلسها . و وقف على المدرستين و الخانقاه وقوفا كثيرة من أملاك [5]تجار أراضى[5] تزرع ، و مقاسم مياه تقسم على تلك الأراضى الموقوفة تسقيها ، و هى مستمرة جارية عليها إلى الآن ، جزاه الله تعالى عن فعله خيرا .

[المؤلف و ظفر القبرسى بالاسكندرية]

قال المؤلف رحمه الله تعالى : و لما ظفر القبرسى بالإسكندرية فى آخر المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة ، و شرد غالب أهلها منها ، خرجت بعيالى معهم ، فقصدت بلدة النويرة[6] بالصعيد الأدنى من مصر ، إذ ذاك مدرس المدرسة المالكية بمدينة الفيوم الشيخ الإمام العالم

---

(١) فى الأصل : قفا ـ و واضح خطأها القلمى للفظة « وقفا » .

(٢) فى الأصل : بهم .

(٣) فى الأصل : و تركهم .

(٤) فى الأصل : بنائهم .

(٥ـ٥) يجوز قراءة الكلمتين : تجا و أراضى ـ و لا تفيد معنى ، و القراءة الأخرى تفيد معنى أخذنا به رغم غرابته .

(٦) من القرى البوصيرية بالصعيد الأوسط ـ ذكرها ابن مماتى (كتاب قوانين الدواوين) ص ١٠٣ و قد نسب إليها المؤلف .

شرف

شرف الدين أبو حفص عمر ابن الشيخ الإمام العالم تاج المدرس بها قبله ابن الشيخ الإمام العالم شرف الدين الشهير بابن سعيد الناس، فصار متشوقا لرؤيتي، و ذلك للصحبة التي بيني و بينه ببلد النويرة من المكتب و بالاشتغال بالقاهرة بالمدرسة المنصورية لأخبره بما اتفق بالإسكندرية. فمدحته بأبيات ذكرت فيها ما اتفق بها، و سرت بها إليه فسلمت عليه، فسر بقدومي و ورودي عليه، فقرأتها بين يديه بمجلسه العام، فتعجب من ذلك و تألم لما جرى للمسلمين. و سأذكر هنا بعض تلك الأبيات و هي:

يا سيد العلماء لا يخفاك ما   قد شاع في و علا و في الديماس
بمصيبة نزلت بأهل مدينة   محروسة بالجيش و الأحراس
نهبت بأيدي كل علج كافر   متعطل متجهم خناس
من قبرس جاء بسفن خلتها   بقلوعها تزهو على القرطاس
أعني بها إسكندرية أنها   بلد العلوم و قاعة الإيناس
أتت الفرنج إلى محل ديارها   بالمرهفات تجلّبوا[1] بلباس
من أعين الزرد النضيد تسربلوا   و تنكبوا بوقارة الأقواس
و البيض فوق رؤسهم مصقولة   موضوعة كالوزن بالقسطاس
لاقتهم جمع المغاربة التي   من تونس أو ضيغم مكناسي
رمت الفرنج عليهم فتراجعوا   عنهم ففروا مع رعاع الناس
فسعى العدو وراءهم بسلاحه   ضربوا الحسوم و سفقوا للراس
فروا لعلة جمعهم ولو انهم   جمعا كبيرا من مدينة فاس

(١) و جائز أن تكون: تجلببوا.

كانوا محوا كلّ[1] الفرنج بأسرهم ... بحصيدهم لجميعهم و الراس

قصدوا المدينة أحرقوا بابا لها ... يدعا بباب الورد بين الناس

بابا صغير القد منه بضايعا ... تبتاع[2] فى الديوان بالأكياس

هجموا من الباب المعيّن ذكره ... دخلوا و كروا كرة فى الناس

٥ فسعوا ورا من فر عند دخولهم ... سفكوا الدماء بكل قلب قاس

أسروا الأسارى قبل نهب ديارها ... جالوا كجولة لعبة البرجاس

شردت أناس مسلمون تشتتوا ... من بعد عز فى بلاد الناس

حيرى تراهم فى البلاد بذلة ... من كثرة الإعدام و الإفلاس

فشردت معهم بالعيال مشتتا ... و لهان من ذعر و جرى[3] الناس

١٠ و تركت كتبى و الأثاث جميعه ... حيران أضرب أخمسى أسداسى

بلد النويرة (قد[4]) قصدت بعلتى ... قدما بها وطنى و كناسى[5]

و تشوقت نفسى لرؤية سيد ... يدعا جهارا بابن سيد الناس

و منها فى المدح:

يا من غدا بمدينة الفيوم فى ... عز جليل شائع فى الناس

---

(١) فى الأصل جميع . و لفظة « كل » تساويها و يتزن البيت بها فأبدلناها .

(٢) فى الأصل: تنباع . وهى اللفظة المعروفة بين الشعب فى اللهجة المصرية الدارجة .

(٣) فى الأصل: جرى ــ بدون واو العطف و هى لازمة للسياق و وزن البيت .

(٤) غير موجودة بالأصل . و بزيادتها يتزن الشطر الأول من هذا البيت .

(٥) الشطر الثانى من البيت مكسور ، و هو كذلك بالأصل ، و جائز أن تكون كلمة « كناسى » بالشين بدل السين لاستقامة المعنى و ليس القافية .

يا من لدرس المالكية شاده بفضائل مأسوسة بأساس
يا سيدا يا ماجدا بمدينة قد أسست فيما مضى بأساس
من حين وضع حجارة اللاهون بالمنهيّ[1] كالجبل الشديد الراسي
ان ابن قاسم مخلصا لك بالدعا يرجو الإجابة من إله الناس
لازلت محروس الجناب بغبطة فى نعمة مثبوتة الأغراس ٥ [ن١٦٦:الف]
ما رجّعت فى الأيك شجع حمامة وتجلّلت[2] من ريشها بلباس
والله يمتع من فوايدك الورى حتى يصيروا من حلاك كؤاسى[3]

[ذكر الصوفية]

نعود - و لما حبس تقى الدين بن أيوب مدرستيه و خانقته على العلماء و الصوفية[4] ابتغاء مرضاة[5] الله ، حصل له بذلك الأجر الكبير عند الله ، لأن ١٠ المدارس بنيت للاشتغال بالعلوم الشرعية ، لأنها أركان من المعادن الجوهر . قال بعضهم : العلم صحبته مهابة و جلالة . و العلم من كنوز الجوهر . و قال : العلم بحر و الفهم جواهره ، و الفكر غوّاصه ، و عن الأنبياء مأخذه ، و العقل مدركه ، و اللسان ترجمانه ، و أهله[6] تجاره ، و الله

(١) لا بد من تشديد ياء « بالمنهى » لضبط ميزان البيت .
(٢) فى الأصل : تجلت .
(٣) فى الأصل « كوسا » و يقتضى وزن الشعر جعلها « كؤاسى » .
(٤) فى الأصل : و الصوفة .
(٥) فى الأصل : مرضات .
(٦) فى الأصل : و أهل . به نسخناها « أهله » أى أهل العلم .

المكافئ عليه فى الدنيا و الآخرة . و كذلك الخوانق بنيت للتجرد عما سوى الله ، المشتغل بتزكية نفسه بالأخلاق الجميلة ، العاكف على عبادة الله المشتغل بالآخرة عن الدنيا ، المجرد عن الأسباب ، المتزيى[1] بزى الصوفية ، الذى قد ترك الدنيا ، و لبس المرقع و تزيا بزى لباس الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و غيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ....[2] آدم[3] عليه السلام لما تطايرت عنه فى الجنة أثوابه ، و حلته و تاجه و جلبابه ، و طال منه[4] مدته[5] و انتحابه ، عدل هو و حواء[6] بالمسكنة و الذلة ، و هما تحت هون المعصية و الزلة ، إلى ورق الشجر فقد رآه على ما تناسب القدر . و ألقيا طولا لعرض و عرضا لطول ، و خصفا كلاهما ذلك الورق بعضه إلى بعض تلميا و ترقيعا ، و سترا به عورتهما . و إن نوحا عليه السلام كان له قميص مطرف الذيل ، و كان الكفار يقصدون كعبيه بالأحجار فيتمزق فيزيله و يعمل عوضه . و إن شعيبا عليه السلام كان يلبس قميصا من جلود ، و كان اسمه فى زمانه الرهط . فقال فى قصته "و لو لا رهطك

(١) فى الأصل : المتريا .

(٢) كلمة مطموسة بالأصل و المقروء : و ف .

(٣) الكلمة مطموسة جزئيا .

(٤) جاز قراءة الكلمة « عنه » .

(٥) كذا فى الأصل و لعل الكلمة « عدمه » من السياق .

(٦) فى الأصل : و حوى .

لرجمنك و ما انت علينا بعزيز(١)». و إن إبراهيم عليه السلام اتخذ له جبة و طوقها جيبا من أديم. و إن يحيى بن زكريا عليهما(٢) السلام كان لباسه مدة حياته مرقعة. و كان أبوه زكريا يأتيه بأثواب غيرها فلا يلبسها. فلما علم قصده تركه. و إن المسيح عليه السلام كان يلبس الصوف. و يركب الحمار، و يجعل كلتا رجليه إلى جانب واحد ركوب المتذللين. و كان نبينا محمد صلى الله عليه و سلم أزهد الناس فى الدنيا مع القدرة على تحصيلها، و لكن نظر إليها بعين البصيرة، فعلم أنها حقيرة. و الإجماع على أن أبا بكر رضى الله عنه تخلل بالعبا. و أن عمر رضى الله تعالى عنه كانت عليه مرقعة فيها أربع عشرة رقعة. و سأذكر هنا حكاية اتفقت له فى أيام الجاهلية. روى أنه رضى الله عنه(٣) مضى فى أيام الجاهلية إلى دمشق فى تجار قريش. فلما خرجوا من دمشق تخلف عمر لبعض حاجته، فبينما هو بالبلد إذ ببطريق أخذ بعنقه، فذهب عمر ينازعه فلم يقدر، فأخذه البطريق و أدخله دارا فيها تراب، و مجرفة أو فأس و زنبيل فقال له: حوّل هذا من هنا إلى هنا. و أغلق عليه الباب و انصرف. فلم يجيء إلى نصف النهار. قال عمر: و جلست مفكرا و لم أفعل مما قال لى شيئا. فلما جاء قال: ما لك لم تفعل؟ و ضربنى فى رأسى بيده. قال: فأخذت الفأس و ضربته به فقتلته و خرجت على وجهى، فجئت دير الراهب فجلست عنده

(١) قرآن كريم ١١ : ٩١.
(٢) فى الأصل: عليهم.
(٣) فى الأصل زيد هنا فى الجملة لفظة «فيما» و حذفها ضرورى لصحة الجملة و انتظام معناها.

فأشرف[1] عليّ فنزل و أدخلني الدير و أطعمني و سقاني و جعل يحقق النظر فيّ و سألني عن أمري . فقلت : إني أضللت أصحابي ، فقال : إنك لتنظر بعين خائف . و جعل يتوسمني ثم قال : لقد علم أهل النصرانية أني أعلمهم بكتابهم ، و إني لأراك الذي تخرجنا من بلادنا هذه ، فهل لك أن تكتب لي كتاب أمان على ديري هذا ؟ فقلت له : يا هذا لقد ذهبت غير مذهب . فلم يزل [بن ١٦٦ : ب] بي حتى كتبت له في صحيفة ما طلب مني . فلما كان وقت الإنصراف أعطاني دابة ، فقال : اركبها ، فاذا وصلت إلى أصحابك فابعث إليّ بها وحدها ، فانها لا تمر بدير في طريقها إلا أكرموها . ففعلت ما أمرني به . فلما جاء و ولي عمر الخلافة قدم بيت المقدس بسبب فتحه . أتاه ذلك الراهب بتلك الصحيفة فأمضاها له و اشترط عليه ضيافة من يمر به من المسلمين و أن يرشده إلى الطريق - انتهى .

نعود - و إن عثمان[2] رضي الله عنه كان إذا قام لصلاة الليل لبس مرقعة و يختم القرآن في ركعة . و إن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه مشى في بعض طرقاته و عليه قميص جديد . فعدل إلى نجار فقطع كميه و قال يذهل مع الدهر . و كتب[3] [بر ٢١٨ : الف] [4] إلى سهل ابن حنيف فقال : رقعت قميصي حتى استحييت من راقعه . و إن عائشة رضي الله عنها كانت ذات يوم ترقع قميصا لها و تنشد :

البس جديدك إني لابس خلق ... و لا جديد لمن لا يرقع الخلقا

(١) الكلمة مطموسة في الأصل . (٢) في الأصل : عثمن .

(٣) هنا ينتهي الجزء الساقط من بر و ما أخذناه عن بن .

(٤) من هذه الكلمة يستأنف الكلام في بر و بن على السواء .

و إن أهل[1] الصفّة و هم أربعمائة نفس منهم عبد الله بن مسعود و أبو هريرة و سلمان الفارسى و بلال بن حمامة و ابن أم مكتوم و غيرهم، [2]كانوا يأوون إلى صفة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم[2] . و كان لهم مرقعات لجماهم ، فمن عنّ[3] له حاجة إلى ظاهر الصفة لبسها و قضى حاجته و إذا عاد نزعها . و قد أجمع الناس فى زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم على أن لابسها ما رآه أحد فى مقام الفاسقين ، بل هو من الطالبين المخبتين . قال الله تعالى : "و بشر المخبتين[4]" و الإخبات من أوائل[5] مقام الطمانينة .

[بن ١٦٦ : ب] [6]و ينبغى للمريد أن يلبس ما يليق بـه كالأزرق و البرانس الخشنة . فى الأزرق إشارة إلى القلب سماوى . و فى الخشن حث على القناعة . و اختلف لما سميت الصوفية بهذا الاسم ، فذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه لبس الأنبياء عليهم السلام . و روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : مر بالصخرة من الروحا سبعون نبيا عليهم العبا يؤمون[7]

---

(١) فى هامش بر . عدة أهل الصفة .

(٢-٢) العبارة ساقطة من بن [١٦٦ : ب] .

(٣) فى بن : عم .

(٤) قرآن كريم ٢٢ : ٣٤ .

(٥) فى بن : اول .

(٦) ابتداء من هنا قسم ساقط من بر و وارد فى بن [١٦٦ : ب إلى ١٦٧ : ب] و يستأنف الكلام فى كل من بر و بن من «نعود إلى أخبار السلطان صلاح الدين» .

(٧) فى الأصل : ياموون .

البيت الحرام. و قيل إن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف و الشعر و يأكل من....[1] و يبيت حيث أمسى. و قال النبي صلى الله عليه و سلم: ثلاث خصال يحبها الله عز و جل في عباده: من تواضع لله و خشع قلبه و رضي بالفقر و لبس الدون من الثياب. قيل: يا رسول الله و ما الدون من الثياب؟ قال: الصوف. و قال: الحسن البصري: لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف، و كان اختيارهم لبس الصوف. و قيل سموا صوفية لأنهم أهل الصف الأول في عالم الأرواح. فقد روى أن الأرواح كانت في أربع صفوف، الصف الأول هم الأنبياء و خواص الأولياء، و الصف الثاني هم المؤمنون، و الصف الثالث هم المسلمون، و الصف الرابع هم الكفار و المنافقون. و ورد في الخبر ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام من ثمانية أشياء، من طين و من ماء و من شمس و من سحاب و من نور و من حجر و من بحر و من روح القدس؛ فجعل من الطين لحمه، و من الحجر عظمه، و من البحر دمعه، و من السحاب همومه، و من النور قلبه. و من روح القدس إيمانه، ثم جعل الله تعالى لكل واحدة من هذه الخصال الثمانية دولة عند وقع الماء الدافق في الأرحام. فمعنى ذلك أنه إذا وافق الإفضاء دولة الطين جاء الولد أحمق لا عقل له. و إذا وافق دولة الحجر جاء الولد جهم الوجه فاسق القلب. و إذا وافق الإفضاء دولة الشمس جاء الولد صبيح الوجه، و إذا وافق الإفضاء [بن ١٦٧: الف] دولة السحاب جاء الولد طائشا كثير اللوم يسافر من موضع إلى موضع لا يستقر في مكان أبدا، و إذا وافق الإفضاء دولة الريح جاء

(١) هنا سقوط واضح من بن رغم استمرار الكلام تركنا فيه بعض بياض.

لولد

الولد قويا لا يستطاع عليه لشدته ، و إذا وافق الإفضاء دولة النور جاء الولد عالما بعيد الغضب ، و إذا وافق الإفضاء دولة القدس جاء الولد جيدا تقيا ذا دين و أمانة .

و قال ابن عباس إن الله عز و جل . . . .(١) فى يوم ثلاثة عساكر ، عسكر من أصلاب الرجال إلى بطون النساء ، و عسكر من بطون النساء إلى دار الدنيا ، و عسكر من دار الدنيا إلى طباق الأرض . قال الشاعر :

رأيت بنى الدنيا كوفدين كل ما ترحّل وفد حل فى إثره وفد
فكل ترجّى السير فيها و دونها يروح بذى(٢) نعش و يغدو بذى(٢) مهد ـ انتهى

نعود ، و قيل سميت الصوفية بهذا الاسم إلى الصفة التى كانت الفقراء المهاجرين على رسول الله صلى الله عليه و سلم . قال الله تعالى فى حقهم للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله هذا ، و إن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوى ، و لكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية(٣) تشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين مصاحبين لله فى الله كأصحاب الصفة و كانوا نحوا من أربعمائة رجل و لم يكن لهم مساكن بالدنيا و لا عشائر ، جعلوا أنفسهم فى المسجد كاجتماع الصوفية قديما و حديثا فى الزوايا و الربط ، و كانوا لا يرجعون إلى زرع و لا ضرع و لا إلى تجارة ، و كانوا يخضبون الخطب و يرضخون النوى بالنهار و بالليل يشتغلون بالعبادة و تعلم العلم و قراءة القرآن . و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يواسيهم و يحض الناس على مواساتهم ، و يجلس معهم ، و يأكل معهم ، و فيهم

(١) هنا سقط واضح فى النص رغم استمرار العبارة فى الأصل فتركنا بياضا للدلالة عليه . (٢) فى الأصل : بذا .

(٣) الكلمة مطموسة بالأصل و لكن قراءتها واضحة من النص و السياق .

نزل قوله تعالى: "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشى يريدون[٢] وجهه"[١] ونزل فى أم مكتوم الأعمى: "عبس وتولى ان جاءه الأعمى[٣]" وكان من أهل الصفة. عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أهل الصفة، فرأى فقرهم وجهادهم وطيب قلوبهم فقال: أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقى منكم على النعت الذى أنتم عليه راضيا بما هو فيه فانه من رفقائى يوم القيامة[٤]. ولم يكن هذا الاسم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أعنى الصوفى - وكان فى زمن التابعين. ونقل عن الحسن البصرى أنه قال: رأيت صوفيا فى الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال: معى أربع دوانق يكفينى ما معى، والدانق درهم وثلث[٥] درهم، فيكون ما معه ستة دراهم وثلثا[٥] درهم، وهو يعد نفسه غنيا. وقيل إن الصوفية لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار والتخفى والتوارى، كانوا كالخرقة المرماة، والصوفة المرمية التى لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها، فيقال صوفى بالنسبة إلى الصوفة، كما يقال كوفى بالنسبة إلى الكوفة. وقيل الصوفية كانوا يخدمون الكعبة، وقيل سموا بذلك لأنهم تشبكوا تشبك الصوف بما يثبت عليه، فالصوفى منسوب إلى الصوفية لاشتغالهم بعضهم ببعض. أتى الحسن البصرى يوما فرقد

(١) قرآن كريم ٦: ٥٢.
(٢) فى الأصل: يردون، وهو خطأ.
(٣) قرآن كريم ٨٠: ١ - ٢.
(٤) فى الأصل: القيمة.
(٥) فى الأصل: وثلى.

للصوفى و عليه جبة صوف مرقعة ، فأخذ[1] بأطرافه و قال : يا ابن أم فريقد ليس التقوى بأكل القيط و لا بلبس العبا ، إنما التقوى بما وقر فى الصدر و صدقة العمل . و قيل فى المعنى :

ليس التصوف لبس الصوف تلبسه   و لا بكاؤك ان غنى المغنونا
و لا صياح و لا رقص و لا طرف   و (لا) تغاش[2] كان قد صار مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر   و تتبع الحق و القرآن و الدينا
و أن تُرى خاشعا مكتئبا على   ذنوبك طول الدهر محزونا

[بن ٦٧ ، : ب] قال أحمد بن مقابل : كنت مع الشبلى فى مسجده فى شهور رمضان و هو يصلى خلف إمام و أنا بجنبه قال : فقرأ الإمام " و لئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا إليك[3] " . قال فزعق الشبلى زعقة ، قلت طارت روحه معها و هو يرتعد و يقول : بمثل هذا يخاطب الأحباب . و قيل السماع فيه نصيب لكل عضو . فما وقع إلى العين تبكى ، و ما وقع إلى اللسان يصيح ، و ما يقع على اليد يمزق الثياب و يلطم الوجه . و ما يقع على الرجل يرقص . و قيل أوحى إلى موسى عليه السلام انى قد جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى أحبيتى . و فى معناه :

لا تـنـسانى ، فاذا الـفـانى   ما يلقـانى ، حـتى يـفـنـا

---

(١) الكلمة مطموسة جزئيا .

(٢) فى الأصل : و تغاش . ــ و الظاهر من سياق البيت الأول و وزن الشطر الثانى وجوب كونها « و لا تغاش » .

(٣) قرآن كريم ١٧ : ٨٦ .

فك المعجم ، فاعزم تغنم   و افهم و افهم ، سر المعنا
و اسمع منى ، و افهم عنى   سرا تنظر ، اذنا اذنا
سافر وحدك ، و ابذل جهدك   و اجعل قصدك ، ذاك المعنا
و احصر عقلك ، و اجمع شملك   علك علك ، يوما تدنا
عبدى عبدى ، احفظ عهدى   و افهم قصدى ، فيما يعنا
فارق دارك ، و اهجر جارك   و ارقب نارك ، تبدوا وهنا
فارغب و اطمع ، و اقلب اجمع   علك تسمع ، يوما منا
لا لا تهرب ، ما لك يهرب ،   هذا المشرب ، أحلا و اهنا
روح علقت ، لما عتقت ،   إذ قد سبقت ، منا الحسنى ـ انتهى[1].

[من أخبار صلاح الدين الأيوبي]

نعود[2] إلى أخبار السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب و خبر بيت المقدس حين أخذ الفرنج له و فتح السلطان صلاح الدين يوسف المذكور له و نزعه هو و غيره من الحصون التى كانت بأيدى الإفرنج [3]إن شاء الله تعالى[3] .

قال بعض المؤرخين : و فى بضع و تسعين و أربعمائة من الهجرة النبوية أخذت الإفرنج بيت المقدس من أيدى المسلمين ؛ و قتلوا[4] أزيد

(١) إلى هنا ينتهى هذا القسم الساقط من ر و قد أخذناه عن بن .
(٢) من هنا يبدأ الكلام فى ر و بن على السواء . و فى هامش ر : مطلب ، أخبار صلاح الدين و بيت المقدس .
(٣-٣) ساقطة من بن .
(٤) فى بن [١٠٧ : ب] : بعد أن قتلوا . و فى هامش ر : مطلب ، ولاية الافرنج على بيت المقدس سنة ٤٩٠ .

من

من سبعين ألف قتيل من[١] المسلمين . و أخذوا من حول الصخرة [٢] اثنين و أربعين [٢] قنديلا من فضة زنة كل قنديل منها ثلاثة آلاف و ستمائة درهم ، و تنّور من فضة زنته أربعون[٣] رطلا بالدمشق ، و ذلك مائة و ستون[٤] رطلا بالمصرى ، و ثلاثة و عشرين[٥] قنديلا[٦] من ذهب . و هربت الناس إلى العراق قاصدين الخليفة المستظهر بالله[٧] . فلما سمع أهل بغداد ذلك تباكوا . و كان أبو سعيد الهروى نظم قصيدة فقرئت على المنابر ببغداد فعظم بكاء الناس و أمر الخليفة الفقهاء إلى الخروج ليحرضوا الملوك على الجهاد[٨] ، فساروا فلم يفد ذلك شيئا . و بيت المقدس هو بيت الأنبياء و مهبط الوحى قديما .

حكى[٩] أن رجلا من الصوفية بينما هو نائم فى الحرم بالمدينة إذ رأى النبى صلى الله عليه و سلم فى منامه فقال له : اذهب إلى صلاح الدين يوسف

(١) زيد فى بن ايدى .

(٢-٢) فى بر : اثنان و أربعون . و صححتها فى بن كما أوردنا بالنص .

(٣) فى بن : اربعين .

(٤) فى بر : و ستين . و صححته فى بن كما أوردناه بالنص .

(٥) فى بن : و عشرين . و فى بر : و ثلاثة و عشرون .

(٦) كذا فى بن . و فى بر : قنديل .

(٧) الخليفة العباسى و خلافته ٤٨٧ - ٥١٢ هـ = ١٠٩٤ - ١١١٨ م .

(٨) و يلاحظ فى هذه المناسبة ان بيت المقدس كانت فى حكم الدولة الفاطمية وقتئذ .

(٩) فى بن : و حكى .

ملك مصر فقل له إن رسول الله [1]صلى [٢١٨ : ب] الله عليه و سلم[1] يقول لك: قم من وقتك هذا فانزل على بيت المقدس[2] فانك تفتحه إن شاء الله تعالى[3] ، و اعلمه بذلك سرا ، و قل له بأمارة صلاتك علىّ فى كل ليلة ألف مرة . قال فذهب الرجل حتى وصل إلى صلاح الدين و قال: يا مولاى عندى بشارة من رسول الله صلى الله عليه و سلم . قال: و ما هى؟ قال: إنه يقول لك قم من وقتك هذا فانزل على بيت المقدس فانك تفتحه[4] إن شاء الله تعالى . قال: الحمد لله أعطوه خمسمائة درهم . فقال بعض الحاضرين كالمستهزئ: و أنا و الله أحب أن أرى مثلها . فقال الرجل أما أنا فلا آخذ شيئا ، لكن عندى حديث أقوله . قيل له: ما[5] هو؟ قال: ما أقوله إلا للسلطان سرا . فأدناه السلطان إليه فقال[6]: يقول لك رسول الله صلى الله عليه و سلم بأمارة صلاتك عليه فى كل ليلة ألف مرة . ففرح السلطان بذلك و عرض عليه الذهب[7] فلم يأخذه . و بعد مدة دخل السلطان صلاح الدين إلى دمشق فرأى الفقير فى الجامع ،

(١-١) العبارة ساقطة من بن و هو الأصح لأن الكلام صادر عن الرسول .
(٢) الكلمة مكررة فى بن .
(٣) الكلمة ساقطة من بن .
(٤) فى بن: ستفتحه .
(٥) فى بن: و ما .
(٦) زيد فى بن: له .
(٧) فى بن: ذهبا .

فعرفه فصاح به فأتاه، فقال له: أسألك[1] أن تأخذ الخمس مائة دينار عوضا عن الخمس مائة درهم[2] التي تركتها و لم تأخذها. فقال: نعم، عليّ أن نعطيها هؤلاء[2] الفقراء. فقال: اصنع ما شئت. فدفعها له ففرقها فيهم، و حصل له دينار واحد. فتحقق السلطان صدق منامه [3] بتعففه و أمارته [3].

و كان رجل من أهل المغرب بالمدينة فبكى[4] عند قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: يا رسول[5] الله بلدى[6] بعيد و أنا فقير و ضعيف، و أنا أحب أن أرجع إلى بلادى. قال فنام[7] فرأى النبي صلى الله عليه و سلم فقال له: امض إلى صلاح الدين يوسف فانه يعطيك مائة دينار [8] سافر بها إلى بلادك. قال: فمضى الرجل إلى أن وصل إلى الشام. و قدم على صلاح الدين، فلما رآه قال: أنت صاحب المائة دينار؟ [8] قال: نعم. قال: اعطوها له. فأخذها و انصرف.

و يقال إن رجلا أتى إلى صلاح الدين يوسف قبل أن يلى

(١) كذا في بن، و الكلمة في بر: أسئلك.
(٢) ساقطة من بر و واردة في بن [١٦٨ : الف].
(٣-٣) في بن: بفضل أمارته.
(٤) في بن: فبكا.
(٥) في بن: يرسول.
(٦) في بن: بلد.
(٧) في بن: و نام.
(٨-٨) العبارة بكاملها ساقطة من بن.

الملك[١] قال: رأيت[٢] فيما يرى النائم كان قائلا يقول لى فى المنام و أشار إليك:

ملك الصياصى و النواصى ناصرا[٣] للدين بعد إياسه أن ينصرا

و يستفتح[٤] البيت المقدس بعد ما يطوى الطراز له و يهلك قيصرا

[٢١٩: الف] الصياصى الحصون. قال الله تعالى: "و انزل الذين ظاهروهم من اهل الكتب من صياصيهم[٥]".

فبعد قليل أخذ صلاح الدين يوسف الملك. و فتح قلعة طبرية، و فتح عكا صلحا، و خلّص منها أربعة آلاف أسير من المسلمين، و فتح صيدا و بيروت و غزة و عسقلان و نابلس و بيسان، و فتح بيت المقدس و كان فيها ستون[٦] ألف مقاتل أو يزيدون من الإفرنج[٧]. و قاتل[٨] المسلمون معه قتالا شديدا، و لم يزالوا كذلك حتى فتحوه. و هو أن ملك الروم أرسل إلى السلطان صلاح الدين على أن يبذل كل رجل

(١) فى بن: المملكة.
(٢) فى بن: فرأيت.
(٣) فى بن: ناارا.
(٤) فى بن: و سيفتح.
(٥) قرآن كريم ٣٣: ٢٦. و فى هامش بر: مطلب، فتوحات صلاح الدين.
(٦) فى الأصلين: ستين.
(٧) فى بن: الفرنج.
(٨) فى الأصلين: قاتلت.

منهم

منهم عن نفسه عشرة دنانير و على المرأة خمسة دنانير و على كل صغير و صغيرة دينارين ، و أن تكون الغلات و الأسلحة يؤدونها[1] للمسلمين ، و يتحولوا من القدس إلى مدينة صور . فأجاب الملك صلاح الدين إلى ذلك . و دخلوا بيت المقدس يوم الجمعة ، و كان يوما مشهودا خنس فيه الناقوس ، و حضر المؤذنون و غاب القسوس ، و تلى التنزيل ، عوضا عما كانوا يقرأون[2] من التحريف فى الإنجيل ، و لله الحمد و المنة على ذلك . ثم أنه فتح[3] الكرك[4] و صفد و حصن كوكب و غيرها من الحصون . و كان سبب أخذ الإفرنج[5] للقدس من أيدى المسلمين لأنهم كسروا الأفضل[6] ابن أمير الجيوش على الرملة و استولوا على القدس سنة تسعين و أربعمائة . و قتل الأفضل سنة ست عشرة و خمسمائة من غير أن يقتل أحدا . و أما أبوه بدر الجمالى[7] فكان سفاكا للدماء ، و مع ذلك مات على فراشه . و كان الأفضل لحل التدبير حسن الرأى ، و لم يكن للخليفة المستعلى[8] أحد خلفاء العبيديين معه كلام[9] .

(١) فى الأصلين : يؤدوا .
(٢) فى الأصلين : يقرون .
(٣) فى بن : افتتح .
(٤) ساقطة من بن .
(٥) فى بن : الفرنج .
(٦) انظر ما سبق فى موضوع الفاطميين .
(٧) فى بن : الجمال .
(٨) خليفة الفاطمى و حكمه ٤٨٧ - ٤٩٥ هـ = ١٠٩٤ - ١١٠١ م .
(٩) فى الأصلين : كلاما .

ثم أن الإفرنج [١] أقاموا بالقدس تسعين سنة ، ففتحه السلطان صلاح الدين يوسف سنة ثمانين [٢] و خمسمائة [٣] . و توفى السلطان صلاح الدين [٤] يوسف المذكور و عمره سبعة [٥] و خمسون سنة . فعز على المسلمين فقده . و كان من خيار الملوك و أحسنهم سيرة ، و تشبه بالملك العادل نور الدين العادل عمه ، و دفن بتربته عند مدرسة أنشأها بالموصل [٦] رحمه الله تعالى .

[٧] و كان قبل تملك السلطان صلاح الدين يوسف سار أسد الدين شيركوه بعد أن كسر الفرنج و المصريين إلى الإسكندرية فملكها ، و جبى بأموال ، و استناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، و عاد إلى الصعيد فملكه و جمع منه أموالا كثيرة جزيلة ، ثم أن الفرنج و المصريين اجتمعوا على حصار الإسكندرية ثلاثة أشهر ، انتزعوها من يد صلاح [الدين] يوسف فى غيبة عمه شيركوه فى الصعيد . و امتنع بها صلاح الدين و من معه أشد امتناع ، و لكن ضاقت عليهم الأقوات و ضاق الحال جدا . فسار إليهم شيركوه أيده الله تعالى ، فصالحه شاور الوزير عن الإسكندرية بخمسين ألف دينار ، فأبه على [٨] ذلك . و خرج صلاح الدين منها و سلمها

(١) فى بن : الفرنج (٢) فى بن : ثمان .
(٣) فى هامش بر : مطلب ، مدة استيلاء الإفرنج على بيت المقدس تسعون سنة .
(٤) لفظة « الدين » ساقطة من بن .
(٥) فى بن : تسعة . و فى هامش بر : توفى صلاح الدين و عمره ٥٧ سنة .
(٦) كذا فى بر و بن ، و هو خطأ لأن صلاح الدين مدفون فى دمشق .
(٧) من هنا إلى قوله « و لله الحمد » ساقط من بر ، و أخذناه عن بن [١٦٨ : الف ، ب] .
(٨) فى الأصل : إلى . و أغلب الظن أنه خطأ قلمى .

للمصريين و عاد إلى الشام . و قرر على شاور الفرنج[1] كل سنة مائة ألف دينار ، و أن يكون لهم شحنة بالقاهرة . و عادوا إلى بلادهم بعد أن كان الملك نور الدين قد عقبهم فى البلاد . و فتح كثيرا من بلادهم ، و قتل خلقا من رجالهم ، و أسر أمما من نسائهم و أطفالهم ، و غنم شيئا كثيرا من أمتعتهم و أموالهم ، و لله الحمد[2] .

[3] و كان السلطان صلاح الدين يوسف المذكور [4] فى دولته[4] يجلس جلوسا عاما لإزالة المظالم . فجلس يوما جلوسا عاما ، و قضى حوائج الناس ، و نظر فى المظالم ، و نادى [٢١٩ : ب] مناديه[5] : من كانت له حاجة و مظلمة فليأت ! فتقدم شيخ له هيئة حسنة فقال : إن الفقر يقدمنى و الحياء يؤخرنى . فقال : قل . قال : أنا رجل كنت من أمراء الدولة المصرية ممن كان لله على أسلافه نعمة و سلبها و أحتاج إلى الناس و أنعمت علىّ بخمسة دنانير فى كل شهر و عاملك يعطلنى فيها مدة[6] ستة أشهر . فغضب صلاح الدين و قال : علىّ بالعامل . و قال : تعطى له ما منعته إياه أو لأفعلن بك و لأصنعن . قال : فلما رأى العامل الجدّ[7] ،

(١) زيد هنا لفظة « على » و لكن الناسخ صحح مكانها كما أوردناه فى النص ، و لكنه لم يشطب الزيادة .
(٢) انتهى الساقط من بر .
(٣) من هنا يستأنف الكلام فى كل من بن و بر معا .
(٤-٤) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٥) فى هامش بر : مطلب ، واقعة .
(٦) فى بن [١٦٨ : ب] : منذ .
(٧) ساقطة من بن .

و كان صلاح الدين رجلا حليما قليل الغضب ، فقال العامل : لو لا غضب مولانا السلطان لأخبرته بالعذر الذى منعني[1] [2] الاطلاق و العذر الذى منعني[2] الكلام . قال[3] : قل فانى لا أغضب . قال : العلامة التى على توقيعه مزورة ، فامتنعت من الدفع ، و أردت الستر و ما أردت أن أفضحه ،
٥ و الأمر لمولانا السلطان . فقال صلاح الدين : أرني التوقيع . فنظر إليه و قال : صدقت و الله ما هو خطى و لا كتبته[3] . ثم التفت إلى الرجل و سبه و انتهره و قال : النفاق باق[4] فيكم ، و إلا أنا فما أمنع رزق[5] الله أحدا على ، و على[6] لأقطعن يدك . و كان بالمجلس رجل و له عقل و أدب ، و الجلساء متشابهون للملك - المرء[7] على دين خليله - فقال ذلك
١٠ الرجل الحاضر : إن مولانا السلطان لا يمنع خطه من أحد ، و يكتب فى كل وقت قائما و جالسا و راكبا ، يكتب مولانا السلطان علامة بجانبها ، و ننظر إلى الخطين ، فان اختلفا فالسلطان يفعل[8] ما يريد و إن

(١) فى بن : يمنعني .
(٢-٢) الجملة ساقطة من بن .
(٣) ساقطة من بن .
(٤) فى الأصلين : باقى .
(٥) فى بن : الرزق .
(٦) فى بن : و صلى .
(٧) فى بن : و المرء .
(٨) فى بن : يحكم .

اتفقا فلا كلام. فقال: نِعِمَ ما قلت. فكتب السلطان علامة أخرى، فقال الرجل: غلبنا و الحمد لله. قال: و كيف؟ قال: إن كانت الأولى ما هى خطك بيقين فهذه العلامة الثانية خطك بيقين. فضحك السلطان و عفى عن الرجل و أمر برزقه[1].

و كان أول دولة بنى أيوب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى، ولى[2] سنة أربع و ستين و خمسمائة[3]، و استقل بالملك سنة ست و ستين و خمسمائة، و بنى[4] قلعة الجبل بالقاهرة فى سنة خمس و سبعين و خمسمائة. و لما توفى السلطان صلاح الدين يوسف المذكور قام[5] بملك مصر[5] بعده ولده الملك العزيز عثمان[6]. ثم بعده الملك الأفضل قطب الدين[7] عثمان[8] بن صلاح الدين المذكور[9]. ثم بعده الملك

(١) زيد فى بن: قال الأصمعى قيل لشيخ من الأعراب قمت مقاما خفنا عليك منه. فقال الموت خفتم على و كيف يخاف الموت شيخ كبير و رب غفور و لا دين و لا بنات و لا صبية أطفال.

(٢) فى بن: فى.

(٣) فى هامش بر: «مدة توليته سنة ٥٦٦. بناء قلعة الجبل سنة ٥٧٥». و سلطنته ٥٦٤ – ٥٨٩ هـ = ١١٦٩ – ١١٩٢ م.

(٤) فى بر: بنا، و هى فى بن: بنى.

(٥–٥) فى بن: بالملك من.

(٦) و هو العزيز عماد الدين عثمان و سلطنته ٥٨٩ – ٥٩٥ هـ = ١١٩٣ – ١١٩٨ م.

(٧) هذا خطأ صحته أن الذى خلف العزيز عثمان هو المنصور ناصر الدين محمد و سلطنته ٥٩٥ – ٥٩٦ هـ = ١١٩٨ – ١١٩٩ م.

(٨) ساقطة من بن.

(٩) ساقطة من بر، و واردة فى بن.

العادل[1] أبو بكر بن أيوب . ثم بعده الملك [٢٢٠ : الف] الكامل محمد[2] بن أبى بكر العادل ، و هو الذى بنى[3] المدرسة الكاملية[4] بين القصرين المسماة بدار الحديث . و انكسرت الإفرنج فى اليوم الذى ولى الملك الكامل فيه بكسر الجسور عليهم فى وقعة الفرنسيس بدمياط ، و كانت كسرتهم بالمنصورة بالقرب من أشمون الرمان ، و قد تقدم ذكر ذلك فأغنى عن إعادته . و قيل كان الملك العادل ظالما و ولده الكامل عادلا ، فقال بعضهم قصيدة منها :

يا ظالما سميت بالعادل لا عدل إلا للملك الكامل

و قيل أقام الكامل ملكا نحو ثلاثين سنة ، و الله أعلم .

و ولى ملك مصر بعد الكامل ولده نجم الدين[5] الملك الصالح أيوب

---

(١) و هو الملك العادل سيف الدين أبو بكر المشهور عند الفرنج باسم (Saphadin) و حكمه ٥٩٦ – ٦١٥ هـ = ١١٩٩ – ١٢١٨ م .

(٢) سلطنته ٦١٥ – ٦٣٥ هـ = ١٢١٨ – ١٢٣٨ م .

(٣) فى بر : بنا . و هى فى بن : بنى .

(٤) فى هامش بر : المدرسة الكاملية . و فى بن لفظة « الكاملية » ساقطة .

(٥) سلطنته ٦٣٧ – ٦٤٧ هـ = ١٢٤٠ – ١٢٤٩ م و يلاحظ هنا أن المؤلف أخطأ بتولية الصالح نجم الدين بعد الكامل محمد ، و بذلك يكون قد تجاوز عن حكم العادل سيف الدين أبى بكر و هو ابن الكامل محمد و قد جاء حكمه بينهما .

ابن الملك الكامل ، و هو الذى بنى[1] المدرسة الصالحية[2] بين القصرين بالقاهرة ، و هو أستاذ الترك ، و قلاوون الصالحى أحد مماليكه . ثم ولى ملك مصر بعده الملك المعظم طرنشاه[3] بن أيوب . ثم بعده الملك الأشرف موسى بن أقسيس[4] . ثم بعده الملك المعز أيبك[5] التركمانى مملوك الصالح نجم الدين ، و هو الذى عمر المدرسة المعزية [6]برحبة الخروب[6] بمصر. ثم ولى الملك[7] بعده الملك المنصور[8] على بن أيبك. ثم ملك مصر بعده الملك المظفر قطز[9]

---

(١) فى بر : بنا ، و هى كذلك فى بن .

(٢) فى هامش بر : بانى الصالحية ، أستاذ الترك .

(٣) كذا فى الأصلين و صحته : المعظم توران شاه - و سلطنته ٦٤٧ - ٦٤٨ هـ = ١٢٤٩ - ١٢٥٠ م .

(٤) فى الأصلين : امس (بدون نقط) و صحته فى المقريزى (كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك . نشر محمد مصطفى زياده . القاهرة ١٩٥٧ ج ١ قسم ١ ص ٣٦٩) و شاركه فى الحكم بعض الوقت المعز أيبك مؤسس دولة المماليك البحرية .

(٥) أول المماليك البحرية المعز عماد الدين أيبك و حكمه ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ = ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م .

(٦-٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٧) فى بن : ملك مصر .

(٨) المنصور نور الدين على أيبك ٦٥٥ - ٦٥٧ هـ = ١٢٥٧ - ١٢٥٩ م .

(٩) حكمه ٦٥٧ - ٦٥٨ هـ = ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م .

مملوك المعز[1] فقتلته زوجته شجر الدر وأخفته أربعة أشهر وأظهرت للناس أنه ضعيف، فلما تحقق أمره ولى الملك بعده ولده على الصالح، فرمى زوجة أبيه شجر الدر من أعلى القلعة إلى أسفل فهلكت، ومضى إلى الشام ورجع منه طالبا القاهرة، فقتله[2] الأمراء فى الطريق.

وولى الملك بعده الملك الظاهر بيبرس[3] مملوك بندقدار الصالحى، وهو الذى عمر المدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة، وصلى بالجامع الأزهر الجمعة، ولم تكن الجمعة تقام فيه من زمن نقل الحاكم منصور العبيدى الجامع منه إلى جامعه المعروف به بالقاهرة بين باب النصر وباب الفتوح فصار الجامع الأزهر بغير خطبة فى المدة المذكورة، فتشعث حاله وتغيرت رسومه، فأمر الملك الظاهر بعمارته وبياضه وإقامة الخطبة فيه [4]فاستمرت إلى الآن[4].

[أبواب القاهرة]

وللقاهرة[5] أبواب عدة، منها باب زويلة وباب القنطرة وباب

(١) فى هامش بر بغير قلم الناسخ: هذا خبط زائد فان الذى قتله زوجته أيبك التركمانى وأما قطز فعند عودته من قتال التتر قتله الظاهر بيبرس باتفاق الأمراء.

(٢) فى الأصلين: فقتلته.

(٣) حكمه ٦٥٨ – ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ – ١٢٧٧ م.

(٤–٤) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٦٩ : الف].

(٥) فى هامش بر: عدة أبواب القاهرة.

النصر و باب سعادة و باب الفتوح و باب الفرج[١]، فقال [٢٢٠ : ب] بعضهم فى باب الفتوح و باب الفرج بيتين تورية[٢] و هما :

لا بد أن يرضى الزما ن و ينصلحُ بعد الحرج
رب فتح باب الفتوح يفتح لنا باب الفرج

[أخبار الظاهر بيبرس][٣]

ثم أن الملك الظاهر بيبرس فتح فتوحات كثيرة، منها أرصوف و الطبور[٤] و صفد و مرج بنى عامر و الشقيف و بانياس و الصبيبة و حصن عكا[٥] و حصن ابن الأحمر و حصن الأكراد، و نزل على طرابلس بعساكره و حاصرها، فأرسلت الإفرنج التى بها يقولون[٦] لملك الإفرنج بأنطاكية : انجدنا[٧] سرعة فان الملك الظاهر قد حاصرنا، فأتت جواسيس الملك الظاهر أخبروه بذلك فأمر النقباء أن تعلم الجيش بالرحيل بعد فراغ الخيل من عليقها و أن يتركوا الخيام على حالها و النيران تقد، و أخذوا

(١) زيد فى بن : و غيرها. و الأبواب فيها وردت على غير هذا الترتيب فى بر .
(٢) الكلمة ساقطة من بن .
(٣) فى هامش بر : فتوحات الملك الظاهر بيبرس .
(٤) فى الأصلين : و الطور .
(٥) فى الأصل : حصن عكار .
(٦) فى بن : تقول .
(٧) فى بن : أدركنا .

ما يحتاجونه و تركوا الفاضل . و أمر الأدلاء فى الليل أن يقصدوا بـه أنطاكية ، فساروا[1] حتى أتى قريبا من أنطاكـية قبل الفجر من غير حس و لا خبر . فلما أصبح الصباح و فتحت أهل أنطاكـية أبوابها رحل من منزلته التى نزل بها ، و حرك و هجم بعسكره دخلها[2] فملكها بكل ما فيها من مال و رجال و حريم و ذرارى - هذا ما كان منه .

و أما ما كان من أهل طرابلس النصارى[3] فانهم عند صباح رحيل الملك الظاهر ، نظروا من أعلا السور فلم يروا بوطاقه أحدا ، ففرحوا و عطعطوا و قالوا : رحل[4] المسلمون عنا خوفا منا [5]و تركوا خيامهم و أثقالهم من شدة الخوف الذى جعل لهم[5] . ففتحوا أبواب البلد و نهبوا الوطاق بما ترك فيه من الأثقال . و وافاهم صاحب أنطاكية الكافر من البحر[6] فدخل طرابلس بمن معه من الجيش ، فمدوا له الأطعمة[7] فأكل و أحضروا الخمور فشرب[8] ، و صاروا يغنون و يرقصون

---

(١) فى بن : فسار .
(٢) فى بن : و دخلها .
(٣) فى بن : الإفرنج .
(٤) فى الأصلين : رحلت .
(٥ - ٥) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن [١٦٩ : الف ، ب] .
(٦) فى بن [١٦٩ : ب] : فى مراكبه فى البحر .
(٧) فى بن : اطعمة .
(٨) فى بن : فشربوا .

على حس آلات الطرب[1] و يقولون: الظاهر من مخافتنا هرب . فبينما هم فى زهوهم و لهوهم و إذا الخبر[2] قد ورد عليهم بالعطب، فلحقتهم الكُرَب[3]، [4]فانقلب فرح أهل طرابلس ترحا[4]، و صار صاحب أنطاكية من القهر[5] شبحا، و قال[6] لأهل طرابلس: لا كانت ساعتكم، قطع المسيح جادرتكم، أنتم تفرحون و ترقصون، و بلدى ملكها[7] المسلمون، و نهبوا أموالى و بلادى، و أسروا حريمى و أولادى . فصارت النصارى عما[8] سمعوا منه يائسين، و من [9]سوء أحوالهم[9] آئسين . و استعظموا أمر الملك الظاهر، إذ صار على النصارى مظفرا[10] ظاهر[11]، [٢٢١ : الف] نخاف منه كل علج كافر . و قالوا: ما بقى لنا معه حليف و لا ناصر، و إذ هو[12]

(١) فى بن: الملاهى .
(٢) فى بن: بالخبر .
(٣) فى بن: المرض و الكرب .
(٤ - ٤) فى بن: و انقلب فرحهم ترحا .
(٥) فى بن: الهم .
(٦) فى بن: فقال .
(٧) فى الأصلين: ملكتها .
(٨) فى بن: بما .
(٩ - ٩) فى بن: سواحلهم .
(١٠) ساقطة من بن .
(١١) صوابها «ظاهرا» و لكن تركناها بحكم السجع .
(١٢) فى بن: إذ .

قد فتح أنطاكية فلم يبق[١] لنا معه باقيه، و ستصير طرابلس منا خاويه[٢]، لا شكوى إلا للمسيح [٣]و لأمه ماريه[٣] . قيل إن دور سور مدينة أنطاكية اثنا[٤] عشر ميلا، و عدد بروجها مائة و ستة و ثلاثون برجا، و عدد شرافات[٥] سورها أربعة و عشرون ألف شرافة .

و قيل : كان الملك الظاهر[٦] فى بدايته مملوكا للامير بندقدار الصالحى، و أن بندقدار عدى يوما من مصر إلى الجيزة يسرح بأرضها، فوجد فى طريقه جميزة، وكان الحر[٧] فقصد أن يقيل تحتها و يستظل بظلها، و كان بيبرس المذكور بشمقدار يحمل شرموزة[٨] أستاذه الأمير المذكور، فادعى به يلبسه[٩] مشايته[١٠] لينزل عن فرسه فأتى إليه و معه[١١]

(١) فى بر : يبقى . و صحتها فى بن .

(٢) فى بن : خاليه .

(٣-٣) فى بن : و ماريه .

(٤) فى الأصول : اثنى .

(٥) فى بن : شرفات .

(٦) فى هامش بر : مطلب ، واقعة لطيفة .

(٧) فى بن : وقت القايلة .

(٨) فى بن : زرموزة .

(٩) فى بن : ليلبسه .

(١٠) كذا فى بن ، و مكانها بياض فى بر .

(١١) الكلمة مقطوعة فى بر بالتجليد ، و لكنها واردة فى بن .

واحدة

واحدة[1] و قد وقعت منه الثانية[2] من غير علمه بوقوعها ، فغضب الأمير عليه و أخذ منه تلك الفردة ضربه بها على رأسه حتى تقطعت ، ثم ضرب الدهر ضرباته ، فأعتقه أستاذه المذكور ، و كان من أمره فى التقدم ما كان إلى أن ولى ملك مصر ، فعدى يوما إلى الجيزة فى عساكره[3] ، و مر بتلك الجميزة نفسها ، فوقف[4] و ادعى [5]بالأمير بندقدار معتقه[5] ، [6]فأتى إليه[6] ، فقال له : تعرف هذه الجميزة؟ قال: نعم أيها الملك بصبرك على ذلك القهر صرت ملك مصر . فأعجب الملك الظاهر كلامه و خلع عليه و زاده فى اقطاعه و قال : صدق فيما قال ، لو لا فعل اخوة يوسف بيوسف[7] ما فعلوا ما صار [8]ملك مصر[8] ، [9]فمن صبر ظفر و البلايا مفاتيح الأرزاق[9] – انتهى .

---

(١) فى بن : فرده .

(٢) فى بن : الأخرى.

(٣) زيد فى بن : المبرحة .

(٤) زيد فى بن : بازائها.

(٥–٥) فى بن : بمعتقه الأمير بندقدار.

(٦–٦) ساقطة من بن .

(٧) فى بن : به .

(٨–٨) فى بن : ملكا بمصر .

(٩–٩) ساقطة من بر و واردة فى بن .

[الإقطاع]

قال المؤلف [١]غفر الله له وللسلمين أجمعين[١]، و إذ قد ذكر الإقطاع[٢] فسأذكر ما قيل فى إجارته إذا خرج عن مؤجره [٣]عقيب إجارته[٣]. سئل بعض العلماء فى مؤجر[٤] أجر إقطاعه مدة معلومة، فخرج الإقطاع منه إلى غيره قبل انقضاء المدة. فقصد المقطع الثانى تسليم الناحية إليه فامتنع المستأجر عن تسليم ذلك، فهل للمقطع الثانى نزع الناحية من يد المستأجر أو يطالبه بالأجرة أو يطالب المقطع الأول بالأجرة إذا كان قد التمسها من المستأجر أو شيئا منها؟ فأجاب: إذا أجر الإقطاع مدة ثم انقطع حق المؤجر فى أثناء المدة بموت أو إخراج السلطان له فان المقطع الثانى مخير بين إمضاء الإجارة و بين فسخها، فان فسخها كان للستأجر من المنفعة ما للقطع الأول [٢٢١ : ب] و عليه من الأجرة بقدر ذلك، فاذا كان خروج الإقطاع فى أثناء السنة مثلا و نصف المنفعة للقطع الأول و نصفها للثانى، كان للستأجر نصف المنفعة و عليه للمؤجر الأول نصف الأجرة و النصف الثانى يرجع به عليه إن كان سلفه إياه، ثم إن أمضى المقطع الثانى الإيجار كان له نصف الأجرة يطالب بها المستأجر، و إن أحاله على المقطع الأول فأسلفه إياه فله أن يقبل الحوالة و له أن لا يقبل، و الله أعلم[٥].

(١-١) فى بن: رحمه الله تعالى. (٢) فى هامش بر: إجارة الأقطاع.
(٣-٣) ساقطة من بن. (٤) فى بن: مؤاجر.
(٥) زيد فى بن [١٧٠: الف]: انتهى نعود.

[وقعة بيبرس و محيى الدين النووى]

و قيل إن [1] الملك الظاهر بيبرس لما توجه بعساكره إلى الشام بسبب التتر حين تحركت عليه أخذ فتاوى الفقهاء [2] بأن يجوّزوا [2] له أن يأخذ من الرعية مالا يستعين به على قتال العدو ، فكتب له فقهاء الشام بذلك . فقال هل بقى عندكم أحد من الفقهاء؟ قالوا : نعم ، بقى الشيخ الصالح [3] محي الدين النووى. فطلبه فحضر [4] فأوقفه على الفتاوى [4] و قال [5] : اكتب خطك مع خطوط الفقهاء. فامتنع من ذلك ، فقال له : ما سبب امتناعك ؟ قال : أعفنى من ذلك . قال : ما [6] السبب فى ذلك اذكره لى . قال : أعرف أنك كنت مملوكا [7] للأمير بندقدار و ليس لك مال . ثم يسّر الله لك أمرا على المسلمين [8] فوليت الملك [8] ، و سمعت أن عندك كذا [9] ألف مملوك ، كل مملوك منهم حياصته بألف [10] دينار ، و عندك مائتى جارية

---

(١) زيد فى بن : السلطان .

(٢-٢) فى بن : أنه يجوز .

(٣) زيد فى بن : الورع - و بهامش بر : واقعة النووى مع الظاهر بيبرس .

(٤-٤) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٥) كذ فى بن . و هى فى بر : فقال .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) فى بن : فى الرق .

(٨-٨) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٩) الكلمة ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(١٠) فى بن : بمائة .

كل[١] جاريــة [٢] عندها حق[٢] حلى يزيد عـلى عشرة آلاف دينار ، فاذا أنفقت ذلك كله و بقيت مماليكك ببنود الصوف بدلا من تلك الحوايص و بقيت جواريك بثيابهن دون الحلى حينئذ أفتى الك بجواز أخذك المال من الرعية . فغضب الملك الظاهر من كلامه و قال : اخرج من بلدى ، يعنى دمشق . قال : سمعا و طاعة[٣] . و انتقل[٤] منها إلى بلده[٥] نوى ، و هى ضيعة بأرض حوران . فقالت الفقهاء للملك الظاهر بعد ذلك : إن هذا [٦] الذى أمرت بخروجه من دمشق[٦] الفقيه من كبار [٧] العلماء و الصلحاء و من[٧] يقتدى به فأعده إلى دمشق ، فرسم برجوعه إليها . فساروا إليه و رغبوه فى الرجوع إلى دمشق . [٦] و قالوا قد رسم السلطان برجوعك إليها[٦] فامتنع و قال : لا أدخلنها و الملك الظاهر بالحياة أبدا . فلما كان بعد شهر كان الملك الظاهر فى نفسه شىء من بعض أمرائه . فصنع له شربة مسمومة و دسها بين شربات غير مسمومة ، فلما قصد [٨] أن يسقى الأمير

(١) ف بن : لكل .

(٢-٢) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٣) ف بن : و طاعا .

(٤) ف بن : فانتقل .

(٥) ف بن : بلد .

(٦-٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٧-٧) ف بن : علمائنا و صلحائنا و من .

(٨) ف بن : اراد .

تلك الشربة المسمومة غلط فيها [١] فشرب هو المسمومة [١] . [٢٢٢ : الف] فمات و شرب الأمير غير المسمومة فسلم [٢] . فلما سمع[٣] الشيخ محي الدين بموت[٤] الملك الظاهر دخل دمشق . و هو محي الدين يحيى[٥] بن شرف ابن موسى بن حسن بن حسين بن جمعة الجذامي أبو زكريا العالم العلامة الشافعي شيخ المذهب و كبير الفقهاء في زمانه . ولد سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة بنوى ، و قدم دمشق سنة تسع و أربعين ، فقرأ التنبيه في أربعة أشهر و نصف . ثم لزم المشايخ تصحيحا و شرحا ، ثم عني[٦] بالتصنيف[٧] فشرح كتاب مسلم في الحديث ، و صنف الروضة و المنهاج و الرياض و الأذكار و تحرير التنبيه و تصحيحه و تهذيب الأسماء و اللغات وطبقات الفقهاء وكتاب الإيضاح في مناسك الحج و كتاب الإيجاز في المناسك و غير ذلك . و كان رحمه الله[٨] من الزهاد و العباد[٩] و التجرد و الورع[٩]

(١-١) في بن : فشربها هو .

(٢) زيد في بن : هكذا قيل و الله تعالى أعلم .

(٣) في بن : بلغ .

(٤) في بن : وفاة .

(٥) بهامش بر : محي الدين النووى .

(٦) في بن : اعتنى .

(٧) بهامش بر : مؤلفاته .

(٨) زيد في بن : تعالى .

(٩) الكلمة ساقطة من بن .

و الانجماع عن الناس و التخلى لطلب العلم[1]، و كان يصوم الدهر[2] و لا يجمع بين إدامين . حكى[3] أنه كان يدفع لبواب المدرسة الذى[4] هو ساكن بها فلسين يشترى له بهما[2] حمصا مصلوقا يفطر عليه فيشتريه بهما له . فلما كان فى بعض الليالى قال البواب : لا بد لى الليلة
ه أن أفتن الشيخ فاشترى له حمصا، و جعل[5] عليه زيتا و طحينة و خلا و كمونا و ملحا . فأتى[6] به إليه[7]. فنظر إلى ذاك[8] فاستغربه و قال[9]: ما هذا؟ فقال[10]: يا سيدى هكذا تأكل الناس الحمص بحوائجه . فقال : قال النبى صلى الله عليه و سلم «نعم الإدام الخل» و لم يجمع رسول الله صلى الله عليه و سلم بين إدامين قط . فالحمص وحده إدام و الزيت إدام

(١) زيد فى بن : على جانب .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) بهامش بر : مطلب يذكر فيه أخبار الإمام العلامة شيخ الإسلام محيى الدين النووى.

(٤) فى بن : التى

(٥) زيد فى بن : له .

(٦) فى بن : و أتى .

(٧) فى بن : له به .

(٨) فى بن : إليه .

(٩) فى بن : فقال .

(١٠) فى بن: قال .

و الطحينة إدام و الخل إدام و الكمون إدام ، فانا لا نأكل غير[1] إدام واحد ، كله أنت و لا تعد لمثل ذلك . [2]فأخذته و اشتريت له حمصا وحده ، [3]و أتيت به إليه فقبله[3] . و كان[4] الناس يأتون إليه يقرأون[5] القرآن عليه ، وكان فيهم صبي يقرأ عليه و الشيخ لا ينظر إليه لصغر سنه و حسن وجهه ، فلما كان بعد سنة من حين قراءته عليه قال : من أبوك ؟ قال : فلان الحلاوى فأتى الصبي إلى والده ذكر له ذلك ، ففرح بسؤال الشيخ عنه ، فصنع [6]الرجل من السكر حلاوة مطيبة بماء الورد و المسك و العنبر[6] و لوّنها ألوانا [3]و ملأ طبقا كبيرا[3] و غطاه و أتى به إلى الشيخ ، [3]فدق بابه دقا خفيفا فقال : من[3] ؟ [7]و قال له[7]: عبدك الحلواني[8] أبو الصبي الذي سألته بالأمس [9]بعد قراءته[9] عني ، وقد أتيتك بما معي أرجو بركتك فاقبله مني . [3]فأمره بالدخول فدخل و وضع الطبق بين يديه[3] ، و رفع

---

(١) في بن : إلا .

(٢) زيد في بن : قال .

(٣ – ٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) عن بن ، و في بر : و كانت .

(٥) في الأصلين : يقرون .

(٦ – ٦) في بن : حلوى طيبة من سكر و وضع فيها المسك والما ورد والعنبر الخام .

(٧ – ٧) في بن : قال .

(٨) في بن : الحلوى .

(٩ – ٩) ساقطة من بن .

الغطاء عن الطبق ، فنظر الشيخ لتلك الحلوى [٢٢٢ : ب] [١] و هى ما بين أصفر و أحمر و أخضر و أبيض [١] ، و رأى منها ما هو متطاولى و ملوى و مدور و مشوبر و مبسوط ، و قد سعطت [٢] تلك الروائح الطيبة العبقة إلى خياشيمه فقال : هـذا طعام الجبابرة ، ارفعه عنى عافاك الله . فرفعه الحلوانى و رجع به إلى حانوته مكسور الخاطر على عدم قبوله منه – انتهى .

و كان الشيخ محيي الدين المذكور على جانب كبير من الورع و الزهد فى الدنيا . و كانت وفاته فى ليلة الجمعة ثانى عشر ربيع الأول سنة ست و ستين [٣] و ستمائة – انتهى .

نعود إلى من ولى مصر بعد وفاة الملك الظاهر بيبرس – ولى [٤] ملك مصر بعده [٥] الملك السعيد [٦] . ثم ولى بعد الملك السعيد الملك العادل شلامش [٧] ابن بيبرس و أتابك عسكره الأمير سيف الدين قلاون الصالحى . فخلعه قلاون من الملك و نفاه ، كما قيل إلى بلاد الإفرنج ، و الله [٨] أعلم .

(١ – ١) فى بن : التى منها الأصفر و الأحمر و الأخضر و الأبيض .
(٢) فى بن : سطعت .
(٣) و ربما كانت صحة التاريخ «و سبعين» كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية .
(٤) فى بن : ثم .
(٥) فى بن : بعد وفاته .
(٦) و هو الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان بن الظاهر بيبرس و سلطنته ٦٧٦ – ٦٧٨ هـ = ١٢٧٧ – ١٢٧٩ م .
(٧) و هو الملك العادل بدر الدين سلامش و كانت سلطنته قصيرة فى ٦٧٨ هـ = ١٢٧٩ م .
(٨) زيد فى بن : تعالى .

[أخبار السلطان قلاون]

و ولى[1] قلاون[2] ملك مصر و لقب بالمنصور . و أتى فى دولته منكوتمر التترى ابن خال الملك ابغا ابن الملك هلاون[3] طامعا فى الشام . فنفق الملك المنصور قلاون فى جيوش مصر و خرج بهم للقائه ، فكان اجتماعهم فى حمص ، و عضده فى الملك [4]الأميران الكبيران[4] البيسرى و الحلبى ؛ و جاءه الأمير[5] سنقر الأشقر من قلعة صهيون بعد أن كان امتنع من مبايعته له ، ففرح[6] السلطان به و قال له : ياخشداش[7] أرسلت [8]لك كتابى فلم تأت[8] و جئتنى الآن بغير[9] طلب . فقال : ما أتيت إلا [10]نصرة للمسلمين[10] ، و الموافقة على لقاء العدو اللعين . ففرح السلطان و المسلمون به[5] ، و قاتلوا منكوتمر التترى ، فكانت كسرة التتر على يد الأمير سيف الدين أزدمر ،

---

(١) فى بن : ثم ولى .

(٢) وهو الملك المنصور سيف الدين قلاون و سلطنته ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ/=١٢٧٩ - ١٢٩٠ م .

(٣) فى بن : هلاكو .

(٤ - ٤) فى الأصل بر : الأميرين الكبيرين - و صحته فى بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : ففرع .

(٧) فى بن : يا خشد .

(٨ - ٨) فى بن : إليك لتأت إلى فلم تأتنى .

(٩) فى بن : من غير .

(١٠ - ١٠) فى بن : لنصرة المسلمين .

فدا[1] المسلمين بنفسه، فمات شهيدا بحيلته التي دبرها، فحصل لهم به النصر، وحصل له جنة المأوى بالشهادة التي رزقها، وصار له جميل الذكر بما خيل له فهمه من الفكر. وذلك أن الأمير أزدمر المذكور جمع حاشيته وجماعته[2] ومماليكه وغلمانه في الليل وقال لهم: إني غدا فاعل أمرا أرجو به أجرا ولست أكرهكم عليه إلا من رضى. ثم عمد إلى مماليكه أعتقهم وأعطى كل واحد منهم مالا، وفرق على غلمانه وحفدته المال [3]من خزانته وذلك في الليل[3]، ثم قال[4] لهم: إني[2] في غداة[5] أفدي المسلمين بنفسي، أخرج الى العدو في صفة رسول، فاذا قربت من الملك منكوتمر قتلته فأقتل حينئذ، فمن أراد الجنة فليتبعني[6]، [٢٢٣ : الف] فتبعه مملوك واحد ورجل كان عنده جمالا يسمى[2] عليا السيروان. فكان الجمال[7] المذكور بين يدي أزدمر ومملوكه على فرس خلفه، وأزدمر راكبا على فرس قد ربط كتابا مطويا في عقب رمحه، وجعل سنان رمحه خلف ظهره [3]وودع السلطان والأمراء[3]، وبرز بين الصفين وصرخ قائلا: أنا رسول إلى الملك. فلما سمعوا تكرار مقالته تلك أفرجوا[8] له طريقا،

---

(١) في بن: فدى.
(٢) ساقطة من بن.
(٣ - ٣) ساقطة من بر وواردة في بن.
(٤) في بن: وقال.
(٥) زيد في بن: غد.
(٦) في الأصل: فيتبعني. والأصح في بن كما أوردنا بالنص.
(٧) في بن [١٧١ : الف]: المال - وهو خطأ قلمي واضح.
(٨) في بن: أفرجت التتر.

فلما قرب من الملك منكوتمر[١]، قلب رمحه و طعنه بسنانه[٢] طعنة ألقاه عن فرسه قتيلا . فترجل جيشه عند وقوعه، فداستهم عند ذلك عساكر المسلمين . و قتل الأمير أزدمر و مملوكه و السيروان باختطاف سيوف التتر لهم حين وقوع الملك منكوتمر[٣] . و انتصر المسلمون على العدو المخذول قتلوه و غنموه . فبينما الملك المنصور بالنصر مسرورا، إذ [٤]نادى مناد[٤] فى ذلك النادى : نصيحة لمولانا السلطان . فسمعه السلطان فطلبه فحضر فقيل له : ما نصيحتك ؟ فقال : إن نصارى أهل الذمة ببلد قارا صاروا يتخطفون المسلمين من الطرق[٥] يكبلونهم بالقيود و يرسلونهم إلى طرابلس يبيعونهم بها للافرنج[٦]، و قد صار[٧] المسلمون بفعلهم ذلك معهم فى العذاب و الهوان ، و قد فعلوا بى ذلك و باعونى بها فتحيلت و هربت ، و قد أتيت مستغيثا بالله و بمولانا السلطان ، فأغث المسلمين المأسورين بفعل نصارى قارا الذميين . فلما سمع السلطان مقالته أمر بالحفظ به و رحل طالبا دمشق . [٨]فبينما هو سائر[٨] إذ رأى بلدا [٨]على طريقه[٨]، فسأل[٩] عنها ، فقيل[١٠]

---

(١) فى بر : ابغا . و فى بن : التتر . والواضح من السياق ما أوردناه بالنص .

(٢) فى بن : بسرعة .

(٣) فى الأصل : ابغا ، وهى ساقطة من بن ، وصوابها واضح كما فى النص .

(٤-٤) فى بن : منادى ينادى . و زيد بعدها : بأعلا صوته . و فى بر : منادى .

(٥) فى بن : الطرقات .

(٦) فى بن : للفرنج .

(٧) فى الأصلين : صارت .

(٨-٨) الجملة ساقطة من بن .

(٩) كذا فى بن وهى فى بر : فسئل .

(١٠) فى بن : قيل .

هى قارا. فنزل عليها فخرجت أهلها النصارى له بالإقامات. و كان بها ألف نصرانى ليس بينهم مسلم واحد. فلما وقع نظر السلطان على القسيسين و الرهبان مع تلك الإقامات[١]، أمر بكل نصرانى بقارا[٢] أن[٣] يخرج منها[٤] إلى العرض، فدخلها[٥] الجند أخرجوا[٦] كل نصرانى كان بها فى الجبال، فقدموا إلى السلطان فقال لهم: أنتم[٧] أهل قارا الذميون[٨]. قالوا: نعم. قال: بلغ من أمركم و أنتم تحت الذمة إلى أن صرتم تتخطفون المسلمين من الطرق تبيعونهم للافرنج[٩] بطرابلس. فقالوا: حاشا لله أن نفعل[١٠] ذلك، و إنما نحن تحت الذلة و المسكنة و الطاعة. فادعى السلطان حينئذ باحضار المسلم المنخطف[١١] به فحضر. فقال له: إنك ادعيت أن نصارى قارا أسروك [٢٢٣ : ب] و باعوك بطرابلس، و أنهم صاروا يتخطفون المسلمين و يبيعونهم بها[٤]، و قد أنكروا ما ذكرت عنهم، [١٢]فما حجتك عليهم[١٢]

(١) فى بن : الإقامة.
(٢) فى بن : بها.
(٣) عن بن، وهى ساقطة من بر.
(٤) ساقطة من بن
(٥) فى الأصلين : فدخلتها.
(٦) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٧) فى بن : انت.
(٨) فى الأصلين : الذميين.
(٩) فى بن : للفرنج.
(١٠) فى بن : نكون نفعل.
(١١) فى بن : المختطف
(١٢ – ١٢) ساقطة من بر و واردة فى بن.

فصار الرجل يذكر لهم فعلهم بأدلة ذكرها لهم[١] و أمار[٢] حققها و أظهرها، فقويت حجته عليهم، فسقط ما بأيديهم، [٣]فعند ذلك دحضت حجتهم و ظهرت فضيحتهم[٣]، فأمر السلطان بقتلهم، فقتلوا عن آخرهم، و أخذت أموالهم، و سبيت نسوانهم[٤] و أطفالهم، و سكن المسلمون قارا بعد هلاك النصارى، و جعلت كنائسهم مساجد[٥]، فكثر بها الراكع و الساجد، و بدل الناقوس بالأذان، و الكفر بالإيمان، فلله الحمد و الشكر على ذلك.

و اعلم أن أهل الذمة إذا خرجوا قاطعين لطريق المسلمين مخيفين لهم[٦]، فهل يكون ذلك [٧]نقضا للعهد أو لا[٧]؟ مذهب ابن قاسم[٨] - و هو المشهور - أنه لا يكون نقضا. و قال ابن مسلمة هو نقض للعهد، و رجحه بعض الشيوخ بمسألة إكراه المسلمة على الزنا. فذهب ابن القاسم[٩] بأن الذى[١٠] أكره المسلمة على الزنا[١١] يقتل - انتهى.

نعود[١٢] - ثم ان السلطان الملك المنصور قلاون بقى فى نفسه من

(١) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٢) جمع «أمارة» فى اللغة المصرية الدارجة بمعنى إشارة أو علامة أو دليل.
(٣-٣) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٤) فى بن: نساؤهم. (٥) فى بن: مساجدا. (٦) فى الأصلين: لها.
(٧-٧) فى بن: نقض العهد أم لا.
(٨) فى بن: القاسم. (٩) فى بن: القسم.
(١٠) فى بن: المسلم إذا - و بهامش بر: ط الذمى.
(١١) زيد فى بن: انه.
(١٢) الكلمة ساقطة من بن.

طرابلس الشام[١] شيء، [٢]فرحل من قارا و نزل على[٢] دمشق، ففرح[٣] به أهلها[٤]، و زينوا البلد لقدومه و نصره على التتر [٥]بالحلى و الحلل و الستور و الكلل[٥]. فأقام حتى استراحت العساكر، و ارتحل منها طالبا مصر بالغنائم التى اكتسبها. ثم بعد ذلك بمدة[٦] عزم على فتح طرابلس. فجهز لها العساكر و قصدها فى عام ثمان[٧] و ثمانين و ستمائة، فحاصرها[٨] و نصب عليها تسعة عشر منجنيقا، و رماها بالحجار[٩]، فى الليل و النهار، إلى أن أخرب منها الديار. فكان مدة حصاره لها أربعة و ثلاثين يوما، و قيل أربعة و خمسون[١٠] يوما. فحينئذ طلعت الصناجق[١١] المنصورة إلى المدينة، فقتلوا و أسروا و غنموا الغنائم الكثيرة. وهرب بعض الإفرنج[١٢] من البلد فى المراكب دخلوا الجزائر، فحصل فى قبضة السلطان منها ألف و مائتا[١٣] أسير. وكانت الإفرنج[١٢] ملكتها من المسلمين فى سنة

(١) الكلمة ساقطة من بن.
(٢-٢) فى بن: فرجع من قارا إلى.
(٣) فى الأصلين: ففرحت.
(٤) زيد فى بن [١٧١ : ب]: المسلمون.
(٥-٥) الجملة ساقطة من بن.
(٦) الكلمة ساقطة من بر، و واردة فى بن.
(٧) فى بن: ثمانية. (٨) فى بن: و حاصرها.
(٩) فى بن: بالحجارة. ــ وهو الأصح ولكن تركناها كما فى بر لضمان السجع.
(١٠) فى بن: و خمسين. (١١) فى بن: السناجق. (١٢) فى بن: الفرنج.
(١٣) فى الأصلين: و مائتى.

ثلاث و خمسمائة بعد أن حوصرت سبع سنين ، و صاحبها يومئذ أبو على عمار بن محمد بن عمار . فلما فتحها الملك المنصور قلاون ، أمر بخرابها[1] و هدم أسوارها ، فأخربت ديارها ، و رميت أسوارها . و أمر ببناء طرابلس التى هى الآن بعيدة من الساحل عوضها . و رحل السلطان إلى مصر مسرورا مؤيدا منصورا ، فأقام بقلعة الجبل إلى أن توفى[2] سنة تسع و ثمانين و ستمائة ، و دفن [٢٢٤ : الف] بقبة المنصورية التى عمرها له بأمره الأمير علم الدين الشجاعى ، و المدرسة و المارستان أيضا بين القصرين بالقاهرة ، فكانت مدة مملكته إحدى عشرة[3] سنة و ثلاثة أشهر فولى ملك مصر بعده الملك الأشرف[4] صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاون .

[سلطنة الأشرف خليل]

و فى شهر شعبان سنة تسع و ثمانين وستمائة ثار جماعة من الإفرنج[5] بعكا و قتلوا جماعة كثيرة من المسلمين بها[6] ،كانوا دخلوها بسبب التجارة ، و أرسل[7] أهل عكا يعتذرون للسلطان الملك الأشرف أن ما[8] فعله

(١) ف بن : باخرابها . (٢) زيد ف بن : ف . (٣) ف بن : احد عشر .
(٤) وسلطنته ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م .
(٥) ف بن : الفرنج .
(٦) الكلمة ساقطة من بن .
(٧) كذا ف بن و الكلمة ف بر : وأرسلوا .
(٨) ف الأصلين : إنما .

إلا جماعة من الإفرنج[١] الغرباء الذين أتوا عكا فى هذه الأيام، و إنه لم يكن عن رضائهم[٢] و لا أرادوه[٣]، و كان ذلك من أقوى الأسباب فى تجهيز السلطان الملك الأشرف بالعساكر و خروجه لحصار عكا فى السنة المذكورة، و زحفت العساكر على عكا. [٤]و نصب عليها المجانيق. و قيل كان فى أسرى المسلمين بعكا رجل بوّاق طالت إقامته عندهم و لم يقدر على الهرب، فجعلوه بواقا لهم على السور، فلما رمى منجنيق المسلمين على عكا لم يصل الحجر إلى السور، بل بقى من وصوله نحو ذراع أو ذراعين، فصار المسلم المبوق على السور يقول فى بوقه: قدموا قدموا. و تكرر هذا اللفظ بصوته فيه، ففهم مبوقوا[٥] المسلمين قوله ذلك، فأعلموا السلطان به، فقال لأصحاب المنجنيق: قدموه! فقدموه و رموا به رميا مترادفا فأخربوا جانبا من السور. و زحف[٦] المسلمون فدخلوها[٤] و ملكوها[٧] بعون الله تعالى، فقتلوا و أسروا و غنموا غنائم كثيرة. وكان مدة حصارها أربعة و أربعين يوما وكان عليها نحو سبعين منجنيقا كبارا و صغارا. و أمر باخرابها [٨]فتواتر الرمى عليها بالمجانيق[٨]

(١) فى بن: الفرنج. (٢) فى بن: رضا منهم. (٣) فى بن: ارادة.

(٤-٤) هذه العبارة بكاملها ساقطة من بر و واردة فى بن ويكتمل الكلام بها، وهى فى بن [١٧١ : ب].

(٥) فى بن: مبوقين.

(٦) فى بن: زحفت.

(٧) كذا فى بن، وهى فى بر: فملكوها.

(٨-٨) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن.

فأخربت

فأخربت ، و هي الآن [١]خراب يباب[١] ، [٢]و إلى جانبها طائفة من المسلمين سكانا[٢] ، ، و في جبلها مقطع [٣]الأرحية التي للطواحين[٣] . و وصل إلى الملك الأشرف بعد فتحه لعكا مفاتيح صور و صيدا و بيروت و انطرسوس و عدة قلاع أخلتها[٤] النصارى لعلمهم أنهم بعد فتح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لبيت المقدس و فتح السلطان الملك الظاهر لأنطاكية و فتح السلطان الملك المنصور قلاون طرابلس و فتح السلطان الملك الأشرف لعكا [٥]لم يبق لهم في برهم سكنى معهم[٥] ، فصاروا إذ ليس لهم طاقة بالسكنى بين المسلمين ، فأخلوها و دخلوا جزر البحر سكنوها ، و وصلت البشائر إلى القاهرة بفتح عكا و إخرابها ، فزينت القاهرة أحسن زينة ، و حصل عند العالم مسرة عظيمة بأخذ ثأر قتلى[٦] التجار المسلمين بها ، و بخرابها و طهارة سواحل المسلمين من الإفرنج[٧] الكافرين . و رحل الملك الأشرف و أتى إلى القاهرة فدخلها[٨] من باب النصر و أسارى أهل

(١-١) في بر : خرابا يبابا . . . و لفظة « يبابا » ساقطة من بن ، و ربما كانت الكلمة « يباب » .

(٢-٢) في بن : و في جانبها قرى للسلمين .

(٣-٣) في بن : الرحى و هي حجارة الطواحين .

(٤) في بن : احتلها .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦) كذا في بن [١٧٢ : الف] ، و هي في بر : قتلا .

(٧) في بن [١٧٢ : الف] : الفرنج .

(٨) عن بن ، و في بر : دخلها .

عكا قدامه، و شق المدينة و هى مزخرفة بالزينة، فدعوا[1] الناس له و هنّؤه بالنصر إلى أن وصل إلى القصر .

[2]قال بعض العلماء: تكره التجارة إلى أرض العدو لأن فيه تغريرا للانسان بنفسه و ماله و إذلالا للدين و اعزازا للشرك أن تجرى أحكامهم عليه، و يرى الكفر جهارا و لا يأمن على نفسه من الفتنة، و تكره على ... [3] أو يغدروه، و كل ذلك منعه الشرع و له فى بلد المسلمين مندوحة عن التعرض لهذه الأمور، و قد قال النبى صلى الله عليه و سلم : "السفر قطعة من العذاب . يمنع أحدكم نومه و طعامه و شرابه"[2] .

و كان الملك الظاهر بيبرس فى دولته بلغه أن صاحب جزيرة قبرس أتى بجيشه إلى[4] عكا لينصر أهلها خوفا من إتيان الملك الظاهر إليها . فأراد الملك الظاهر [٢٢٤ : ب] اغتنام هذه الفرصة، فبعث جيشا كثيفا فى سبعة عشر شينى ليأخذوا[5] جزيرة قبرس[6]، فسارت الشوانى سرعة

(١) فى بن : فدعا .

(٢-٢) هذا القسم ساقط من بر و وارد فى بن [١٧٢ : الف] .

(٣) مطموسة بالأصل .

(٤) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٥) فى بر : يأخذوا - و فى بن : يفتحوا .

(٦) فى بن : قبرص .

إليها ، فلما قربت من الجزيرة جاءتها ريح عاصف تصادمت بعضها لبعض فتحطم منها أحد عشر مركبا وغرق خلق ، و أسر من الصناع و الرجال قريبا من ألف و ثمانمائة ، فانا لله و إنا إليه راجعون . فسار الملك الظاهر و نصب المجانيق على عكا ، فقال أهلها الأمان الأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، و دخل عكا يوم عيد الفطر فتسلم حصنها . و كان هذا الحصن شديد الضرر على المسلمين ، و هو في[1] واد بين جبال . و قد كان الملك الظاهر سار[2] إلى طرابلس الشام[1] . فأرسل إليه صاحبها يقول : ما مرادك أيها الملك ؟ فقال : جئت لأرعى زرعكم[3] و أخرب بلادكم و أعود إلى حصاركم في العام الآتي . فأرسل يستعطفه و يطلب منه المصالحة ، و وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأجابه إلى ذلك .

ثم أن السلطان الملك الظاهر مات ، فلما كان في دولة الملك المنصور قلاون فتحها [4]و فتح ولده الملك الأشرف عكا[4] كما تقدم ذكره[5] ، و في رجب سنة إحدى و تسعين و ستمائة ملك المسلمون قلعة الروم ، و أخذوا منها ألف أسير ، و كانت[6] مدة حصارها ثلاثة و ثلاثين يوما .

---

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : صار .

(٣) في بن : زروعكم .

(٤-٤) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٥) في بن : ذكر ذلك .

(٦) في الأصلين : كان .

[1]و كانت الروم أسرت عبد الرحمن الأعشى الشاعر ، و بقى فى أيديهم مدة ، ثم أن بنت العلج الذى أسره هويته[2] فمكنته من نفسها فواقعها فى ليلة ثمان مرات ، فقالت : يا معاشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم؟ فقال : هكذا نفعل و أكثر من ذلك . فقالت : بهذا العمل نصرتم علينا ، أفرأيت إن[3] نصرتك و خلصتك تصطفينى لنفسك؟ قال : نعم! فلما كان الليل حلت قيوده و أخذت به طريقا نجيا فيها ، سارا إلى أن دخلا أرض المسلمين . و كان المهلب بن أبى صفرة كثير النكاح . قال ابن قتيبة : يقال إنه وقع من صلبه إلى الأرض ثلاثمائة ولد ، و كان ميمون النقيبة لم يكن فى جيش وكسر ذلك الجيش أصلا ، و كان يقول : الحياة خير من الموت ، و الثناء الحسن خير من الحياة ، و لو أعطيت ما لم يعط أحد لأحببت أن أكون أذنا أسمع بها ما يقال فى غد إذا مت ـ انتهى .

و قبض السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل[4] ابن الملك المنصور

(١ ـ ١) هذا الجزء بأكمله ساقط من بر و وارد فى بن [١٧٢ : الف ـ ب] .

(٢) فى الأصل : هويت .

(٣) فى الأصل : انى .

(٤) سلطنته ٦٨٩ ـ ٦٩٢ هـ = ١٢٩٠ ـ ١٢٩٣ م .

قلاون على الأمير حسام الدين طرنطاى نائب[1] السلطنة المنصورية ، و رسم للأمير حسام الدين استادار[2] و الطواشى بلال بأن ينزلوا إلى دار طرنطاى و يطلعوا للقلعة بكل ما فيها ، فذكر بأن الذى أخرجوه منها ستمائة ألف دينار مصرية و مائة و إحدى و سبعين قنطارا دراهم و جميع قماشه و عدته و سلاحه ، و لم يتركوا بالدار شيئا . و كان شيئا كثيرا ، و أخذ جميع خيله[3] و جماله و مواشيه و مماليكه ، [4]فأخذ السلطان بعض مماليكه[4] و فرق الباقى على الأمراء ، و أحيط على جميع موجوده[5] بمصر و الشام . و عوقب بعد ذلك . و عصر بالمعصير ، و بقى فى العقوبة إلى أن مات ، و بقى بعد موته أياما[6] مرميا[7] فى المكان الذى مات فيه ، ثم أنزلوه من القلعة إلى زاوية الشيخ أبى سعود[8] بالقرافة ، فغسلوه و كفنوه و صلوا عليه و دفنوه قبلى الزاوية من ظاهرها . فلما كان فى أيام السلطان الملك العادل كتبغا رسم بنقله إلى تربته التى أنشأها بجوار داره و مدرسته [د ٢٢٥ : الف] بالقاهرة فدفن بها

(١) فى بن [١٧٢ : ب] : نائب نائب للسلطنة

(٢) كذا فى بن ، و هى فى بر : استادارا .

(٣) فى بن : خيامه .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٥) فى الأصل بر : موجوزه — و صحته فى بن كما أوردنا بالنص .

(٦) فى بر : مرمى . و صحته فى بن .

(٧) فى بر : مرمى و فى بن : مومى .

(٨) فى بن : مسعود .

و فى[1] المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة توجه السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل إلى الصيد ، و عدى نزل الأهرام ، و رحل يوم السبت خامسه و نزل على تروجه يوم الخميس . و يوم[2] السبت ثانى عشره قتل السلطان الملك[3] الأشرف المذكور على تروجه ، قتله الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطان[4] و جماعة من أكابر[5] الأمراء المتفقين معه ، و كان ابن السلعوس من أعيان دمشق ، و كان الملك الأشرف فى دولة أبيه الملك المنصور قلاون سافر إلى دمشق ، فخدمه ابن السلعوس خدمة بالغة و أكرمه إكراما جزيلا . فلما توفى الملك المنصور قلاون ، و ولى الملك الأشرف استوزره . فتمكن ابن السلعوس فى الوزارة و شمخ بأنفه على الأمراء ، و كان علم الدين الشجاعى نائبا للسلطان الملك المنصور قلاون و نائبا أيضا لولده الملك الأشرف بعده ، فركب ابن السلعوس المذكور[3] بحمقه[6] رقاب الأمراء حتى الشجاعى أيضا ، و استطال عليهم بتقدمه عند السلطان [7]و قربه منه[7] فكرهته الأمراء

---

(١) فى بن : فى ؛ بسقوط واو العطف مع استمرار الكلام السابق فيتغير معنى العبارة .

(٢) فى بن : و فى يوم .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) فى بن : السلطنة .

(٥) فى بن : الأكابر .

(٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٧-٧) الكلمتان ساقطتان من الأصل بر و واردتان فى بن .

و تمنت [1] له العثرات . فقال بعضهم فى المعنى :

تبصر يا وزير الملك و اعلم بأنك قد وطأت على الأفاعى
فان تك سالما منهم فانى أخاف عليك من لذع الشجاعى

فلما نزل السلطان الملك الأشرف على تروجه بسبب الصيد و القنص [2] ، توجه ابن السلعوس إلى الإسكندرية ، و قد استصحب معه حملين مقارع بسبب مصادرة [3] كبار أهلها [3] ، فدخلها آخر النهار ، و كان المتولى بها إذ ذاك الأمير حسام الدين بن باخل ، فعنفه الوزير المذكور و شتمه [2] و قال له : غدا أضربك بالمقارع . فخاف منه و خافت أهل الإسكندرية منه أيضا خوفا شديدا بسبب إتيانه لهم بالمقارع لأخذ أموالهم منهم بظلمه و عنفه ، فباتت الناس فى كرب شديد لما يصبح يفعله [4] بهم . فلما قتل الأمير بيدرا الملك الأشرف [5] بعد العصر [5] و بعد دخول ابن السلعوس إلى الإسكندرية [6] وقت العصر [6] ، أتى بدوى فى الليل إلى الطاق التى بدار الإمارة فى السور . صاح ففتح الأمير الطاق و قال : ما الخبر ؟ فقال : أيها الأمير تعيش و تبقى [7] فى السلطان فانه قتل وقت [8] العصر و قد

(١) فى بن : و تصفوا . (٢) الكلمة ساقطة من بن .
(٣-٣) فى بن : أعيانها .
(٤) فى بن : يفعل .
(٥-٥) الكلمتان ساقطتان من بر و واردتان فى بن .
(٦-٦) الكلمتان ساقطتان من بن .
(٧) فى بن : و تبقا .
(٨) فى بر : بعد .

أتيت[1] مطردا بخبر قتله فانظر لنفسك . فمضى الأمير إلى منزل الوزير ابن السلعوس[2] و دق الباب ، فخرج [د٢٢٠ : ب] له الطواشى فقال : من أنت ؟ قال[3] : أنا الأمير [4]ابن باخل، فقال: ما تريد ؟ قال[4] : أريد الاجتماع بمولانا الوزير . فأخبره الطواشى بذلك ، فقال : قل له يا شيخ النحس جئت [5]فى هـذا الوقت[5] تبرطلنى ، غدا أضربك[6] بالمقارع . فبلغه الطواشى[7] الرسالة ، فقال [8]للطواشى : قل له جاءك[9] فى أمر أهم [10]من البرطله[10] و فيه مصلحتك لا مصلحتى . فأعلمه الطواشى بذلك فخرج إليه فقال له : ما الذى أتى[11] بك فى هذا الوقت؟ فقال له : [4]أمر مهم . فقال : و ما هو؟ قال[4] : يا مولانا الوزير انظر فى أمرك فان مولانا السلطان قتل بالأمس

(١) فى بن : اتيتك .

(٢) فى بن : سلعوس .

(٣) فى بن : فقال .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٥-٥) الكلمات ساقطة من بن [١٧٢ : الف] .

(٦) كذا فى بن ، و هى فى بر : يضربك .

(٧) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٨) زيد فى بر : قل. و الكلمة لا محل لها فى السياق فأسقطناها لاستقامة العبارة .

(٩) فى بن : اتاك .

(١٠-١٠) فى بن : مما ذكرت .

(١١) فى بن : أتا .

بعد

بعد [١] العصر، و نفـذ حكم الله فيـه، و قد أتانى الخبر مع نجّاب الآن بذلك. فلما سمع الوزير كلامه [٢] كشف رأسـه و انكب على رجلى [٣] الأمير يقبلهما [٤] و قال: يا أمير الجيرة [٥] أخرجنى فى هذه الساعـة لئلا يقتلنى أهل الإسكندرية غدا بالحجارة. فعند ذلك طلب الأمير الأجناد و الجبلية سلمه لهم [٦] و قال: احتفظوا به إلى أن توصلوه [٧] وطاق السلطان بتروجـــه. فلما وصل الوزير إلى [٨] الوطاق. ظفر به الأمير علم الدين الشجاعى، فلم يزل يضربه بالمقارع إلى أن مات [٩]. و كانت مدة مملكة [١] الأشرف ثلاث سنين و شهرين و ستة أيام. و لما وصل خبر قتله [١٠] إلى الوطاق ركب الأمير حسام الدين استادار الأمير زين الدين كتبغا و المماليك السلطانية و التقوا مع الأمير بيدرا قتلوه و هرب من كان معه. و وصل

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٢) فى بن: كلامك.

(٣) فى بن: أقدام.

(٤) فى بن: قبلها.

(٥) زيد فى بن [١٧٣: الف]: يا أمير.

(٦) فى بن: إليهم.

(٧) زيد فى بن: الى.

(٨) الكلمة ساقطة من بن.

(٩) فى بن: هلك.

(١٠) فى بن: مقتل السطان.

الخبر إلى القاهرة بقتل السلطان [١] وهو يتصيد [١] فغلقت القاهرة و مصر [٢] و فى يوم الإثنين رابع عشر المحرم أحضروا رأس بيدرا على رمح و طافوا به مصر و القاهرة . ثم علقوها على باب داره [٢] .

[سلطنة الناصر محمد الأولى]

و فى يوم الثلاثاء خامس عشر المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة شرعوا فى تحليف العساكر المنصورة للسلطان الملك الناصر محمد [٣] بن الملك المنصور قلاون و عمره يومئذ تسع سنين كاملة . و فى هذا النهار قبض على الأمير بهاء [٤] الدين رأس نوبة و على اقوش الموصلى الحاجب . وكانا [٥] من جملة الأمراء المخامرين ، و طلعوا بهم القلعة ، فعند وصولهم إلى القلعة قامت إليهم المماليك السلطانية قتلوهم و قطعوا رؤسهم و علقوها على أبواب دورهم . ثم أن الحرافيش سحبوا جثثهم و أحرقوهم فى أقمنة الجير . و فى هذا اليوم وقع الاتفاق على أن يكون الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة المعظمة و الأمير علم الدين الشجاعى و زيرا [٦] ، فقتل الشجاعى وقت العصر من يوم السبت تاسع عشر المحرم [٢٢٦ : الف]

(١-١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢-٢) العبارة بأكملها ساقطة من بن .

(٣) و سلطنته الأولى ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ = ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م .

(٤) كذا فى بن ، و هى فى بر : بهاى .

(٥) فى بن : و كان .

(٦) فى الأصل : وزير .

من السنة المذكورة، و طيف برأسه على رمح .

و فى ليلة الثلاثاء عاشر المحرم سنة أربع و تسعين و ستمائة ركبت[1] المماليك السلطانية المقيمون[2] بالكبش أحرقوا باب سعادة - أحد أبواب القاهرة - و دخلت المماليك المذكورون[3] منه إلى سوق السلاح كسروا الدكاكين و أخذوا ما احتاجوا إليه من جواشن و خوذ و طوارق و سيوف، ثم خرجوا إلى ظاهر[4] باب زويلة كسروا دكاكين ربع الأمير زين الدين كتبغا و هو يومئذ نائب السلطنة المعظمة . و أخذوا منها سروجا[5] مذهبة و عددا[5]، ثم ركبوا و اجتمعوا تحت القلعة إلى بكرة يوم الثلاثاء، فلم يتم لهم مرادهم، فنزل إليهم الأمراء من القلعة حملوا عليهم فكسروهم، و قتل منهم جماعة و أسروا الباقين، و مسك مقدميهم قطع[6] أيديهم و أرجلهم، و كحل[7] بعضهم بالنار، و قطعت ألسنة بعضهم على باب زويلة .

[سلطنة العادل زين الدين كتبغا]

و فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع و تسعين و ستمائة

(١) فى بن : ركب .

(٢) فى الأصلين : المقيمين .

(٣) فى الأصلين : المذكورين.

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) وردت الكلمة فى الأصلين بدون ألف التنوين .

(٦) فى بن : قطعت .

(٧) كذا فى بن . و هى فى بر : كحلوا .

ركب الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة من دار النيابة فرسا بالرقبة[١] و الكنبوش، و حملوا[٢] الغاشية[٣] قدامه. و مشت الأمراء فى خدمته، و دخل الإيوان الكبير، و جلس على كرسى المملكة، و تقلد السلطنة. و تلقب بالملك العادل[٤]. و أخلع على الأمير لاجين، و ولاه نيابة السلطنة بالديار المصرية، و أخلع على الأمير عز الدين الأفرم و جعله جان دار. و فى شهر شوال سنة أربع و تسعين و ستمائة ابتدأ الوخم و الموت، و كان أكثره فى الصعاليك بسبب الغلاء. و كان القمح فى هذا الوقت بخمسة و سبعين درهما نقرة الأردب بالكيل المصرى. و فى تلك السنة بلغ النيل ستة عشر ذراعا و سبعة عشر أصبعا. ثم زاد[٥] السعر[٦] فبلغ القمح[٦] مائة[٧] و عشرة دراهم نقرة الأردب بالكيل المصرى. و بلغ رطل اللحم المصرى درهمين[٨] نقرة. و فى ذى الحجة [٩]من السنة المذكورة[٩]

(١) فى بن: بالرقية.

(٢) الكلمة ساقطة من بن.

(٣) فى بن: و الغاشية.

(٤) سلطنة العادل زين الدين كتبغا ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ = ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م.

(٥) فى بن [١٧٣ : ب]: ازداد.

(٦-٦) فى بن: فى القمح فبلغ.

(٧) زيد فى بن: درهم.

(٨) فى بر: درهمان. و فى بن: بدرهمين.

(٩-٩) فى بن: و هى سنة أربع و تسعين و ستمائة.

ازدادت الأسعار ، فبلغ القمح مائة و ثلاثين[1] درهما[2] نقرة الأردب بالكيل المصرى . [3]و فى صفر سنة خمس و تسعين و ستمائة بلغ القمح بالكيل المصرى[3] مائة و خمسين درهما نقرة الأردب ، و الخبز رطل و نصف مصرى بدرهم نقرة . و كان كل ترّاس يحمل فى زمن الخَصْب أردبا على كتفه ، فصار يحمل ربع أردب لضعفه بسبب الجوع . و بلغ الرطل اللحم الجروى و هو رطلان[4] و سدس رطل بالمصرى تسعة دراهم [٢٢٦ : ب] نقرة بالإسكندرية . و كانت[5] العربان بها تلعق [6]عند ذبح الخرفان دمها[6] . و مات من الصعاليك بسبب الجوع خلق كثير ، و حفرت لهم الحفائر ، فدفن فى كل حفرة جماعة كثيرة . ثم اشتد الغلاء بمصر ، فهلك كثير[7] من الفقراء و الأغنياء . ثم عقبه فناء عظيم حتى قيل إن السلطان الملك العادل كتبغا كفن من ماله فى مدة يسيرة نحوا[8] من[2] مائتى ألف ميت و عشرين ألف ميت . و أكات

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : و ثلاثون .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٤) فى الأصلين : رطلين .

(٥) عن بن ، و فى بر : و كان .

(٦-٦) فى بن : دم الخراف حين ذبحها بالمجازر .

(٧) كذا فى بن ، و هى فى بر : كثيرا .

(٨) فى الأصلين : نحو .

الناس الكلاب و[1] الميتات، و أكلت الناس[1] من الأطفال [2] شيئا كثيرا[2]، يشوى [3] الوالدان ولدهما[3] و يأكلانه. و كثر[4] هذا فى الناس حتى صار لا ينكر بينهم حتى صاروا يحتالون على بعضهم البعض، و يأكلون من يقدرون عليه. و كان الرجل يضيف صاحبه، فاذا خلا به ذبحه و أكله. و وجد عند رجل نحو من أربعمائة رأس أكل هو و عياله أجسادها. و هلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى فيذبحون و يؤكلون. [5] و قد استدعى[6] رجل طبيبا فذهب معه على وجل، فجعل الرجل يتصدق على من وجده فى الطريق و يذكر و يسبح و يكبر، فارتاب الطبيب، و مع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه. فلما وصل الدار إذا هى خربة، فاشتد خوف الطبيب، فخرج رجل من الدار فقال لصاحبه: ما هذا البطء[7]، جئتنا بصيد؟ فلما سمع الطبيب هرب[5].

[سلطنة حسام الدين لاجين]

و فى المحرم سنة ست و تسعين و ستمائة كان الملك العادل كتبغا

(١-١) العبارة ساقطة من بن.

(٢-٢) فى بر: شىء كثير. و فى بن: خلق كثير.

(٣-٣) فى بر: الوالد ولده. و فى بن: الوالدين ولدهما.

(٤) فى بن: و كثير.

(٥-٥) هذه العبارة بكاملها ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٦) فى الأصل: استدعا.

(٧) فى الأصل: البطو.

بدمشق ، فخرج طالبا الديار المصرية ، فركب الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطان بمصر و الأمراء فى خدمته ، و قصدوا الملك العادل كتبغا و هو بالدهليز ، فلما قربوا و علم منهم أنهم قد عملوا عليه ، خرج و ركب فى نفر يسير من مماليكه و طلب نحو دمشق ، فخلعوه من الملك ، و تسلطن الأمير حسام الدين لاجين[١] و لقب بالملك المنصور . و توجه الملك العادل كتبغا من قلعة دمشق إلى صرخد يقيم بها . و ركب الملك المنصور لاجين ، و هو أول يوم ركوبه إلى الميدان ، فبينما هو يلعب الأكرة و إذا به تقنطر من على فرسه ، فانكسرت يده ، و أقام مدة أربعين يوما لم يركب .

قال الشيخ تاج الدين بن عطا : و لما اجتمعت [٢] بالسلطان الملك [٢] المنصور لاجين حين توجه للعافية قلت له : يجب عليكم الشكر لله تعالى[٣] على العافية و أن الله سبحانه قد قرن دولتكم بالرخاء فانشرحت قلوب الرعايا لكم ، و الرخاء أمر لا يستطيع تكسبه و لا استجلابه[٤] كما يتكسبون العدل و الجود و العطاء . فقال : و ما هو الشكر ؟ قلت : الشكر على ثلاثة أقسام ، شكر اللسان ، و شكر الأركان ، و شكر الجنان ؛ فشكر

---

(١) سلطنته ٦٩٦ - ٦٩٨ هـ = ١٢٩٦ - ١٢٩٨ م .

(٢-٢) فى بن : بالملك .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : استجالبه . و هو خطأ نلمى واضح .

اللسان التحدث بنعم الله ، قال الله سبحانه "و آما بنعمة ربك فحدث [١] "؛ و شكر الأركان العمل بطاعة الله ، قال [٢٢٧ : الف] الله سبحانه "اعملوا ال داود شكرا [٢] "؛ و شكر الجنان الاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد من الله سبحانه [٣] ، قال الله سبحانه "و ما بكم من نعمة فمن الله [٤] " .

و وصل السلطان [٥] الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون [٥] إلى الكرك من القاهرة ، و كان الملك المنصور لاجين سيّره إلى الكرك من العشر الأخير من ربيع الأول سنة ست و تسعين و ستمائة ليقيم بها ، و توجه به فى خدمته ، منهم الأمير سيف الدين سلار و هو يومئذ استادره [٦] ، فأوصله إلى الكرك و عاد إلى القاهرة . و فى ربيع الأول سنة ثمان و تسعين و ستمائة قتل السلطان الملك المنصور لاجين . قتله الأمير سيف الدين كرجى مقدم المماليك السلطانية و جماعة متفقون [٧] معه ، فمسكوا الأمير منكوتمر نائب السلطنة و اعتقلوه [٨] فى الجب بالقلعة ، ثم أخرجوه و ذبحوه .

---

(١) قرآن كريم ٩٣ : ١١ .
(٢) قرآن كريم ٣٤ : ١٣ .
(٣) ساقطة من ب .
(٤) قرآن كريم ١٦ : ٥٣ . و زيد فى ب بعد ذلك : انتهى ، نعود .
(٥-٥) فى ب [١٧٤ : الف] : محمد بن المنصور
(٦) فى ب : استادار .
(٧) فى الأصلين : متفقين .
(٨) فى ب : و اعتقل .

سلطنة

[سلطنة الناصر محمد الثانية]

ثم اجتمع[١] الأمراء الكبار مثل بيبرس ششنكير و سلار مدبروا[٢] الدولة و اتفقوا على أن يطلبوا السلطان[٣] الملك الناصر محمد[٤] من الكرك و يولوه السلطنة ثانيا[٥]. و أتت البشائر إلى القلعة بخروج الملك الناصر من الكرك. فوصل إلى القاهرة ليلة السبت من شهر ....[٦] سنة ثمان و تسعين و ستمائة، فبات باقى ليلته فى الإصطبل، و طلع بكرة النهار إلى القلعة. و أخلع على الأمير سلار و ولاه نيابة السلطنة[٧] بالديار المصرية، و فرق الخلع على الأمراء المقدمين و الأعيان[٧] و القضاة و الدواوين الكبار و من جرت عادته بالخلع عند جلوس الملك على كرسى الملك. فمكث السلطان مدة و ششنكير[٨] و سلار حاكمين عليه حتى قيل إنه كان يطلب أوزّة[٩] مشوية لم تعط[١٠] له حتى يشاوروا عليها

(١) عن بن، و فى بر: اجتمعوا.
(٢) فى الأصلين: مدبرى.
(٣) ساقطة من بن.
(٤) عن بن، و الكلمة ساقطة من بر.
(٥) سلطنته الثانية ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ = ١٢٩٨ - ١٣٠٨ م.
(٦) بياض بالأصلين.
(٧-٧) العبارة ساقطة من بن.
(٨) فى بن: و شاشنكير.
(٩) فى بر: وزة. و هى كما أوردنا فى بن.
(١٠) كذا فى بن، و هى فى بر: تعطا.

سلار و ششنكير[١] ، فضجر السلطان من ذلك و طلب [٢] السفر إلى [٢] الحجاز الشريف[٣] ، فطلع من التيه إلى الكرك أقام به ، و التيه بين الشام إلى أرض مدين ، فأقام السلطان بالكرك ينتظر الفرج من ربه ، و لسان حاله يقول :

اصبر على الضيق إن أصبحت منغمسا
في الضيق من لجج تهوى إلى لجج
فما تجرع كأس الصبر معتصما
بالله إلا أتاه الله بالفرج

[سلطنة بيبرس ششنكير]

ثم أن بيبرس ششنكير[٤] تسلطن و لقب بالملك المظفر ، و أقام في الملك مدة يسيرة .

[سلطنة الناصر محمد الثالثة]

ثم أن أمراء الشام الكبار أتوا إلى الكرك أخذوا الملك [٢٢٧ : ب] الناصر محمد[٥] و أتوا به إلى مصر ، فهرب بيبرس ششنكير[١] إلى الصعيد ، فأدركته الأمراء فقلته[٦] . ثم أن السلطان[٧] الملك

(١) في بن : جاشنكير .
(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن .
(٣) عن بن ، و هي ساقطة من بر .
(٤) في بن : جاشنكر . و سلطنته ٧٠٨ - ٧٠٩ هـ = ١٣٠٨ - ١٣٠٩ م .
(٥) سلطنته الثالثة ٧٠٩ - ٧٤١ هـ = ١٣٠٩ - ١٣٤٠ م .
(٦) عن بن ، و في بر : قتلته .
(٧) ساقطة من بن .

الناصر محمد حبس سلار بين حائطين قائمين أمر ببنائهما عليه و منعه من[1] الطعام فى الليل و النهار لمخامرته مع ششنكير[2] عليه . و لما قصده أيضا للناس[3] من الغلاء بخزنه شُونَ القمح يطلب فيه السعر الكثير . [4] فقيل : إنهم كانوا يأكلون الحشيش بربع درهم نقرة الوقية ، فما يأكلون الخبز بربع درهم نقرة الرغيف[4] ، فكان[5] يصرخ فى مجلسه و يقول[6] : الجوع الجوع . فأرسل السلطان له طبقا فيه دنانير[7] و قال لحامله : [8] قل له[8] يقول لك السلطان كُلْ من هذا الطعام الذى كنت [9] تحبه و تحب[9] جمعه و تنميته من الغلاء الذى كنت[2] تريده للمسلمين . فقيل : إنه صار يمضغ [10] أخفافه و ينهش بأسنانه أكتافه من الجوع ، و لم يزل يصيح : الجوع الجوع ، حتى هلك بالجوع[10] .

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى بن : جاشنكير .

(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤-٤) العبارة كلها ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٥) كذا فى بن ، و هى فى بر : أنه كان .

(٦) فى بن : و يصيح .

(٧) فى بن : ذهب .

(٨-٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٩-٩) فى بن : تحب .

(١٠-١٠) فى بن : أكتافه و ينهشها بأسنانه من الجوع حتى أهلكه الله تعالى بالجوع .

و سأذكر الآن ما وقفت عليه من كثرة الأموال[1] التى وُجدت لسلار حين القبض عليه ، و حملت إلى القلعة ، و هى قائمة مباركة يعتبر بها المعتبرون ، و يتفكر فيها المتفكرون ، بالذى وجد للأمير[2] سلار ، و نقل إلى[3] قلعة الجبل بالقاهرة المعزية[3] : أول يوم - صناديق جوهر[4]
٥ ثمانية ، صناديق ياقوت أحمر بهرمانى[5] أربعين رطلا بالرطل المصرى ، بلخش محكوك ثمانية و ستين رطلا ، [6]زمرد ريحانى ثمانية و ستين أرطالا[6] ، فصوص ماس و عين هر خمسة آلاف فص ، لؤلؤ كبار كل حبة مثقالين ستة آلاف و خمسين حبة ، ذهب مصرى أربعين ألف دينار ، دراهم مائة ألف ألف[7] درهم و عشرين ألف درهم . ثانى يوم - [8]أوانى ذهب[8]
١٠ ثلاثة و عشرين قنطارا ، أوانى فضيات مثل أطباق و طاسات[9] و هواوين و طشوت و غيرها مائة و عشرين[10] قنطارا ، عقود و حلق و دمالج

(١) فى هامش بر : تركة سلار .
(٢) زيد فى بن : سيف الدين .
(٣-٣) فى بن : القلعة بالقاهرة .
(٤) فى بن : جواهر .
(٥) فى بن : بهرمان .
(٦-٦) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٧٤ : ب] .
(٧) الكلمة ساقطة من بن .
(٨-٨) فى بن : ذهبيات .
(٩) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .
(١٠) فى بن : و عشرون .

ثلاثمائة

ثلاثمائة و ستين[1] رطلا ، دراهم ثمانية آلاف ألف و تسعة آلاف درهم ، ذهب مصرى مائة[2] ألف دينار . ثالث يوم - زركش عمل الإبرة سبعة و سبعين رطلا بالدمشقى و الرطل الدمشقى أربعة أرطال مصرية ، ذهب مصرى خمسة و سبعين ألف دينار . دراهم ثمانمائة ألف و خمسة و عشرين ألف درهم ، قماش أطلس ألف و سبعمائة بغلطاق ، مزركشات[3] قبة[4] و خشاخيش نمرو[5] و قماقم[6] سبعمائة قبا . رابع يوم - ذهب مصرى مائة ألف و خمسة و أربعين ألف دينار ، دراهم تسعمائة ألف درهم ، سروج مذهبة مجوهرة ثمانمائة سرج ، [7]سروج زرخونى مذهبة سبعمائة سرج[7] ، سروج زرخونى بفضة مذهبة[2] [٢٢٨ : الف] تسعمائة و خمسين سرج . و وجد عنده ثمانية[8] صناديق ما يعلم ما فيها ، غير أنه حمل منها إلى الخزانة ثانى يوم حوايص و بنود كاشات عليها رنك الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاون و ذلك خمسمائة قطعة ، منها حوايص ثلاثمائة ، بنود[9] و كاشات مائتين . و الذى وجد له بالشوبك :

(١) فى بن : و ستون .
(٢) الكلمة ساقطة من بن
(٣) فى بن : مجركسات .
(٤) فى بن : اقبية .
(٥) فى بن : نفرو.
(٦) فى بن : و قايم .
(٧-٧) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٧٤ : ب]
(٨) فى الأصلين : ثمان (٩) فى بن : و بنود .

ذهب مصرى خمسة و تسعين ألف دينار، دراهم ستمائة ألف و تسعين ألف درهم، سروج مذهبة بلؤلؤ خمسمائة سرج، [1]خلع كنجى طرد وحش ألف و ستمائة بغلطاق[1]، خيول عربية ألف و سبعمائة و ثمانين فرس، أكاديش و حجورة سيسيات ألفين[2] و سبعمائة، بغال للحمل مائة و عشرين قطارا[3]، هجن بكيران فضة سبعمائة هجين؛ جمال للحمل ألف و مائتى جمل. و ذلك خارجا عما هو للنساء من ذهب و فضة و قماش. و وجد بعد ذلك فى داره أربع[4] فساقى من[5] ذهب و فضة[5] حملت [6]ما يعلم[6] وزنها. و مات بحسرة كسرة خبز [7]يسد بها جوعه[7]، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار. فانظر إلى سعة هذه الدنيا العريضة التى كانت لسلار، و مات بحسرة رغيف بارد أو حار.

لما دخل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه مدائن الأكاسرة بعد أن دارت عليهم الدائرة لينظرها بعد زوال ملكهم و هلكهم، تمثل بعض أصحابه يقول:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

(١–١) ساقطة من بن.
(٢) عن بن، و فى بر: ألفى.
(٣) فى بن: قنطارا.
(٤) عن بن، و فى بر: اربعة.
(٥) الكلمة ساقطة من بن.
(٦–٦) فى بن: لم نعلم.
(٧–٧) ساقطة من بر و واردة فى بن.

إن النعيم و كل ما يلهى بهم   يوما يصير إلى بلا و نفاد

فقال علي : لا تقل هكذا و لكن قل : قال الله تعالى : "كم تركوا من جنت و عيون ٥ و زروع و مقام كريم ٥ و نعمة كانوا فيها فكهين ٥ كذلك اورثنها قوما اخرين ٥[١]" هؤلاء كانوا وارثين فصاروا موروثين . [٢]قال بعضهم فى المعنى :

قد تلذذت مدة بأمور   فتدبرتها فكانت خيالا

قال عمر بن ذر : عباد الله لا تغتروا بطول حكم الله و احذروا ....[٣] فقد سمعتم قوله سبحانه و تعالى : "فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقنهم[٤]" . و قال بعضهم لحبيب العجمى : ليتنا لم نخلق . قال : قد وقعتم فتحيلوا فى الخلاص بطاعة الله و التمسك بأوامره و النهى بعاصيه ، يا رب غفرانك عن مذنب أسرف إلا أنه نادم . قال : إن الحكمة فى إخراج آدم من الجنة بسبب أكله من الشجرة التى نهاه الله عن أكلها فأكل منها ، إنه كان فى صلبه من لا يستحق الولاية و لا يصلح لحضرة القدس ، فاذا أخرجهم من صلبه أعاده إليها خالدا فيها . عن عثمان بن منبه قال : سمعت ابن عطاء يذكر أن آدم كان نسلا من نسل الجنة ، فسبانا إبليس بالخطية إلى الأرض ، فليس ينبغى الفرح فى الدنيا و لكن الحزن و البكاء ما دمنا

(١) قرآن كريم ٤٤ : ٢٥ - ٢٨ .

(٢ - ٢) من هنا إلى قوله « نعود » ساقط من بر و وارد فى بن [١٧٤ : ب - ١٧٥ : الف] .

(٣) بقية الكلمة مطموسة .

(٤) قرآن كريم ٤٣ : ٥٥ .

فى دار الدنيا حتى نردا[1] إلى الدار التى منها سبينا . قال الشاعر :

منتك نفسا . . . . [2] سبل الرجاء فهنّ غيرُ قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب و ترتجى عرف الجنان بها و فوز العابد
و نسيت أن الله أخرج آدم منها إلى الدنيا بذنب واحد

نعود[3] ، ثم أقبلت بعد زوال مملكة الكسروية الدولة الإسلامية فقهرتها و أفنتها ، و كذلك قهرت الدولة الإسلامية[4] الدولتين[5] الرومية و القبطية ببركة سيدنا محمد خير البرية [6] الذى ذكرته الأخبار المتقدمة فى كتبها كما[6] قال عبد المطلب بن هاشم حين حضرته الوفاة يوصى ولده أبا طالب [7] بمحمد صلى الله عليه و سلم[7] :

أوصى أبا طالب خيرا بذى رحم محمدا و هو بين الناس محمود
هو الذى تزعم الأحبار أن له أمرا[8] سينصره نصر[9] و تأييد
فى كتب [10]عيسى و موسى[10] منه بينة فيما تحدثنا القوم العبايد[11]

---

(١) فى الأصل : نردا .

(٢) فى الأصل « طنه فاعحها » ناقصة النقط و غامضة فآثرنا نقلها للهامش و ترك مكانها بياضا .

(٣) كذا فى بن ، و فى بر : انتهى .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) فى بن [١٧٥ : الف] : دولتى .

(٦–٦) العبارة ساقطة من بن . (٧–٧) من بن ، و فى بر : به .

(٨) فى الأصلين : امر (٩) فى الأصلين : نصرا .

(١٠–١٠) فى بن : موسى و عيسى .

(١١) الكلمة ساقطة من هامش بن غالبا فى عملية القص بالتجليد .

يعنى بالعبايد أحبار اليهود و رهبان النصارى المنقطعين فى الديارات و الكنائس للعبادة ، أحدهم عابد و الجمع عبايد - انتهى .

نعود - ثم استقر ملك الملك الناصر محمد و ثبت أمره بعد سلار و ششنكير[١] ، فهرب منه الأمير قراسنقر و الأفرم[٢] و الزرد كاش الثلاثة أمراء[٣] إلى بغداد و صاحبها يومئذ[٤] السلطان قازان . و كان الأمير قبجق نائبا للسلطان الملك الناصر محمد بحماة ، و لما[٥] بلغه أمر سلار و ششنكير[٦] بما فعلاه بالملك الناصر محمد كما تقدم ذكره اغتاظ و حلف ليأتين بالتتر إلى الشام ، فتوجه إلى بغداد حين كان[٧] سلار و ششنكير[٨] لهما[٩] الأمر و النهى عليه[٩] ، فاجتمع بقازان و رغبه فى الشام ، فجمع قازان[١٠] الجيوش ؛ و استنجد بالتكفور ملك نصارى الأرمن ، فدخل قازان الشام فى ثلاثمائة ألف ، فملك الشام و دمشق[١١] و لم تطعه

(١) ف بن : سشنكير .
(٢) ف بن : و الأمير الأفرم .
(٣) عن بن ، و ف بر : أمر إلى .
(٤) ف بن : إذ ذاك .
(٥) ف بن : فلما .
(٦) ف بن : شنشكير .
(٧) زيد ف بن : الأمر و النهى لسلار - الخ .
(٨) ف بن : جاشنكير .
(٩-٩) ساقطة من بن .
(١٠) زيد ف بن : الجموع و جيش .
(١١) ساقطة من بن .

الحصون ، لا قلعة دمشق . فندم الأمير قبجق على فعله ذلك حين بلغه أن السلطان الملك الناصر قد استقل بالملك ، وانتصر على سلار و ششنكير[١] و قتلهما بعد أخذه لأموالهما . و كان قازان لما قدم بجيوشه إلى الشام فى سنة تسع و تسعين و ستمائة و نزل بظاهر دمشق ، أتاه التكفور ملك الأرمن قال[٢] له : أيها الملك خذ منى ثلاثين حملا ذهبا[٣] و دعنى أدخل دمشق بعسكرى من أحد أبوابها و أخرج من الباب الآخر . و كان الشيخ تقى الدين بن التيمية[٤] الفقيه[٥] الحنبلى جالسا بمجلس قازان حينئذ ، فلما سمع مقالة التكفور تلك[٦] قال لقازان : أمسلم أنت ؟ قال : نعم . قال : إن أموالنا و دماءنا عليك حرام ، و نحن نعطيك ستين حملا ذهبا و لا تمكن هذا النصرانى من المسلمين . فرضى قازان بذلك و منع التكفور من العبور . فاجتمع لقازان من أموال أهل دمشق ستون[٧] حملا ذهبا . و دبر الأمير[٨] قبجق الحيلة حتى رجع قازان إلى بغداد بعد أن أقام على دمشق خمسة[٩] أشهر - انتهى[٩] .

---

(١) ف بن : جاشنكير .
(٢) ف بن : و قال .
(٣) ف بن : من الذهب .
(٤) ف بن : تيمية . و هو معروف أكثر بغير أداة التعريف .
(٥) ف بن : العالم .
(٦) ساقطة من بن .
(٧) ف الأصلين : ستين .
(٨) ف بن : للأمير .
(٩-٩) الكلمتان ساقطتان من بن .

و قال[١] الشيخ بهاء[٢] الدين بن سواد صاحب ديوان الإنشاء بحلب فى السيرة السلطانية الملكية الناصرية: إن قازان لما وصل إلى دمشق بما جمع من عساكر العجم و خراسان، خرج إليه منها جماعة من الأعيان، و قدموا له التقادم المفتخرة الحسان، و طلبوا منه [٢٢٩: الف] الصفح و الأمان، فحسّن الأمير قبجق إلى السلطان قازان قبول تقدمتهم[٣]، و إجابة سؤالهم. و أشار عليه بتحقيق قصدهم و آمالهم. و قصد بذلك سلامة الرعية و حفظ البلاد، و حسن له الرجوع إلى بغداد. فرجع و ترك بالشام نوابه. فأرسل الأمير قبجق إلى السلطان[٤] الملك الناصر محمد[٥] يقول له: إن الفعل الذى فعلته لم يكن إلا لأجلك بسبب فعل سلار و ششنكير[٦] بك، فترسل نجدة إلى الشام لتخرج نواب قازان منه. فأرسل السلطان نجدة أخرجهم منه، فلما بلغ قازان ذلك عَزّ عليه، و جهز جيشا أرسله إلى الشام فى سنة اثنتين[٧] وسبعمائة، فالتقى[٨] المسلمون و التتر على شقحب. فانكسرت التتر كسرة شنيعة، فقال بعضهم من

(١) فى بن: قال.
(٢) كذا فى بن، و هى فى بر: بهاى.
(٣) فى بن: هديتهم.
(٤) ساقطة من بن.
(٥) زيد فى بن [١٧٥: ب]: بن قلاون.
(٦) فى بن: جاشنكير. و زيد فيها بعد الكلمة: بما فعلا بك أما الآن.
(٧) عن بن [١٢٥: ب]، و فى بر: اثنين.
(٨) فى الأصلين: فالتقت.

قصيدة مدح بها الناصر محمد :

في شقحب حزّ الرؤس بسيفه قهرا و نصرا من عزيز قاهر

و استقر حينئذ ملك مصر و الشام للملك الناصر محمد ، فاهتم قازان لذلك ، و حصل له مرض[1] مات منه[2] ، فولى الملك بعده أخوه محمد خذا بنذا . و سأذكر[3] فيما يرد من هذا الكتاب خبر[4] خذا بنذا في دخوله الشام و صلحه مع الملك الناصر محمد[5] إن شاء الله تعالى .

و في ثالث عشر رجب سنة سبعمائة[6] رسم السلطان الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون أن تلبس اليهود العمائم الصفر ، و السمرة العمائم الحمر ، و النصارى العمائم الزرق ، ليتميزوا بذلك[7] و يعرفون به[8] ، فاستمروا على لبس ذلك إلى الآن ، فقال أحمد بن أبي المحاسن الطيبي في ذلك :

تعجبوا للنصارى و اليهود معا و السامريين لما عمموا الخرقا

(١) في بر : مرضا . و في بن : ضعف .

(٢) في بن : فيه .

(٣) في بن : و سيأتي .

(٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) زيد في بن : و غير ذلك من أخباره .

(٦) في هامش بر : لبس اليهود و السمرة و النصارى العمائم .

(٧) في بن : بها .

(٨) الكلمة ساقطة من بن .

كأنما

كأنما بات بالصباغ[١] منسهلا نسر السماء فأضحى فوقهم درقا[٢]

و فى يوم الخميس سابع صفر سنة إحدى و سبعمائة وصل كهرداش[٣] و من صحبه من المماليك السلطانية بالمراكب و الشوانى من جزيرة أروى، و مدة غيبتهم ثلاثة و أربعون يوما . و ذكروا أن عدة القتلى الذين قتلهم المسلمون بها [٤]ألفان و مائتا[٤] نفر من الإفرنج[٥]، و وجدوا بها من أسارى المسلمين مائة[٦] و عشرين نفرا . و وصلت أسارى[٧] الفرنج من جزيرة أروى إلى القلعة المحروسة .

و لما فتح الملك الأشرف خليل[٨] عكا أتته[٩] مفاتيح صور و صيدا و بيروت و انطرسوس [١٠]كما تقدم ذكره[١٠]. انتقلت أهل انطرسوس منها سكنوا جزيرة [٢٢٩ : ب] مقابلها فى البحر تدعى[١١] جزيرة رواد ،

(١) فى بن : الصباغ .

(٢) عن بن ، و فى بر : ذرقا . و قد جاءت الكلمة فى هذين البيتين بالسيوطى (حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٩) : فرقا .

(٣) فى بن : دمرداش .

(٤-٤) فى بر : الفى و مأتى . و فى بن : الفين و مائتى .

(٥) فى بن : الفرنج .

(٦) فى بن : مايتين .

(٧) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٨) سلطنته ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م . و زيد فى بن : ابن الملك المنصور قلاون . (٩) فى بن : و أتته . (١٠-١٠) ساقطة من بن .

(١١) فى بن : تدعا .

و هى عن البر مقدار سبعة أميال ، فلم يزالوا مقيمين بها إلى أن فتحها الأمير أسندمر نائب طرابلس و معه الرئيس[١] البطرنى[٢] المغربى ، و ذلك فى دولة الملك الناصر محمد[٣] ، فخلت السواحل من الإفرنج[٤] ، و لم يبق منهم فى بر المسلمين أحد[٥] بالشام إلا من هو أسير أو نصرانى ذمى .

و فى خامس عشر ذى الحجة سنة اثنين و سبعمائة ورد الخبر بوفاة الأمير زين الدين كتبغا النائب بحماة ، و كان قبل ذلك سلطان مصر . و تسمى بالملك العادل كما تقدم ذكره .

[الزلازل و الطاعون و الأهوية و الفيضان و الغلاء]

و فى يوم الخميس الثالث و العشرين من ذى الحجة سنة اثنين[٦] و سبعمائة حصل [٧]بالقاهرة و مصر[٧] زلزلة عظيمة هدمت أماكن[٨] كثيرة ، و كذلك فعلت بالإسكندرية و بلاد مصر . و أتلفت هذه الزلزلة [٩]شيئا كثيرا[٩] .

(١) فى الأصلين : الرايس .

(٢) فى بن : البطرانى ، و ربما كان هذا هو الصواب .

(٣) زيد فى : بن قلاون .

(٤) فى بن : الفرنج .

(٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٦) فى بن : اثنتين .

(٧ - ٧) فى بن : بمصر و القاهرة .

(٨) فى الأصلين : أماكنا .

(٩-٩) كذا فى بن ، و هى فى بر : شىء كثير .

و أقامت أياما تزلزل و ترجف رجفا خفيفا ، و لم تزل تعد[١] إلى قريب أربعين يوما . و حصل عند العالم خوف عظيم من ذلك إلى أن خرج أكثر الناس من مصر و القاهرة إلى القرافة ، و بعضهم ضرب له خياما[٢] خارجها و نزل فيها ، و أقاموا أياما على ذلك خوفا على أنفسهم أن تعود ، و أقامت مقدار[٣] ثلاث ساعات عند أول الأمر .

و سأذكر[٤] الآن هنا ما وقفت عليه من الزلازل و الخسف و الرجم و الرجفات و الوباء و الأمراض[٥] و الغلاء[٥] و غير ذلك[٦] إن شاء الله تعالى[٦] . [٧]و ذلك[٧] بعد الهجرة النبوية[٦] إلى سنة خمس و سبعين و سبعمائة[٦] ، فأقول و بالله التوفيق . إن قال قائل ما سبب[٨] هذه الزلازل؟ قيل إن أصلها

(١) في الأصلين تعهد ـ و الغالب أنه خطأ قلمي لكلمة « تعد » . كما أثبتناه بالنص .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : خيام .

(٣) في بن [١٧٦ : الف] : تقدير .

(٤) في بن : و إذ قد ذكرت الزلزلة فسأ ذكره ـ و بهامش بر : مطلب ، يذكر فيه الزلازل و الخسف و الرجم و الرجفات و الوباء و الأمراض و الغلاء و غير ذلك .

(٥) ساقطة من بن .

(٦ ـ ٦) العبارة ساقطة من بن .

(٧ ـ ٧) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨) زيد في بن : أصل .

جبل قاف له عروق تجرى منها المياه فى البحور من البياض و السواد و الحمرة و الصفرة و الكدر و العذب و المالح و المر و الزعاق . فاذا أراد الله أن يزلزل [١] بقرية أوحى الله إلى ذلك الجبل أن حرك منك عرق كذا و كذا . فاذا حرك خسف الله [٢] بالقرية مع ما يرسل إليه من الملائكة - انتهى .

و لما وقع [٣] الوباء بالديار المصرية و غيرها فى سنة تسع و أربعين و سبعمائة تعجب الناس من ذلك الفصل الوخم الذى مات فيه [٤] من الناس خلق [٤] لا يحصى عددهم إلا [٥] الله تعالى [٥] . وكانوا كما قيل [٦] :

هبت عليهم رياح الموت فانتثروا   كأنهم كلهم كانوا بميعاد

[٧] فقال قائلهم : ما أظن أن هذا الوباء وقع فى عصر من الأعصار [٧] .
و كان سبب موتهم كبة تطلع للانسان فى مراقه [٨] فيموت منها بسرعة .

(١) فى بن : يزلزله .
(٢) زيد فى بن : تعالى .
(٣) ساقطة من بن .
(٤ - ٤) فى بن : خلائق .
(٥ - ٥) فى بن : الذى خلقهم .
(٦) فى بن : قال بعضهم .
(٧ - ٧) العبارة ساقطة من بن .
(٨) فى بن : مرقاته .

فرأى

فرأى [٢٣٠ : الف] بعضهم [1]حرفوشا مسطولا وقت الفناء[1] فأنشأ يقول :

عاينت فى الفصل أخا سطلة[2] يغض عينا منـــه مسطولة
الناس بالـكبة قـــد قتلوا و كبـــة المسطول مقتولة

و فى سنة ثلاث و ستين و سبعمائة وقع الفناء بمصر و الإسكندرية و غيرهما[3] . [4]فمات من الخلق[4] كثير[5] . و فى سنة خمس و سبعين و سبعمائة[6] قصر النيل عن الوفاء ، فغلت الحبوب بالإسكندرية[7] و سائر بلاد مصر ، و مات بالإسكندرية خلق كثير أكثرهم أطفال و جوار و عبيد [8]ثم رجال و نساء[8] ، [9]و كان موتهم بالطاعون فى شوال و ذى القعدة من السنة المذكورة[9] . و فيها مات ملك الأمراء أرغون الأحمدى [10]بعد أن أقام بالإسكندرية متوليا بها أربعين يوما من حين دخوله نائبا

(١ – ١) الكلمتان الأوليان مطموستان فى بن ، و الأخيرتان واضحتان بـه و لكنهما ساقطتان من بر .
(٢) فى بن : سطة .
(٣) ساقطة من بن .
(٤–٤) فى بن : مات من الناس .
(٥) فى الأصلين كثيرا ، و زيد فى بن : فيهما و فى غيرهما .
(٦) ساقطة من بر و واردة فى بن – و بهامش بر : حادثة .
(٧) فى بن : بمصر و الإسكندرية .
(٨ – ٨) العبارة ساقطة من بن .
(٩ – ٩) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .
(١٠) من هنا إلى قوله « انتهى » بأكمله نقلا عن بن [١٧٦: الف] ، وفى بر فقط العبارة : وقاضى القضاة الحلبى .

بها إلى حين وفاته . و كذلك مات فيها قاضي القضاة شهاب الدين الحنفي الحلبي ، كان بالإسكندرية قاضي قضاتها مع قاضي قضاتها كمال الدين ابن قاضي القضاة فخر الدين ابن قاضي القضاة شرف القضاة المالكي الربغي . و توفي قاضي القضاة كمال الدين الربغي المالكي في حدود صفر سنة ثمانين و ستمائة رحمه الله . و مات ولده قاضي القضاة عز الدين بن كمال الدين في ذي القعدة من السنة المذكورة[١] ـ انتهى .

نعود إلى ذكر ما [٢]قاله ابن الجوزي[٢] و غيره في الطاعون[٣] و الوباء من ذلك الطاعون الذي كان في سنة ثماني عشرة من الهجرة بعمواس ، و هي[٤] على عشرة مراحل من بيت المقدس ، مات بها يومئذ ستة و عشرون ألفا . و فيه مات أبو عبيدة بن الجراح و الحارث بن هشام و سهيل و يزيد[٥] و معاذ بن جبل . و بهذه القرية مات بلال الحبشي[٦] مؤذن النبي صلى الله عليه و سلم و قبر بها . و لما كثر الموت جدا أحدث الناس كيف أصبحت و كيف أمسيت .

و في شوال[٧] هلك في ثلاثة أيام سبعون ألفا . و قال رجل رأيت

---

(١) انتهى ما نقل عن بن .

(٢-٢) كذا في بن ، أما في بر فقط : قيل .

(٣) في هامش بر : الطواعين .

(٤) في بن : و عمواس .

(٥) في بن : و زيد .

(٦) في هامش بر : قبر بلال المؤذن .

(٧) في هامش بر : غريبة .

فى المنام أيام الطاعون إنى أخرج من دارى اثنى عشر[1] جنازة و أنا مع عيالى اثنا[2] عشر، فمات منها إحدى عشر و بقيت وحدى، فقلت فى نفسى أنا ثانى عشرة، فخرجت من الدار[3] ثم رجعت[4] إليها بالغد، فاذا بلص قد دخل ليسرق فأصابه الطاعون فمات، فكان هو الثانى عشر، و بقيت أنا وحدى[5]. قال و رأى نافع أيام الطاعون رجلا قد هرب من البصرة على حمار، فجعل نافع يقول: انظروا إليه يهرب من الله على حماره. و فى حديث قال الطاعون: أنا لاحق بالشام، قال الخير و الرخاء: إنا معك، و قال الجوع و الشقاء و العرى و البلاء: إنا لاحق بالبادية، فقالت الصحة: و أنا معك - انتهى.

و أما الزلازل فقال ابن الجوزى[6] فى كتاب العقود[6] فى تاريخ العهود إن فى سنة أربع و عشرين و مائتين للهجرة زلزلت[7] فرغانة، فمات بها أكثر من خمسة عشر ألفا. و فى سنة خمس و عشرين و مائتين كانت رجفة بالأهواز عظيمة حتى[8] تصدعت منها الجبال و هرب أهل البلد

(١) فى الأصلين: اثنتى. و لفظة «عشر» ساقطة من بن.
(٢) فى الأصلين: اثنى.
(٣) فى بن: دارى.
(٤) فى بن: عدت.
(٥) الكلمة ساقطة من بن.
(٦-٦) ساقطة من بن.
(٧) فى بن [١٧٦ : ب]: زلزلة.
(٨) ساقطة من بر و واردة فى بن.

إلى البر و إلى السفن ، و سقطت فيها[1] دور كثيرة . و سقط نصف الجامع ، و مكثت ستة عشر يوما . و فى سنة ست و عشرين و مائتين[2] [٢٣٠ : ب] مطر أهل تيما مطرا و بردا كالبيض ، فقتل بها ثلاثمائة و سبعين انسانا ، و سمع فى ذلك صوت[3] يقول : ارحم عبادك ، أعف عن عبادك . فنظروا إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع و عرضها شبران . من الخطوة خمسة أذرع أو ست . و اتبعوا الصوت فجعلوا يسمعونه و لا يرون شخصا . و فى سنة ثمان و عشرين و مائتين غلا السعر بطريق مكة . و بلغ رطل خبز بدرهم ، و راوية ماء بأربعين درهما . [4] و سقطت قطعة من الجبل[4] عند جمرة العقبة فقتلت عدة من الحاج . و فى ثلاث و ثلاثين و مائتين رجفت دمشق رجفة شديدة من ارتفاع الضحى ، فانتقضت منها البيوت ، و زالت الحجارة العظيمة ، و سقطت عدة طاقات فى الأسواق على من فيها فقتلت خلقا كثيرا ، و سقطت بعض شرافات المسجد الجامع ، و انقطع ربع المنارة . و انكفأت قرية من عمل الغوطة على أهلها ، فلم ينج منهم إلا رجل واحد . و اشتدت الزلازل على أنطاكية و الموصل ، و وقع أكثر من ألفى دار على أهلها فقتلتهم ، و مات من أهلها عشرون ألفا ، و فقد من بستان أكثر من مائتى نخلة بأصولها

---

(١) فى بن : منها .

(٢) فى هامش بر : واقعة .

(٣) فى الأصلين : صوتا .

(٤ - ٤) فى بن : و طرقه طايفة من الخيل .

فلم يبق لها ، أثر[1] . و فى سنة أربع و ثلاثين و مائتين هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها ، و اتصلت نيفا و خمسين ميلا و شملت بغداد و البصرة و الكوفة و واسط و عبادان و الأهواز ثم إلى همدان فأحرقت الزرع . ثم ذهبت[2] إلى الموصل فمنعت الناس من الانتشار و عطلت الأسواق[3] ، و زلزلت هراة حتى سقطت الدور . و فى سنة تسع و ثلاثين و مائتين غزا بلاد الروم على بن يحيى الأرمنى ، فقتل عشرة آلاف علج ، و سبى عشرة آلاف رأس ، و من الدواب سبعة آلاف دابة ، و أحرق أكثر من ألف قرية . و رجفت طبرية فى الليل حتى مادت الأرض و اصطكت الجبال . ثم انقطع من الجبل قطعة ذرعها خمسون ذراعا طولا فى[4] خمسين ذراعا[3] عرضا ، فمات تحتها خلق كثير . و فى سنة أربعين و مائتين سمع أهل خلاط صيحة من السماء فمات[3] خلق كثير . و خرجت ريح من بلاد الترك فمرت بمرو فقتلت خلقا كثيرا بالزكام ، و أصاب أهل بغداد حمى و سعال و زكام . قال محمد بن حبيب جاءت الكتب من المغرب[5] ان ثلاثة عشر قرية من قرى القيروان خسف بها فلم ينج منها [٢٣١ : الف] إلا اثنان و أربعون رجلا سود الوجوه ، فأتوا القيروان

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : أثرا .
(٢) فى بر : هبت ، و صححتها فى بن .
(٣) الكلمة ساقطة من بن .
(٤) زيد فى بن : عرض .
(٥) فى بن : الغرب .

فأخرجوهم أهلها ، قالوا : أنتم مسخوط عليكم . فبنى[1] لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوها . و فى هذه السنة و هى سنة أربعين و مائتين سئل بَطْريق عمورية ، و هو أحد البطريقين اللذين كانا خرجا إلى أمير المؤمنين المعتصم[2] فمات أحدهما فى أيام أمير المؤمنين جعفر المتوكل[3] ، و أسلم الآخر على يد المتوكل و كان اسمه ندراقس[4] فسمى نفسه إسحاق ، و كان عاقلا فهما أديبا ، فسئل عن أنساب الروم فقال : الروم ولد روم[5] بن سملاحين ابن هربا[6] بن عسفا[7] بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، و من ولده[8] الملك قسطنطين الأكبر ملك الملوك ، و هو الذى بنى مدينة قسطنطينية ، و أظهر دين النصرانية ، و بَطْرك البطاركة ، و سَقَّف الأساقفة ، و عمل الهياكل و المذابح ، و جمع الأساقفة بمدينة نيقية[9] ، و هو الذى بَطْرق

(١) ف بن : فبنا .

(٢) الخليفة العباسى و خلافته ٢١٨ – ٢٢٧ هـ = ٨٣٣ – ٨٤٢ م .

(٣) الخليفة العباسى ، و خلافته ٢٣٢ – ٢٤٧ هـ = ٨٤٧–٨٦١ م .

(٤) ف بن : بدراقس . — و أغلب الظن أنه اندرونيق Andronikos .

(٥) ف بن : الروم .

(٦) ف بن : هريا .

(٧) ف بن : عسفان .

(٨) زيد ف بن : الولد .

(٩) مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ م .

البطارقة و جعلهم رؤس[1] المدن و البلدان . و قومس[2] القوامسة [3]، هم القواد . و رسم رسوم المملكة . فأما البطارقة فهم الرؤساء و الوزراء لأنهم أشراف الروم ، و القوامسة[3] أصحاب الأعمال و الحروب . و سئل أيضا عن بنى إسرائيل و أنسابهم فقال : هم شعوب كثيرة و بطون شتى ، لم تزل علماؤهم يعرفونها و يعلمونها . فأولهم بنو[4] لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، و هو الثالث من ولد يعقوب ، و من ولد يهودا بن يعقوب أيضا جميع بطون بنى إسرائيل الأنبياء و الكهان ورؤس الجواليت و أئمة اليهود و أحبارهم . فمن الأنبياء من ولد يهودا داود الذى جعله الله خليفة فى الأرض ، و سليمان[5] بن داود الذى سخرت له الجن و الرياح و البهائم ، و بعده رحبيعم[6] بن سليمان[5] و افترقت أسباط بنى إسرائيل فى أيامه ، و من ولد يهودا شمويل بن عزرا ، و من ولده أيضا اليشع[7] النبي عليه السلام تناسل أولاد هؤلاء الأنبياء و الكهان ، فهم بطون كثيرة يتعارفها علماؤهم ، و من سبط يوسف بن يعقوب عليهما السلام

(١) فى بن : روسا

(٢) مأخوذة عن الأصل Comes و جمعها Comites و يقابلها فى العصور الوسطى لقب Comte بالفرنسية ثم Count بالإنجليزية .

(٣ - ٣) العبارة ساقطة من بن [١٧٧ : الف] .

(٤) فى الأصلين : بنوا .

(٥) فى بن : سليمن .

(٦) فى بن : رحبعم .

(٧) فى الأصلين : اليسع .

يوشع بن نون خليفة موسى بن عمران عليه السلام ، و هو الذى أخرج بنى إسرائيل من التيه . قال بعضهم فى يهودى [١]أحمق يهجوه[١] :

لنا صديق يهودى حماقته إذا تكلم يبدو النتن من فيه
يتيه و الكلب خير منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه - انتهى

[٢٣١ : ب] نعود - و فى سنة إحدى و أربعين و مائتين ماجت النجوم فى السماء و جعلت تتطاير[٢] شرقا و غربا كالجراد من قبل[٣] غروب الشفق إلى قريب الفجر . و لم يكن مثل ذلك إلا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه و سلم . و فى سنة اثنتين و أربعين و مائتين رجمت قرية يقال لها السويدا بناحية مصر بخمسة أحجار . فوقع حجر منها على خيمة أعرابى فاحترقت ، و وزن منها حجر فكان فيه عشرة أرطال ، فحمل منها أربعة إلى فسطاط مصر [٤](و) إلى تنيس[٤] . و زلزلت الرى و جرجان و طبرستان و نيسابور[٥] و أصبهان كلها فى وقت واحد . و تقطعت جبال و دنى[٦] بعضها من بعض ، و سمع للسماء و الأرض أصوات عالية ، و سار جبل باليمن عليه مزارع حتى أتى مزارع قوم آخرين فوقف فيها . و زلزلت الدامغان[٧] فسقط بعضها على أهلها فهلك بذلك خمسة و عشرون ألفا .

(١-١) الكلمتان ساقطتان من بر و واردتان فى بن .
(٢) كذا فى بن ، و هى فى بر : تطاير .
(٣) الكلمة ساقطة من بن .
(٤-٤) ساقطة من بن ، و واو العطف ساقطة من بر .
(٥) فى الأصلين : نيسابورس .
(٦) فى بن : و دنا . (٧) فى بن : دامغان .

و سقطت

و سقطت بلدان كثيرة على أهلها . و وقع طائر[1] أبيض دون الرخمة و فوق الغراب على دابة بحلب لسبع مضين من رمضان فصاح : « يامعشر الناس اتقوا الله الله الله » حتى صاح أربعين صوتا ، [2]ثم طار و جاء من الغد و صاح أربعين صوتا[2]، و مات رجل فى بعض كور الأهواز، فسقط طائر أبيض على جنازته . فصاح باللغة الفارسية : إن الله قد غفر لهذا الميت . و فى سنة خمس[3] و أربعين و مائتين زلزلت بلاد المغرب حتى تهدمت الحصون و الميادن[4] و القناطر ، فأمر المتوكل[5] بتفرقة ثلاثة آلاف درهم فى الذين أصيبوا بمنازلهم . وكانت بأنطاكية زلزلة و رجفة قتلت خلقا و سقط ألف و خمسمائة دار و وقع من سورها نيف و تسعون برجا ، و سمع أهلها أصواتا هائلة لا يحسنون وصفها من كوى[6] المنازل. و هرب الناس إلى الصحارى . و سمع أهل تنيس صيحة هائلة دامت فمات منها خلق كثير و ذهبت حلة بأهلها . و فى سنة ست و أربعين و مائتين[3] زلزلت مدينة دبيل بالليل ، فأصبحوا و لم يبق من المدينة

(١) فى بن : طير .

(٢ - ٢) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) فى بن : و المآذن . ـ و هو الأصح على ما يظهر .

(٥) الخليفة العباسى و خلافته ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ - ٨٦١ م .

(٦) فى بن : كرى .

إلا اليسير، فأخرج من تحت الردم خمسون و مائة ألف . و في سنة أربع و ثمانين و مائتين ظهرت ظلمة بمصر و حمرة في السماء شديدة حتى كان الرجل ينظر إلى وجه الرجل فيراه أحمر و كذلك الحيطان و غيرها . و مكثوا كذلك إلى العشاء . فخرج الناس يدعون الله و يستغيثون إليه . و وعد المنجمون الناس بالغرق[1] فغارت المياه و احتاجوا إلى الاستسقاء . و في سنة خمس و ثمانين و مائتين ارتفعت ريح بالبصرة كذلك [2]و مطروا بردا في [٢٣٢ : الف] البردة الواحدة[2] مائة و خمسون درهما . و في سنة تسع و ثمانين و مائتين صلى الناس العصر يوم عرفة ببغداد في ثياب الصيف، ثم هبت ريح فبرد الهواء[3] إلى أن احتاج[4] الناس إلى التدفي بالنار، و خمد الهواء[3] . و في سنة ثلاثمائة كثرت الأمراض ببغداد في الناس، و كلبت الكلاب و الذئاب في البادية . و كانت تطلب الناس و الدواب . فاذا عضت إنسانا هلك . و في سنة عشرة و ثلاثمائة انبثق بواسط سبعة عشر بثقا[5] أصغرها مائتي ذراع و أكبرها ألف ذراع . و غرق من أمهات القرى ألف و ثلاثمائة قرية . و في سنة سبع عشرة و ثلاثمائة هجم أبو طاهر القرمطي صاحب البحرين على الحاج بمكة يوم التروية و هو

(١) في بن : الغرق .

(٢-٢) في بن [١٧٧ : ب] : و مطر و برد زنة الواحدة .

(٣) في بر : الهوى .

(٤) كذا في بن ، و هي في بر: احتاجوا .

(٥) في بن : شقا .

يوم الثامن من ذى الحجة قتلهم فى المسجد الحرام و فى فجاج مكة و فى البيت ، و قلع الحجر الأسود و باب البيت و قبة زمزم ، و قد تقدم فعل القرمطى بمكة مفصلا فأغنى عن اعادته[1] . و سمى يوم التروية لأنهم كانوا يرتوون فى الماء لما بعده أى يستقون[2] و يسقون . و قيل سمى يوم التروية لأن إبراهيم عليه السلام تفطر[3] فى الرؤيا ، و فى التاسع عرف فسمى لذلك عرفة . و فى سنة أربع و أربعين و أربعمائة غلت[4] الأسعار ببغداد حتى أكلت الناس الكلاب و وقع الوباء فى الناس . و وافى[5] من الجراد شىء كثير جدا حتى أبيع منه كل خمسين رطل[6] بدرهم ، فارتفق الناس بأكله فى ذلك الغلاء . و الجراد واحدها جرادة ، و تكنى أم عوف ، قال الشاعر :

و ما صفراء تكنى أم عوف   كأن رجيلتاها[7] منجلان

قال[8] الأصمعى : يقال الجرادة للذكر و الأنثى[9] كما يقال بطه[10]

(١) زيد فى بن : هنا . ـ انظر ج ٢ ص ١٢ و ما يتلوها .
(٢) فى بن : يستسقون . ـ و بهامش بر : لم سمى يوم التروية .
(٣) فى بن : تفكر . ـ و المعنى غامض فى كلا الفرضين على كل حال .
(٤) فى بن : علت .
(٥) فى بن : و وافا .
(٦) فى بن : رطلا .
(٧) فى بن : رجلتاها .
(٨) عن بن ، و فى بر : فقال .
(٩) زيد فى بن : من الجراد
(١٠) فى بن : بطية .

و حية ؛ و جمعه جراد ، و الرِّجل من الجراد قطعة منه قدر ما يكون مائة ذراع فى مثلها . و إذا باض الجراد قيل غرز فهو مغرز و يبقى فى الأرض أربعين ليلة ، ثم يثورا مثل صغار الدود . فيقال قد أدبا بيض الجراد إذا صار دبا - انتهى .

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل فى الجراد أيضا إن شاء الله تعالى . نعود - و فى سنة سبع و أربعين و أربعمائة زادت الأسعار فبلغت قيمة الكر من الحنطة بالأهواز ثلاثمائة دينار . و فى سنة ثمان و أربعين و أربعمائة وقع الغلاء و الوباء فى الناس و فسد الهواء[٢] ، و اشتد الجوع حتى أكلوا الميتة ، و بلغ المكوك من بزر البقلة سبعة دنانير و السفرجلة [٢٣٢ : ب] و الرمانة دينارا[٣] . و عم الغلاء و الوباء جميع البلاد ، و ورد كتاب إلى بغداد من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا دارا ، فوجدوا عند الصباح موتى . أحدهم على باب النقب ، و الآخر على رأس الدرجة . و الثالث على الثياب المكورة . و فى سنة تسع و أربعين و أربعمائة بلغت كارة الدقيق الخشكار عشرة دنانير ، و مات من الجوع خلق كثير ، و أكلت[٤] الكلاب . و ورد كتاب من بخارى[٥] إلى بغداد أنه قد وقع فى تلك الديار وباء حتى خرج فى يوم ثمانية عشر ألف جنازة ، و أحصى من مات إلى أن كتب هذا الكتاب فكانوا[٦]

(١) من بن ، و فى بر : يثور . (٢) فى بر : الهوى .
(٣) كذا فى بن ، و هى فى بر : دينار .
(٤) زيد فى بن : منهم .
(٥) فى بن : بخارا .
(٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .

ألف ألف و ستمائة ألف و خمسين ألفا . و بقيت الطرقات فارغة و الأسواق خالية . و وقع الوباء بأذربيجان و أعمالها و واسط و الكوفة و مصر و طبق الأرض حتى كان يحفر للعشرين و الثلاثين حفرة[١] فيلقون فيها[٢] ، و كان سبب ذلك الجوع . و باع رجل أرضا له بخمسة أرطال خبز ، فأكلها و مات فى الحال . و تاب الناس كلهم ، و أراقوا الخمور ، و كسروا آلات الملاهى ، و تصدقوا بمعظم[٣] أموالهم و لزموا المساجد ، و دخلوا على رجل مريض قد طال نزعه سبعة أيام . فأشار بأصبعه إلى بيت فى الدار ، فاذا خابية خمر فقلبوها فمات من ساعته . و توفى رجل كان مقيما[٤] بمسجد ، فخلف خمسين ألف درهم فلم يقبلها أحد ، فدخل أربعة أنفس ليلا إلى المسجد فأخذوها فماتوا عليها . و دخل رجل على ميت مستجى بلحاف ، فاجتذبه عنه فمات و طرفه بيده .

[٥]و فى سنة تسع و أربعين و ثلاثمائة رأى الخليفة المطيع[٦] كأن مؤذنين قد أقبلا من مطلع الشمس و هم يؤذنان و فى أيديهما ...[٧] فذكر [٨]صندل الزمام[٨] هذا المنام لمعبر حاذق فقال : تسلم خلق من سكان مطلع الشمس أولوا بأس شديد . فوردت الأخبار من خراسان بأنه أسلم من الترك مائتا ألف بيت[٥] .

(١) فى بن : حفيرة . (٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٣) فى بن : بعظم .
(٤) ساقطة من بن .
(٥-٥) هذا القسم ساقط من بر و وارد فى بن .
(٦) الخليفة العباسى و خلافته ٣٣٤ - ٣٦٣ هـ = ٩٤٦ - ٩٧٤ م .
(٧) بياض بالأصل . (٨-٨) كذا فى الأصلين ، و المعنى غامض .

و فى سنة ثمان و خمسين و أربعمائة ولد ببغداد صبية لها رأسان و رقبتان و أربع أيد على بدن كامل ثم ماتت . و ظهر كوكب له ذؤابة عرضها نحو ثلاثة أذرع و طولها أربع ، و لبث ليالى كثيرة ثم غاب ، ثم ظهر و قد اشتد نوره كالقمر . و بقى عشرة أيام حتى اضمحل . و ورد الخبر من البحار[1] بأنه فى الليلة الأخيرة من طلوع هذا الكوكب غرق ستة و عشرون مركبا و هلك فيها نحو من ثمانية[2] عشر ألف[3] انسان ، و كان من جملة المتاع الذى فيها عشرة آلاف طبلة كافور . وكانت زلزلة بخراسان لبثت أياما فتصدعت منها الجبال . و خسف بعد ذلك بقرى .

و فى سنة ستين و أربعمائة كانت زلزلة بأرض فلسطين ، أهلكت بلد الرملة ، فهلك فيها خمسة عشر ألف[4] ، و وقعت شرافات من مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم . و انشقت صخرة بيت المقدس ، ثم عادت و التأمت ، و غار البحر مسيرة [٢٣٣ : الف] يوم . و ساح فى البر ، و غرّق الدنيا . و دخل الناس إلى أرضه[5] يلتقطون ، فرجع عليهم فأهلك خلقا عظيما منهم ، و بلغ حسّ الزلزلة إلى الرحبة و الكوفة .

---

(١) فى بن : بخارا . و الجملة بعدها مطموسة .

(٢) الكلمة ساقطة من بن . (٣) الكلمة بهامش بر ، و هى فى بن : آلاف .

(٤) فى الأصلين : ألفا . (٥) كذا فى بن (و هو أقرب للفهم) ، و الكلمة فى بر : أهله .

و فى سنة ثنتين[١] و ستين و أربعمائة كانت زلزلة بالرملة ، فذهب[٢] أكثرها ، و عم ذلك بيت المقدس ، و انخسفت أيلة كلها ، و انحفر البحر وقت الزلزلة حتى انكشف ثم عاد ، و اشتد الجوع و الوباء بمصر حتى أكل الناس[٣] بعضهم بعضا . و بيع اللوز و السكر بوزن الدراهم ، و البيضة بعشرة قراريط درهم . و خرج وزير صاحب مصر إليه ، فنزل عن بغلته فدخل ، و شغل المهتار عن البغلة لضعف قوته من الجوع ، فأخذها ثلاثة أقوام فذبحوها و أكلوها . فأخذوا و صلبوا ، فلما كان من الغد ، وجدت عظامهم تحت خشبهم و قد أكلوا . و باع رجل بمصر دارا كان اشتراها بتسعمائة دينار و سبعين دينارا ، و اشترى بها دون الكارة دقيقا .

[٤] قال ابن عبد السلام المالكى فى شرح مختصر ابن الحاجب : اختلف المذهب فى الحيوان الذى لا يؤكل لحمه إذا بلغ به المرض إلى حد الإياس . هل يجوز ذبحه إراحة له مما هو فيه أو لا ؟ على قولين ، فأجاز ذلك ابن القاسم ، و منعه بعضهم . و بعض ما وافق ابن القاسم فى الإراحة من ألم المرض خالفه فى الذبح . قال يعقر عقرا لئلا يكون

(١) فى بن : اثنتين .
(٢) فى بن : انهدمت .
(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٤) هذا الجزء لآخر الفتوى ساقط من بن - و يستأنف الكلام فيها عند « **و فى سنة سبعين و أربعمائة** » .

ذلك تشكيكا[١] للعوام فى إباحة أكلها إذا رأوها مذبوحة . قال و لقد أخبرنى الشيخ أبو الحسن على الغمازى ، قال كنت أيـام فضائى بيونة أصاب الناس فيها مجاعة شديدة ، فكانوا (يلقون[٢]) قططهم أحياء لقلة القوت ، و كان المار فى الطريق إذا رآهـا نظر إلى أمر مهول لا سيما إن كان رقيق النفس ، فسألنى أهل البلد أن آذن لهم فى قتلها ، فأذنت لهم ، فقتل الصبيان منها عددا كثيرا . ثم أنى عدت على نفسى بالملامة لأنى أذنت فى أمر لم أره لأحد من أهل العلم ، فبينما أنا كذلك إذ دخل علىّ رجل باختصار العتبية للبيع . فنظرت فيه فكان أول شيء وقع بصرى عليه قول ابن القاسم فيها بالإباحة ، يعنى ما حكيت عنه ، فحمدت الله و اشتريت الكتاب بسبب هذه المسألة - انتهى[٣] .

و فى سنة سبعين[٤] و أربعمائة ورد الخبر بأنه حوصرت انطاكية[٥] [٦]إلى أن[٦] بيع فيها كل رغيف بدينار ، و وقع الوباء بها ، و قيل لما حوصرت تلمسان [٧]فى بعض السنين[٧] [٨]من أرض المغرب[٨] بلغ الفأر

---

(١) فى الأصل : تشكيلا - و الكلمة صححت بقلم آخر إلى « تشكيكا » .
(٢) ناقصة من نص بر و يكتمل بذكرها الكلام .
(٣) هنا ينتهى السقط من بن [١٧٨ : الف] .
(٤) فى بن : سبع .
(٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٦-٦) فى بن : حتى أنه .
(٧-٧) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٨-٨) ساقطة من بن .

فيها

[1]فيها دينارا[1] . و فى سنة ثلاث و تسعين و أربع [٢٣٣ : ب] مائة امتنع القطر[2] و كثرت الأمراض و عدمت الأدوية و كثر الموت حتى رئى[3] على نعش ستة موتى ، ثم حفر لهم حفرة فألقوا[4] فيها .

و فى سنة إحدى عشرة و خمسمائة زلزلت الأرض ببغداد يوم عرفة ، و كانت الحيطان تمرّ و تجيء ، و بلغ الكُر الدقيق ثلاثمائة دينار حتى أكل الناس الكلاب .

و فى سنة ثمان و أربعين و خمسمائة وقعت حيطان منبج[5] [6]بعضها على بعض[6] ، فهلكت أهلها . و لم يسلم من أهلها غير سبعة عشر نفر[7] كانوا خارجين عنها . و قد تقدم ذكر خبر الزلزلة التى كانت بالديار المصرية فى ذى الحجة سنة ثنتين[8] و سبعمائة ، و تقدم أيضا ذكر [9]الوباء الذى كان فى سنة تسع و أربعين و سبعمائة بالديار المصرية مع كثرة الرخاء الذى كان بها . و تقدم أيضا ذكر الوباء الذى كان بالإسكندرية[9] فى سنة خمس و سبعين و سبعمائة .

(١-١) فى بن : بدينار - و فى الأصل بر : دينار .
(٢) فى بن : المرض .
(٣) فى بر : رئ - و فى بن : راى .
(٤) فى بن : فالقو .
(٥) فى الأصلين : منبيج - و هو خطأ واضح .
(٦-٦) ساقطة من بن .
(٧) فى الأصلين : نفرا .
(٨) فى بن : اثنتين .
(٩-٩) فى بن : الوباء و الغلاء اللذين كان بها و بالإسكندرية .

و ذكر أصحاب الإمام مالك أن الناس أصابهم سنة بطريق مكة سعال. فكان الرجل لا[1] يسعل إلا يسيرا حتى يموت، [2]ففقد ناس ممن خرج إلى الحج. فلم يأت لهم خبر حياة و لا موت[2]. فرأى مالك بقسم[3] أموالهم[4] و لا يضرب لهم أجل المفقود و لا غيره للذى بلغه من موت الناس من ذلك السعال. قالوا [5]و كذا الشأن فى[5] أهل البوادى فى الشدائد ينتجعون من ديارهم إلى غيرها من البوادى[6]، ثم يفقدون أنهم على الموت، و قد علم ذلك من حالهم – انتهى[7].

[ذكر محاسن الناصر محمد]

[8]نعود إلى ذكر محاسن السلطان الملك الناصر محمد ابن [2]الملك المنصور[2] قلاون و[9]رفعه الظلامات[9] كان رحمه الله[10] عادلا فى رعيته،

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٢ – ٢) ساقطة من بن [١٧٨: ب].
(٣) فى بن: أن تقسم.
(٤) زيد فى بن: و تنكح نساؤهم.
(٥ – ٥) فى بن: و كذلك.
(٦) فى بن: البرارى.
(٧) الكلمة ساقطة من بن.
(٨) فى هامش بر: ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاون.
(٩ – ٩) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن.
(١٠) زيد فى بن: تعالى.

محسنا فى قضيته، أبطل المظالم، و كف أيدى [1] كل ظالم [1]، و كان هيكلا حسنا على ظهر فرسه، كبير الوجه أحمر اللون، [2]ذا لحية[2] كبيرة مستديرة[3]، قد وخطه[4] الشيب. [بن ١٧٨ : ب] [5]و كان برجله الواحدة قصر لسبب عرض له فيها فى صغره، وكان يعرج بها. قيل كان يجلس بشباك قصره الذى عمره بقلعة الجبل المسمى بالقصر الأبلق فى الليل و العيون راقدة، و الأصوات خامدة، فيرى النجوم زاهرة، و الكواكب السيارة سائرة، و السحاب المسخر بين السماء و الأرض، و النيل الذى فرش الأرض بطول أرض مصر[6]...... الله تعالى و يقدسه و يمجده و يعظمه و يشكره و يحمده و يقول: سبحان من أعطى ملكه لأضعف خلقه. يعنى بذلك نفسه، فلاعترافه بقدرة الله تعالى و خضوعه و تواضعه لعظم خالقه خوّله الله تعالى فى الملك نحو الخمسين سنة. و كانت دولته أحسن الدول من الأمن الكثير، و الرخاء الغزير. و انقادت له الدول، و خضعت له الملوك فى السهل و الجبل. فكانت الملوك تهابه، و ليس

(١ - ١) فى بن: الظالم.
(٢ - ٢) فى بر: ذو لحية - و فى بن: بلحية.
(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٤) كذا فى بن. و الكلمة فى بر: خطه.
(٥) يبدأ هنا سقط كبير من بر و يستمر فى بن إلى ١٨٠ ب ثم يستأنف الكلام فى كليهما بقصيدة رثاء الناصر مطلعها « فقد الوجود بل الوجود لفقده ».
(٦) العبارة هنا مطموسة بالأصل بن.

أحدا منهم يعاديه، فعاش عيشا هنيئا، و مات على فراش[1] سويا.

و سأذكر الآن ما فعله الملك الناصر محمد فى دولته من روك البلاد، و نفع العباد إن شاء الله تعالى. و ذلك أنه برز مرسومه الشريف فى سنة خمس عشرة و سبعمائة بابطال المظالم التى كانت بالديار المصرية و نصه: " رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى مثال العلامة الكريمة محمد بن قلاون. لا برح إحسانه يرعى بحسن نظره مصالح الرعية، و امتنانه يسعى بأنواع السماح و البر إلى البرية، و توالى فضله على الأمة المحمدية. يخجل بكرمه و سمى[2] (كذا) وليه أن يخلد هنا المرسوم الشريف فى الأعمال البهنساية[3]. بما شمل الرعايا. و أهل البلاد و كافة البرايا. من صدقاتنا التى عمت، و معداتنا التى نمت و تمت، و بما سامحناه و أبطلناه عنهم من المكوس و المظالم و الحوادث و الرسوم التى كانت تستأدى منسوبة للحقوق الديوانية بالجهات التى ذكرها فى هذا المرسوم المكتتب من نسخه المرسوم ....[4] و المقررات و المراسيم الشريفة التى اقتضتها آراؤنا العالية. و ذلك عند روك[5] الديار، فأول ما ابتدأنا به تعفية آثار مظلمه قد أذلهم

(١) فى بن: فراشا.

(٢) كذا فى الأصل، و جائز قراءة الكلمة «و يسمى».

(٣) كذا فى الأصل، و لعل الكلمة «البهنساوية» نسبة إلى منطقة البهنسا بمصر الواسطى. و قد آثرنا الإبقاء على صيغة المرسوم كما هى دون تعديل أو تصحيح لفظى إلا فى أضيق الحدود التى يقتضيها السياق باعتبار أن النص كما هو يمثل اللغة الديوانية الشائعة فى ذلك العصر.

(٤) هنا كلمة لا يستقيم بها السياق، و من الممكن قراءتها «لسامع» أو «بمسامع».

(٥) إشارة إلى «الروك الناصرى» وهو عبارة عن عملية مسح الأرض و تقدير الضريبة و توزيع الأقطاعات على مساحتها. و قد خصص المقريزى فى «الخطط» =

اليها

ليلها ، و عم ويلها ، و اندفع سيلها ، و هى المقررات التى كانت تستأدى منسوبة لحقوق سواحل الغلال[1] و العرصات . و تسقط هذه المظلمة و تعفا آثارها من القاهرة و مصر المحروستين و الأخصاص و الفروع المنسوبة إلى ذلك جميعها ، ولا يتعرض إلى تنمية الدرهم الفرد عن الغلة الواصلة و لا المبيعة و لا شيء من [ن١٧٩ : الف] الرسوم و لا الوجوه التى كانت تستأدى منسوبة لعلامات سواحل الغلات بالجهتين المذكورتين . و كذلك رسمنا بإبطال نصف السمسرة و ضمانها و هو الكسر الذى يستأدى من السماسرة و المناديين و يساهمون فيه من أجرة بيعهم و شرائهم و نحو هذه المظلمة و إسقاطها من بطون الأوراق والدفاتر و الدواوين و تعفية آثارها نظر فى حالة الضعفاء الذين امتحنوا بهذه المحنة إلى أن يسر الله تعالى لهم هذه المحنة على أيدينا و منّ باسقاطها ، و أمنّا الرعايا و الضعفاء و المساكين من تناولها منهم و توفّرا لخاطرهم على كسبهم و معايشهم و الأدعية الصالحة لنا يقبلها الله تعالى من كل داع مخلص . و كذلك بإبطال المقدمين و مقرراتهم و بدولهم و ما يضم إلى ذلك من الحوايص و البغال ، و إبطال الرسل و المترددين من البلاد و تعفية

= (طبعة مصر ١٣٢٤ هـ ج ١ ص ١٤١ – ١٤٧) فصلا لذلك تحت عنوان « ذكر الروك الأخير الناصرى » و هو الفصل الثانى والعشرون (ج ٢ ص ٢٠ و ما يتلوها) من الطبعة التى بدأ نشرها (Gaston Wiet) جاستون فييت .

(١) أورد المقريزى فى خططه الكثير من هذه الاعفاءات من المكوس والقرارات المالية التى أصدرها الناصر محمد و المذكورة بهذا المرسوم – انظر الحاشية السابقة .

آثارهم لتطمئن الرعايا بأمانكم. و قررنا أن يكون نواب الأمراء الذين يقررونهم ببلادهم نوابا عن مجلس الحرب السعيد[١] . . . . . واحد من أهلها لحق من الحقوق فيخلصه الوالى ممن يتعين فى جهته و يوصله لمستحقه و يتصدّى لإزالة التعدى عن أحد منهم على الآخر. و إن اتفق فى البلاد أمر كبير مثل قتيل أو ظهور فساد فيها أو حضور واحد من المفسدين إليها فيكون والى تلك الناحية و مشايخها و خفراؤها ملتزمين بالدرك فى ذلك و إحضار الغرماء و المفسدين إلى والى الحرب، و لا يُمكّن أحدا (كذ) من الفساد، و لا يستحسنوا لأحد فعله عندهم. و لا يجمعوا أحدا عن شىء يتعين عليه، و لا يحمى بلد على بلد أخرى، و من حضر إليهم من المقبحين أو المتحيدين فلا يؤوه و لا يقربوه بل يمسكوه و يعيدوه إلى بلده و يسلموه إلى أهل تلك البلد و يشهدوا عليه و على شيوخها بتسليمه لهم أو يسلموه لوالى الحرب من غير حماية ولا يمكّن من إقامته يوما واحدا عندهم و لا يؤوه ساعة واحدة. و من ارتكب (خرو) جا[٢] عن مرسومنا هذا أو حمى أحدا أو مكن أحدا من الإقامة عنده من المفسدين أو المسلحين[٣] . . . و فعل[٤] خلافه أو نقض حكما واحدا من

(١) العبارة هنا مطموسة بالأصل.

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا و قد أكملناها من السياق.

(٣) فى الأصل: المسجين، و قد تكون «المساجين».

(٤) جاءت الكلمة بأول السطر، وجائز أن يكون مطموسا منها حرف ألف، و بذا تصبح قراءتها «أو فعل».

أحكامه فى أى بلد كان ، فالوالى بتلك البلد و شيوخها و خفراؤها (كذا) و أرباب الدرك يقومون[1] بحكم سيوفنا بالتوسيط و الشنق و التسمير على نخيل تلك البلدة . و إن اتفق فى سنة من السنين حصول شراق و قصد بعض الفلاحين أن ينتجع من بلده إلى بلد ريّ ليزرع فيها مؤنته فيتوجه برضى مقطعى بلده و يكون حظه معهم بالرضى بذلك ، و عند ضم المغل يرجع إلى بلده و وطنه بحيث لا يحصل فى ذلك منازعة و لا يدعى أخذ[2] فلاح غيره لكونه زرع عنده ، فيعمل كل منهم بما شمله من إحساننا و صدقاتنا و معروفنا و برّنا . وكذلك رسمنا بإبطال رسوم الولاية و عدم استيدائها ، ولا يُمكَّن أحد من الولاة و لا نوابهم و لا المتحدثين (كذا) عندهم من جباية رسم و لا مشاهرة و لا إحداث حادثة عليه[3]، و كذلك كتاب الولاة و دواوينهم و مباشروهم فلا يتعرض أحد منهم إلى تناول رسم و لا جامكية على البلاد ، فقد رسمنا بإبطال جوامكهم على البلاد و أسقطنا ذلك عن الرعية ، فلا يتعرض أحد بعد مرسومنا هذا من كُتّاب الولاة و لا مباشريهم إلى تقرير جامكية [ن ١٧٩ : ب] على البلاد و لا رسم ولا مقرر و لا مشاهرة ولا مياومة ، و لا يستأدى من ذلك الدرهم الفرد و لا شىء قلّ و لا جلّ ، فقد أبطلنا هذا الحادث و عفينا آثاره فليحذر كل منهم من تناول شىء من ذلك . رسمنا بإبطال حقوق السجون و مقرراتها و ضمانها و منع التعرض لأخذ الدرهم الفرد منها ، و أن لا يجمع على المسجونين

(١) فى الأصل : يموتون . — و هو خطأ قلمى واضح .

(٢) الكلمة فى الأصل : أحد . وهى بدون نقط و قد آثرنا نقطها كذلك للسياق .

(٣) فى الأصل : على عليه . — و تقع لفظة « على » بين السطرين و هى زائدة .

بين ضيق السجن وضيق العسر. فانه ما بقى عند المسجونين إطلاقه بمقدار تعويقه على الضمان المذكور، فرأينا أن تكون هذه الحسنة مسطرة فى صحائف حسناتنا و تقرّبنا إلى الله تعالى بتعفية آثارها. ثم أنعمنا النظر فى مصالح البلاد و الأعمال الراتبة فوجدنا أهم أمورها مصالح جسورها و إتقانها، و أن لا تدخل الأيدى بجباية مبلغ، فرسمنا بأن تعمل جميع الجسور و الترع بالجراريف و الأبقار و الرجال على قدر مصلحة كل بلد من غير أن تطلب عن ذلك دراهم و لا دخول و لا خروج. بل كل بلد تعمل (بأهلها ١) و تعفا من الطلب بالدراهم عن القش و المدامسة و عن رسوم الخولة و المهندسين، و إبطال استخراج الدراهم عن جميع ذلك، و يستقر العمل دون جبايه مبلغ، و توفر على الرعايا صدقة عليهم و نظرا فى حالهم، و يمحا ذكر طلب يطالب للجراريف و الجمع و الرسوم السدود بحيث لا يكون اسد و لا مهندس و لا خولى رسم و لا بدل و لا استيداء الدرهم الفرد، بل كل بلد يلتزم مقطعها بعمل ما يجب عليه عمله من غير رجوع إلى العوائد القديمة. و كذلك رسمنا بابطال طرح بالفراريج على البلاد و إنذار الرعية بها، و لا يُلزَم أحد بما لا يختاره من الفراريج، بل يكون بيعها و شراؤها بالسعر الخاص أسوة بقية الأصناف من غير جبر و لا إكراه، و لا تُرمى فراريج بلد على أهلها، و لا يُلزم أحد بمشترى شيء منها اغتصابا، و لا يُقرر شيء منها بضمان و لا رسم و لا غيره،

(١) العبارة هنا مطموسة و لكن أغلبها يقرأ على وجه التحقيق إلا هذه الكلمة اقتبسناها من سياق الكلام.

و تنقض

و تنقض العوائد السيئة التى كانت فى ذلك من غير رجوع إليها ، و تكون أسوة المبيعات التى تباع و تشترى من غير طرح و لا رمى و لا تقرير . و كذلك رسمنا بابطال مقرر الفرسان و مقرر الخيل الذى كان يستأدى وقت حركات الجيوش المنصورة إلى البواكير و كذلك قود[1] الخيل ، و أبطلنا هذه المظلمة[2] ابتغاء لثواب الله تعالى ، و الله لا يضيع أجر المحسنين . و وثوقا بكرم الله تعالى ، و إمداد[3] نصره للمؤمنين[4] .

و كذلك رسمنا فى أمر الإفراح بأن لا يؤخذ مقرر ملاهى ممن يعمل فرحا ؛ و من أعرس أو كتب كتابه أو أملك أو كان عنده ختان أو ولد له ولد أو غير ذلك من الولائم و لم يعمل فرحا فلا يلزم بالقيام بشىء من المقررات المثبوتة للملاهى و للافراح ، و لا يطلب مقررا للملاهى إلا ممن يعمل عنده فرحا بملاهى ، و من لم يكن عنده أحد من الغوانى (و الملاهى[5]) فلا يطلب عن وليمته شىء قل و لا جل من المقررات التى كانت تستأدى أولا . وكذلك رسمنا بالمسامحة بثمن العبي[6] التى كانت تقررت و أبطلناها فلا يتعرض أحد لاستخراجها بعد مرسومنا هذا .

---

(١) و المقصود بالكلمة « أود » .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا و لكنها واضحة من السياق .

(٣) فى الأصل : و الامداد .

(٤) فى الأصل : المستومين . و أغلب الظن أنه خطأ قلمى فى النسخ .

(٥) الكلمة مطموسة بالأصل ، و لكنها واضحة من سياق الحديث .

(٦) الكلمة واضحة . و أغلب الظن أن المقصود بها جمع كلمة « العباءة » .

و كذلك رسمنا بابطال المقرر من الأتبان التى توجد لمعاصر الأقصاب[١] و أن لا يتعرض أحد إلى أخذ تبن من بلد من البلاد إلا بثمنه و رضى أصحابه، و يستمر الحكم فى ذلك عاما شاملا لمعاصر الخاص الشريف و الأمراء و غيرهم من الجهات ، و تستقر أتبان المعاصر الجارية فى الخاص الشريف على بلاد الخاص الشريف من جملة ما يؤخذ منها ، و لا يتعرض إلى غير بلاد [بن ١٨٠:الف] الخاص الشريف إلا بالثمن المرضى والقيمة العادلة ، و لا يجبر أحد من أهل البلاد على بيع تبنة بغير رضاه . و لا يقرر عليه شيء من التبن حسب ما رسمنا به . و كذلك رسمنا بابطال حماية المراكب و أن لا يعود أحد من الأمراء و أرباب الجهات يحمى مركبا لا يستأدى عن الحماية حقا . ولا مقررا من المقررات التى كانت تستأدى فيما قبل مرسومنا هذا ، ولا يتعرض أحد إلى المراكب بغير حق يشهد به الديوان المعمور من غير حماية . و كذلك رسمنا بالرفق بالرعايا و أن لا يطالب الحى عن الميت و لا المقيم عن النازح و لا الحاضر عن الغائب ما لم يكن ضامنا أو كفيلا أو ملتزما . و كذلك قد رسمنا بالمسامحة بما انساق للأمراء و المقطعين من البواقى فى بلادهم من الخراجى و الضمان و غير ذلك و إلى آخر مُغَلّ سنة أربع عشرة و سبعمائة ، و لا يطالب أحد من الرعية و المزارعين إلا بحق شرعى يكون الغريم قد قبض العوض عنه ، و مهما كان باقيا من خراج أو ضمان و ما يجرى مجرى ذلك فيسامح .....[٢] و لا يطلب منهم

(١) فى الأصل : الاقتصاب . و الكلمة غير منقوطة، ولكنها واضحة من السياق .

(٢) الجملة هنا مطموسة ، و ربما كانت الكلمة الأولى منها « الناس » و لكن باقيها لا يقرأ .

بالجملة الكافية ، و يستمر الحكم على ما رسمنا به فى المسامحة إلى آخر مغل سنة أربع عشرة و سبعمائة ، و لا يتعرض أحد من نواب الأمراء و المقطعين إلى استخراج شىء من الباقى المختص بالسنة المذكورة و ما قبلها. و كذلك رسمنا أن تعفا جماعة الفلاحين من ضيافة القدوم عند انتقالات الإقطاعات فى سنة الروك المبارك . و كذلك رسمنا بابطال عداد النحل [1] حسب ما يشهد به الديوان المعمور من جملة ذلك و تفصيله الحكم فى ذلك فى بلاد الخاص الشريف و الأمراء و المقطعين ، و لا يستخرج بعد هذا المرسوم الشريف . وكذلك رسمنا بابطال زكاة الرجال بالديار المصرية بالوجهين القبلى و البحرى ، ثم أنعمنا النظر فيما عدا الملة المحمدية من الطوائف ليكون عدلنا جامعا لجميع الملل و الطوائف ، فرسمنا فى أمر الجوالى بالديار المصرية و أعمالها تؤخذ من اليهود و النصارى أن لا تؤخذ منهم جالية إلا على حكم التصقيع ، و رسمنا بالمسامحة بما كان يستأدى [2] (م)نهم [3] منسوبا للعجز حسب ما يشهد به الديوان المعمور . و كذلك رسمنا بابطال جميع البدل من الولاة و النظار (و الم)ستوفين [4] و أرباب

---

(١) جائز أن تكون الكلمة أيضا « النخل » لأن النقطة الأولى ساقطة ، و النقطة الثانية قد تتبع الخاء أو ما قبلها ، و لكننا آثرنا استعمال « النحل » لوجود كلمة « استخراج » فيما بعد مما يتصل بعسل النحل .

(٢) فى الأصل : يستدى .

(٣) الكلمة مطموسة جزئيا بأول السطر .

(٤) الكلمة مطموسة جزئيا . و ربما كانت « المستوفيين » كما جاءت فيما بعد .

الوظائف[1] جميعا من أرباب و غيرهم . فليستقر حكم هذا المرسوم الشريف لاستقبال تاريخه ....[2] معمل الروك المبارك و خروج المناشير الشريفة ، و هو من استقبال شهر صفر سنة ست عشرة و سبعمائة ، بلغ الله تعالى إليها و ختمها بالصالحات . و تبطل هذه الحوادث و المظالم التى رسمنا بابطالها من القاهرة و مصر المحروستين و سائر أعمال مصر بجميع الولايات و الأعمال بالوجهين القبلى و البحرى حيث ما يشهد الديوان المعمول بحمله ذلك و تفصيله و تفريقه و تأصيله ، لا يختص بذلك بلد من البلدان و لا مدينة من المدن و لا قرية و لا كفر و لا جهة و لا منيل كبيرا كان أو صغيرا ، و لا استثناء فى هذا المرسوم الشريف و لا رجوع و لا تعقيب . و سبيل كل واقف على مرسومنا هذا من النواب و الأمراء و الولاة و النظار و المستوفيين و الشادين و المتصرفين و سائر ولاة الأمور فى ممالكنا الشريفة العمل بحسبه من غير تأويل فى ذلك و لا تبديل ، و من نقض شيئا من ذلك أو استحل حرمته أو أحيا مظلمة أماتها عدلنا الشريف فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لعنة باقية إلى يوم الدين، و العلامة الشريفة أعلاه حجة به ، و قد كتبنا مثالها فى الأول إن شاء الله تعالى .

كتب ثامن عشر ذى الحجة [بن ١٨٠ : ب] سنة خمس عشرة و سبعمائة حسب الأمر الشريف . الحمد لله وحده و صلوٰته على سيدنا محمد و آله و سلامه و حسبنا الله و نعم الوكيل . " - انتهى .

(١) فى الأصل : الوضايف .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا ، و ربما قرئت « بالعمل » .

فانظر

فانظر يا هذا إلى محاسن فعل الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون . فلما عدل فى الرعية ، و أخلص النية ، طالت مدته فى الملك فعاش هنيا ، و مات على فراشه سويا . و كانت وفاته فى ذى الحجة سنة إحدى و أربعين و سبعمائة ، و دفن مع والده الملك المنصور قلاون فى قبره بقبّة المنصورية بين القصرين بالقاهرة المعزية . و عمّر المنصور محمد فى حياته المدرسة الناصرية المجاورة لقبة المنصورية من شرقها ، و عمر أيضا الجامع الذى بدار النحاس بمصر ، و عمر أيضا الخانقاه التى بسرياقوس ، و عمر أيضا جامع القلعة ، و جدد أيضا عمارة أبواب القلعة و كان محبا فى [1] .... لا يكاد ينقطع فى القلعة ، رحمه الله تعالى . و قد رثى بمراثى منها المرثية التى لأبى الفضل قاسم البجائى القصّار نزيل ثغر الإسكندرية ، فمنها قوله :

بكت العيون بكل بحر زاخـــر أو كيف لا تبكى لفقـــد الناصر
ملك الشآم و عزّ مصر و نورها حامى الحجاز مبيـد كل مخامر[2]
[3]فقد الوجود بل الوجود لفقده متحسرا أضحى شبيــــه الحـــائر
يبكى عليــــه بأدمـع كيواقت طورا[4] و لؤلؤ بعضهـــا كجواهر

---

(١) الكلمة مطموسة بالأصل ، و لكن يمكن قراءتها حدسا « العبادة » أو العمارة
(٢) إلى هنا تنتهى الزيادات الواردة فى بن و هى ساقطة من بر، فأخذناها برمتها عن بن وهى تشمل ذلك المرسوم الفريد من حكم الناصر محمد .
(٣) من هنا يستأنف الكلام فى كل من بن [١٨٠ : ب] و بر [٢٣٣ : ب] . و يسبق الشعر فى بر : و قيل فى هذا المعنى .
(٤) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن و يستقيم بذكرها ميزان البيت .

زار الثرى فاضا الثرى[١] من نوره   و أجابه أهلا[١] بنعـم الزائر
فغـدا به القبر الذى قد حلـه   روض يفوح كنشر مسك عاطر
و كأنـه مذ حـل فيـه روضـة   ممطورة قـد نمقت بأزاهر
سقيا لترب حـل فيها جسمه   قـد عطرت منـه بجسم طاهر
كم حجة قد حجها مـبرورة   كم[٢] وقعة شهرت له ببصائر
[٢٣٤:الف] / فى شقحب حزّ الرؤس بسيفه   قهرا و نصرا من عزيز ناصر
قـد مده بالعز منـه أولا[٣]   فضلا[٤] ويُتمِم فضله[٤] فى الآخر

و ظهر فى [٥]دولة الملك الناصر محمد المذكور[٥] بحمص [٦]مكان متسع[٦] تحت الأرض قد خسف، و إذا سرير كبير عليه رجل ميت، و إن هامته من عظمها يفرش عليها حصير، و لم يجدوا عنده مالا[٧]، فكوتب الملك الناصر[٨] فى ذلك[٩]، فأمر أن تردم تلك الحفيرة عليه فردمت.

(١ – ١) هذا الجزء من البيت مطموس فى بن.
(٢) فى بن: و كم.
(٣) فى بن: او.
(٤ – ٤) فى بن: و تمم بعضه.
(٥ – ٥) فى بن: دولته. و بهامش بر: نكتة.
(٦ – ٦) فى الأصلين: مكانا متسعا.
(٧) فى الأصلين: مال.
(٨) زيد فى بن: محمد.
(٩) فى بن: بذلك.

فقيل إنه شداد بن عاد البانى لارم ذات العماد ، وقيل غيره[١] - والله[٢] أعلم[٣] من هو من الملوك . قال بكر بن حماد :

غفلت و حادى الموت فى إثرى يجد و إن لم أرح ميتا فلا بد أن أغدو
أرى عمرى ولى و لم أترك المنى وليس معى زاد و فى سفرى بُعد
أنعّم جسمى باللباس و لينه و ليس لجسمى من قميص البِلا بد
كأنى به قد مُدّ فى برزخ البلا و من فوقه ترب و من تحته لحد
و قد ذهبت تلك المحاسن و انمحت فلم يبق فوق العظم لحم و لا جلد
عسى غافر الزلات يعفو زلتى فقد يغفر المولى إذا أذنب العبد
أنا الفرد عند الموت والفرد فى الثرى و أبعث فردا فارحم الفرد يا فرد[٣]

[٤]و سأذكر هنا[٤] ما قيل عن بعض الملوك فى تعظيمه لقدرة الله تعالى [٥]كفعل الملك الناصر محمد إذ كان يقول فى ذكره : سبحان من أعطى ملكه لأضعف خلقه[٥] . و هو أن ذلك الملك اضطجع على فراشه بأعلى قصره أول الليل ، و أشخص بصره للفلك[٦] ، و أقبل عليه متفكرا و فى هيئته متدبرا . فقال : أيها الفلك إن بناءه أنت سقفه لعظيم ، و إن

(١) ساقطة من بن .
(٢) زيد فى بن : تعالى .
(٣ - ٣) الجملة و القصيدة التالية ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٤ - ٤) فى بن : فلنذكر الآن .
(٥ - ٥) الجملة ساقطة من بن .
(٦) فى بن : الى تلك .

بيتا أنت غطاؤه[١] لمكين، و إن شيئا أنت تظله لكبير، و إن فيك لعجبا لذى تفكير. فليت شعرى أعلىَ عمد من تحتك تمسك. أم بمعاليق تتعلق، و لعمرى إن ممسكا أمْسَكَتْكَ قدرته لملك قدير، و إنك فى استدارتك بتقديره[٢] عن[٣] زوالك لحكيم خبير[٤]، و إن جهل من غفل عن التفكر
٥ فى هذه العظمة لغر صغير – ثم أقبل على نجومه و قال: ليت شعرى كم أفنيت من القرون، و كم صحبت قبلنا من الأمم فى سالف الدهور، و كم حسر[٥] الناظرين إليك من العيون، و كم أعييت قبلنا من الفكر و العقول؟ ليت شعرى ما طلوعك حين تطلعين، و مسيرك حين تسيرين، و أفولك حين تأفلين. و على من سقوطك حين تغيبين؟ و ليت شعرى أمنوطة أنتِ
١٠ أم تتحركين، أم كيف صفتك التى بها توصفين. و لونك الذى به توسمين، و من سمّاك باسمك الذى به تعرفين؟ فسبحان من لأمره تنقادين، و بمشيئته تجرين. و بصنعة استقامتك حين[٦] تستقيمين، و رجوعك حين ترجعين، و [٧]استنارتك حين تستنيرين[٧]، و بروزك حين تبرزين. فتبارك

(١) كذا فى بن، و هى فى بر: غطاءه.

(٢) فى بن: بتقدير.

(٣) فى بن: و عن.

(٤) فى بن: لخبير حكيم.

(٥) فى الأصلين: حسرت.

(٦) فى بن [١٨٢: الف] حتى.

(٧–٧) فى بن: و استتارك حين تستترين.

الله

الله أحسن الخالقين – شعر [1] فى المعنى [1]:

كأن نجوم الليل سارت نهارها [2]		فوافت [3] عشاء وهى [4] انضاء أسفار [4]
و قد خيمت كى تستريح ركابها		فلا فلك جار و لا كوكب سارى

و لبعضهم فى فراقه لمحبوبه:

[٢٣٤:ب] خليلى إنى للثريا لحاسد		و إنى على ريب الزمان لواجد
أيبقى جميعا شملها و هى سبعة		و أفقد من أحببته و هو واحد

[الكواكب و الأفلاك و الأبراج]

قال المسعودى فى تاريخه: الأفلاك [5] تسعة فأولها و أصغرها و أقربها إلى الأرض فلك القمر، و الثانى لعطارد، [6] و الثالث للزهرة [6]، و الرابع للشمس، و الخامس للمريخ، و السادس للمشترى، و السابع لزحل، و الثامن للكواكب الثابتة، و التاسع للبروج. و الأفلاك مستديرة محيطة للعالم، و هى تدور على مركز الأرض، و الأرض [7] فى وسطها مثل النقطة وسط الدائرة، و سائر الكواكب كلها فى الفلك الثامن، و الفلك التاسع هو أرفع و أعظم [7] جسما، و هذا الفلك يحيط بالأفلاك التى دونه و بالطبائع

(١ – ١) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٢) فى بن: نهارنحا. (بدون نقط و هو خطأ قلمى واضح).
(٣) فى بن: فوفيت.
(٤–٤) فى بن: انفا اشعار.
(٥) فى هامش بر: الأفلاك و عدتها.
(٦ – ٦) مطموسة فى بن.
(٧) الكلمة ساقطة من بن.

الأربع و بجميع الخليقة و ليس فيه كوكب واحد[١] ، و دوره من المشرق إلى المغرب كل يوم دورة واحدة تامة[٢] ، و يدير بدورانه ما تحته من الأفلاك المتقدم وصفها . و قيل إن الرعد[٣] هبوب[٤] الرياح فى بطون السحب ، و البرق[٥] نار تظهر من تلاطم السحب ، و الصاعقة[٦] حديد و نحاس امتزجا فى الجو و ألهبتهما[٧] النار[٨] فقطرا . فأما[٩] الأفلاك السبعة المتقدم ذكرها ، فانها تدور من المشرق إلى المغرب ، و الفلك الثامن يدور على قطبين غير قطبى الفلك الأعظم . و إن الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ، و لها تفاوت فى حركاتها ، و ان مقادير حركات هذه الكواكب فى أفلاكها مختلفة[١٠] ، فمقام القمر فى كل برج

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : تامة واحدة .

(٣) بهامش بر : الرعد .

(٤) فى بن : مرور .

(٥) بهامش بر : البرق .

(٦) بهامش بر : الصاعقة .

(٧) فى بن : و ألهبتها .

(٨) فى بن : نار .

(٩) فى بن : و أما .

(١٠) فى بن : تختلف .

يومان[1] و نصف و يقطع الفلك فى شهر . قال الشاعر فى الهلال و البدر[2] و مغيبهما و ظهورهما :

يغيب هلال الشهر من دون ساعة   كذلك[3] أيضا ليلة النصف يظهر

فستة أسباع له كل ليلة   يغيب على هذا الحساب[4] و يسفر

فللبدر ثنتا[5] عشر ساعة كملت   لثامن عشرين الحساب المحرر[6]

و تاسع عشرين الشعاع حجابه   و يخرجه منه[7] ثلاثون تحصر

فان كان فى قدر الأهلة قلّ يُرى   و إن قلّ عن مقدارها ليس يظهر

و اعلم أن مقام[8] الشمس فى كل برج شهر[9] ، و مقام عطارد فى كل برج خمسة و أربعون[10] يوما ، و مقام المشترى فى كل برج سنة ،

(١) فى الأصلين : يومين .

(٢) فى بن : و القمر .

(٣) فى بن : كذاك .

(٤) فى بن : الهلال .

(٥) فى بر : ثنتى ، و هى كذلك فى بن و هو الأصح .

(٦) فى الأصلين : محرر .

(٧) فى بن : معه .

(٨) فى هامش بر: إقامة الكواكب فى أبراجها .

(٩) فى الأصلين : شهرا .

(١٠) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : و أربعين .

و مقام زحل فى كل برج ثلاثون[1] شهرا ، و إن البروج الإثنى[2] عشر يتلو بعضها بعضا فى [٢٣٥ : الف] مسيرها ، و لا تنتقل[3] عن أماكنها فى طلوعها و غروبها .

[استدارة الأرض و أبعادها]

و استدارة الأرض[4] كلها جبالها و بحارها أربعة و عشرون ألف ميل ، و إن قطرها و عمقها سبعة آلاف و ستمائة و ستة و ثلاثون[5] ميلا . و أن الفــلك مستدير بمحورين و قطبين ، و أنهما بمنزلة محور النجّار و الخرّاط الذى يخرط الأكر[6] و القصاع و غيرها من آلات الخشب ، و ان من كان مسكنه فى وسط الأرض و عند خط الاستواء استوى[7] ساعات ليله و نهاره و سائر الدهر ، و ان هذين[8] المحورين هما القطب الشمالى و القطب الجنوبى . و الكلام يطول عــلى ما قيل فى الأفلاك و الكواكب ، فلنقتصر على هذا القدر منها .

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : ثلاثين .
(٢) فى بن : الاثنا .
(٣) فى بن : تستقل .
(٤) فى هامش بر : استدارة الأرض .
(٥) فى بن : و ثلاثين .
(٦) فى بن : الأكرة .
(٧) فى بن : استوا .
(٨) فى بن : هاذين .

[الجبال و البحار و الأنهار و العيون و المدن]

و سأذكر[1] ما قيل فى الجبال و البحار [2]و الأنهار و العيون و المدن إن شاء الله تعالى[1] . ذكر فى [3] الكتاب المعروف بجغرافيا[3] صفة الدنيا و مدنها و جبالها و ما فيها من البحار و الجزائر [4]و الأنهار و العيون[4] و وصف المدائن المسكونة و المواضع العامرة ، و أن عددها[5] أربعة آلاف مدينة و خمسمائة و ثلاثون مدينة فى عصره ، و سماها مدينة مدينة فى إقليم إقليم . و ذكر [6]فى هذا الكتاب[6] ألوان جبال الدنيا من الحمرة و الصفرة و الخضرة و غير ذلك من الألوان ، عددها[7] مائتا جبل و نيف ، و ذكر مقاديرها و ما فيها من المعادن و الجواهر . و ذكر أيضا أن عدة البحار المحيطة بالأرض خمسة أبحر ، و ذكر ما فيها من الجزائر و العامر منها و الغامر مما اشتهر من الجزائر دون ما لم يشتهر . و ذكر أن ابتداء بحر مصر و الروم من بحر الأصنام النحاس ، و أن جميع العيون

---

(١) فى بن [١٨٢ : ب] : و لنذكر الآن ـ و بهامش بر : مطلب يذكر فيه الجبال و البحار و الأنهار و العيون و المدن .

(٢ – ٢) فى بن : و العيون و الأنهار و المدن الكبار .

(٣ – ٣) فى بن : كتاب جغرافيا .

(٤ – ٤) فى بن : و العيون و الأنهار .

(٥) بهامش بر : عدد المدن .

(٦ – ٦) فى بن : فى الكتاب المذكور .

(٧) بهامش بر : عدد الجبال .

الكبار التى تنبع من الأرض مائتا عين و ثلاثون عينا ما عداها من الصغار . و أن عدد الأنهار الكبار الجارية فى الأقاليم السبعة المتقدم ذكرها[1] على دوام الأوقات مائتان و تسعون نهرا . و هذه الجبال و البحار و العيون و الأنهار كلها مصورة فى كتاب جغرافيا بأنواع [2]من الأصباغ مختلفة[2] المقادير ، فمنها[1] على صورة الطيلسان ، و منها على صورة الشابورة ، و منها مدوّر ، و منها مثلث و غير ذلك ـ انتهى .

[خلفاء الناصر محمد]

فلنرجع إلى ذكر[3] من ملك مصر من ذرية الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون . ولى بعد وفاة الملك الناصر محمد ولده الملك المنصور أبو بكر[4]، فأقام مدة يسيرة ، [5]و غضب عليه الأمير قوصون ، أرسله إلى قوص حبسه بها و قتله[5] . فقال أبو الفضل قاسم القصّار البجائى نزيل الإسكندرية من [٢٣٥ : ب] المرثية المتقدم [6]ذكر بعضها[6] :

هذا محمد قد مضى لسبيله   فى رحمة الرب الرحيم الغافر

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢ - ٢) مطموسة فى بن .

(٣) فى هامش بر : مطلب ، ذكر من ملك مصر من ذرية الملك الناصر محمد بن قلاوون .

(٤) هو المنصور سيف الدين أبو بكر و سلطنته ٧٤١ - ٧٤٢ هـ = ١٣٤٠ - ١٣٤١ م .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن ، و زيد فى بر : و قتله الأمير قوصون بمدينة قوص .

(٦-٦) فى بن : ذكرها .

و أتى خليفته أبو بكر فلا تخشوا توثب غادر و مخامر
أودى به قوصون غدرا فاغتدى فى أرض قوص تحت لحد داثر

وولى قوصون مصر بعد أبى بكر كجك[1] ابن الملك الناصر محمد و لقبه [2]الملك الأشرف[2]. و أمر قوصون و نهى فى المملكة لصغر[3] سن الأشرف فكرهت قوصون الأمراء و العوام[4] و [5]أبغضوه بغضة[5] عظيمة لأمور يطول شرحها. فعمل عليه الأمير ايدغمش[6]، فسلط العوام و الحرافيش على إسطبله المحتوى على أمواله و ذخائره فنهبوها[7] بكمالها، و أخربوا مساكنه[8]، و أخذوا سقوفها، و قلعوا رخامها، و نقضوا سقوف خانقته التى عمرها بالقرافة. و نهبوا بيوت صوفتها (كذا). وقبض على

---

(١) فى الأصل بر: لكجك. و صحته فى بن - وهو الأشرف علاء الدين كجك Kvjuk و قد خلف أخاه المنصور سالف الذكر و سلطنته فى ٧٤٢ هـ = ١٣٤١ - ١٣٤٢ م. انظر المقريزى (كتاب السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ٥٧١ و ما يتلوها « سلطنة الملك الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد قلاون ».

(٢ - ٢) فى بر: بالملك الأشرف. و فى بن: و لقبه بالأشرف.

(٣) فى بن: فصغر.

(٤) فى بن: كراهة.

(٥ - ٥) ساقطة من بن.

(٦) فى بن: ايدغمش.

(٧) عن بن، و فى بر: نهبوها.

(٨) فى بن: قصوره و مساكنه.

قوصون . و أرسل إلى الإسكندرية ، حبس في [1] جب بها [1] . و أرسلت الأمراء للأمير أحمد ابن الملك الناصر محمد من الكرك ، و كان مقيما به في حياة والده ، فأتى إلى القلعة ، و تسلطن و جلس على كرسي الملك . و لقب بالملك الناصر [2] ، فقتل قوصون بأخيه الملك المنصور أبي بكر [3] في حبس الإسكندرية [3] . و أقام [3] السلطان أحمد [3] مدة أشهر و رجع إلى الكرك على أنه يعود [4] لملكه . [5] فلما وصل إلى الكرك خلع [5] نفسه من الملك فأقام [6] به كما كان أولا ، فولى ملك مصر أخوه الملك الصالح إسماعيل [7] ابن الملك الناصر محمد . فحوصر في دولته الملك الناصر أحمد بالكرك نحو أربع سنين ، فلم يقدر عليه لحصانة الكرك . فلما ضجر من كان عنده بقلعة الكرك من الجوع و الغلاء لطول الحصار قطعوا [8] رأسه و نزلوا به [9] إلى العسكر ، فحمل [9] إلى أخيه الملك الصالح إسماعيل ،

(١ - ١) في بن : جبها .

(٢) الناصر شهاب الدين أحمد و سلطنته ٧٤٢ - ٧٤٣ هـ = ١٣٤٢ م .

(٣ - ٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) في بن : يمضي و يعود .

(٥ - ٥) نقلا عن بن ، و في بر « لخلع » فقط .

(٦) في بن : و أقام .

(٧) الصالح عماد الدين إسماعيل و سلطنته ٧٤٣ - ٧٤٦ هـ ١٣٤٢ - ١٣٤٥ م .

(٨) في بن : عدوا عليه فقطعوا .

(٩ - ٩) ساقطة من بن .

فتشوش

فتشوش من رؤيته للرأس فضعف و مات .

[1]فولى ملك مصر بعده[1] الملك الكامل شعبان[2] ابن الملك الناصر محمد مدة يسيرة و مات . [3]ثم ملك[3] بعده الملك المظفر حاجى[4] بن الملك الناصر محمد ، فأقام[5] مدة يسيرة و مات . فملك بعده الملك الناصر حسن[6] ابن الملك الناصر محمد ، فأقام مدة و خلع [7]من الملك[7] و تولى بعده[8] الملك الصالح صالح[9] ابن الملك الناصر محمد ، فأبطل دواوين النصارى من الديوان[10] إلا من أسلم منهم فانه يبقى[11] على ديونته و وظائفه[12] ، و من أقام على نصرانيته نزع من الديونة .

(١ - ١) ف بن : فملك .

(٢) الكامل سيف الدين شعبان و سلطنته ٧٤٦ - ٧٤٧ هـ = ١٣٤٥ - ١٣٤٦ م .

(٣ - ٣) ف بن : فملك .

(٤) المظفر سيف الدين حاجى و سلطنته ٧٤٧ - ٧٤٨ هـ = ١٣٤٦ - ١٣٤٧ م .

(٥) الكلمة ساقطة من بن .

(٦) الناصر ناصر الدين حسن و سلطنته ٧٤٨ - ٧٥٢ هـ = ١٣٤٧ - ١٣٥١ م .

(٧ - ٧) ساقطة من بن .

(٨) الكلمة ساقطة من بن [١٨٢ : الف] .

(٩) الصالح صلاح الدين صالح و سلطنته ٧٥٢ - ٧٥٥ هـ = ١٣٥١ - ١٣٥٤ م .

(١٠) ف بن الديونة .

(١١) ف بن : باق .

(١٢) ف بن : و وضايفه .

ثم خلع الملك الصالح صالح[١]، و أعيد [٢٣٦ : الف] [٢]إلى المملكة[٢] الملك الناصر حسن[٣] فتمكن من المملكة، و قعدت قواعده، و اجتمعت له الأموال الكثيرة، و بنى[٤] المدرسة السلطانية المقابلة لقلعة الجبل بالقاهرة التى لم يبن ملك من الملوك مثلها، و اشترى مملوكا يدعى يلبغا، فقربه و أدناه و أفاض عليه إحسانه، و أكرم مثواه و لقبه بالخاسكى[٥]، فكبر شأن يلبغا و عظم حاله، فوثب على أستاذه الملك الناصر حسن قبض عليه، و أودعه [٦]بيتا فى قصره[٦]، فأقام[٧] به أياما قليلة و قتله، فوجد بخط السلطان حسن مكتوبا على[٨] حائط البيت [٩]الذى كان مسجونا به[٩] ما مثاله: «لا تقل متى كان، و لا أين كان، و لا كيف كان، قُدِّر فكان، كتبه حسن ملك مصر كان». ثم ان

(١) الكلمة ساقطة من بن [١٨٢ : الف].

(٢-٢) ساقطة من بن.

(٣) الناصر ناصر الدين حسن و هذه سلطنته الثانية ٧٥٥ - ٧٦٢ هـ / ١٣٥٤ - ١٣٦١ م. و بهامش بر: سلطنة السلطان حسن.

(٤) فى بر: و بنا، و فى بن: فبنى.

(٥) فى بن: بالخاصكى.

(٦-٦) كذا فى بن، و العبارة فى الأصل بر: قصرا فى بيته.

(٧) فى بن: أقام.

(٨) كذا فى بن، و الكلمة فى بر: فى.

(٩-٩) ساقطة من بر و واردة فى بن.

يلبغا المذكور ولى الملك المنصور[١] محمد بن المظفر حاجى ابن الملك الناصر محمد ، فأقام فى الملك إلى أن بلغ ، فطلب من يلبغا الرشد ، فخلعه من الملك ، و ولى مكانه الملك الأشرف شعبان[٢] بن الحسين ابن الملك الناصر محمد لصغر سنه ، فسأله يلبغا أن يوليه نيابة المملكة مدة سنين معينة ، فولاه فصار يلبغا يأمر و ينهى [٣]و يؤمّر من أراد[٣] من مماليكه و يعزل من يشاء ، و تسمى بالأمير الكبير ، و انقادت لأمره الدولة ، و سكن القصر المعروف بالكبش ، [٤]فوسع فيه و عمر القصور به[٤] ، و أقام فى العز الضخم ؛ و كان له نحو ألف[٥] مملوك يقال لهم الجلبان ، ادخرهم لنوائب الزمان ، فخذلوه و قتلوه كما سيأتى ذكر ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى .

[٦]ثم لما[٦] قتلت المماليك المذكورة أستاذهم يلبغا ، أقاموا من بينهم أميرا يدعى أَسَنْدَمُر ، فصاروا يفسدون فى الأرض و يفعلون القبائح

---

(١) المنصور صلاح الدين محمد و سلطنته ٧٦٢ - ٧٦٤ هـ / ١٣٦١ - ١٣٦٣ م .

(٢) الأشرف ناصر الدين شعبان و سلطنته ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م و فى عهده حدثت وقعة الإسكندرية التى عاصرها النويرى و كتب « كتاب الإلمام » فى صددها ، و بهامش بر : الأشرف شعبان .

(٣-٣) فى بن : و يولى من يريد .

(٤-٤) فى بن : فوسعه و عمر به القصور

(٥) فى بن : ألفى .

(٦-٦) فى بن : فلما .

جهرا ، و قصدوا القبض على السلطان الملك الأشرف شعبان ، فانتصرت له العوام ، و قتلوا تلك المماليك الطغاة[١] ، و قبض على أسندمر و أودع الجب بالإسكندرية ، فصار به مسجونا إلى أن مات[٢] . و قعدت بعد ذلك قواعد الملك للأشرف[٣] شعبان ، و تمكن فى الملك و دخل الإسكندرية ، و بنى بقصر السلاح [٤]التى بها[٤] قاعة [٥]ملأها سلاحا كثيرا ، فصارت تلك القاعة[٥] كأحد قاعات الملوك السالفة بالقصر المذكور ليذكر بذلك كما ذكروا . و هو الآن فى سنة خمس[٦] و سبعين و سبعمائة منتصب فى مملكته ، محسن لأهل دولته ، مشفق برعيته ، فالله تعالى يقوى سلطانه ، و يشدد أركانه . شعر[٧]:

ملك علــى متن السماء محله   و بكفّه الإيجاد و الإعــدام
[٢٣٦: ب] / أقلامه قهرت سيوف عداته   و سيوفه دانت لها الأقلام
و إذا هى اشتهرت ليوم كريهة   فغمودها قمم هنـاك و هـام

(١) فى بن : العظام .
(٢) زيد فى بن : به .
(٣) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : الأشرف .
(٤-٤) ساقطة من بن .
(٥-٥) فى بن : سلاح .
(٦) فى بن : سبع .
(٧) الكلمة ساقطة من بن .

و سيأتى

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب تاريخ دخوله الإسكندرية و صفة ذلك إن شاء الله تعالى .

[مرثاة الإسكندرية للنستراوى]

فلنذكر الآن مرثية رثيت بها الإسكندرية ، بعد [1] الواقعة الردية [1] ، [2] و الظفر بها فى العشر الأخير من المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة [2] . [3] ذكر المرثية التى رثا بها الإسكندرية الشيخ الفاضل أبو عبد الله محمد [3] النستراوى التى [4] عارض بها مرثية الشيخ الفاضل أبى عبد الله محمد ابن طاهر الإخميمى المتقدم ذكرها [5] :

خاطر [6] فاجا الورى لما خطر   أوقع الناس [7] الرزايا و الخطر
ياله من خطر حل فما   يُبق فى تغييره و لا يذر
بغتة جاء فما أعجله   أخذة كانت كلمح [8] بالبصر
يا لها من داهية مرت فلم   أر منها قط أدهى و أمر

(١-١) فى بن : وقعتها .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٣-٣) فى بن : و هى لأبى محمد .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) فى بن : ذكره .

(٦) فى بن : خطر .

(٧) فى بن : للناس .

(٨) فى بن : لمح .

أقطعت فى الناس بالثغر الذى ‏ ‏ لم تزل عادته سد الثغر
فغدا بعد ابتسام عابسا ‏ ‏ ببنى الأصفر عبّاد الصور
جاء كلب الروم بالسفن التى ‏ ‏ وقرها خيل ورجل و مِيَر
ملأ المينة منهم ولقد ‏ ‏ سير[1] الملعون فيها و عبر
وأتى منهم غراب مسرعا ‏ ‏ جر بالمجذاف جرا مستطر
جاء للبر فاحتاطت به ‏ ‏ عصبة الإسلام يبغون الظفر
فانثنى منهم سريعا راجعا ‏ ‏ و لباقيهم جميعا قد[2] صفر
فأتوا للبر عن آخرهم ‏ ‏ ورموا[3] خيلا و رجلا و نفر
و أحيط[4] المسلمون بالبلا ‏ ‏ و استطال السيف فيهم وانشهر[5]
لم يفدُ مذ دفعوا بمدفع ‏ ‏ و رموا بالمنجنيق فانكسر
لا و لا عدّتهم معتدة[6] ‏ ‏ للقاء الروم وكان يختبر
[7]فلكم رامى[7] رمى عن قوسه ‏ ‏ نبلة خابت و ارمت بالوتر
و لكم[8] سيف صقيل باتر ‏ ‏ قد نبا فى ضربه ثم انبتر

---

(١) فى بن [١٨٢ : ب] : ستر .
(٢) الكلمة ساقطة من بن .
(٣) فى بن : و رمو .
(٤) فى بن : و أحاط .
(٥) فى بن : و انتشر .
(٦) فى بن : معتقد .
(٧-٧) فى بن : فكم رام .
(٨) فى بن : و كم .

[١]ولكم من رامح عاجله   علج روم فتولى و دبرا[١]
و لكم [٢]من فارس[٢] جواده   كرّه فى حلبة الميدان خر
و لقد جاءت عراب نجدة   بخيول عاريات كالبقر
أرمت الأعداء[٣] عليهم سهمها   بنصال خارقات كالإبر
/ وصلت للسور منهم نفر   دافعوا دفعا قليلا بالحجر [٢٣٧:الف]
و مضت قوم إلى القصر لأن   يأخذوا منه السلاح المدخر
لم يروا إلا سلاحا واهبا   صار فيهم كهشيم المحتضر[٤]
فأتوا القاعات كيما [٥]يلبسوا   لم يروا من الناس فيها[٥] نفر
عند هذا حققوا[٦] أنهم   وقعوا وسط القضاء و القدر
عميوا[٧] عن رشدهم لا حيلة   و إذا جاء القضى أعمى[٨] البصر
هان بذل النفس منهم فرموا   من أعالى السور[٩] لا يخشو خطر

(١-١) هذا البيت ساقط من بر و وارد فى بن .
(٢-٢) فى بر : فارس من . و صححته كما أوردنا فى النص لاستقامة الوزن به .
(٣) فى بن : العدا .
(٤) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : المحتظر .
(٥-٥) العبارة مطموسة فى بن و لوأن آخر كلمة فيها تنتهى بحرف السين ، و ربما كانت « الناس » .
(٦) فى بن : حققوا . (و واضح أنها خطأ قلمى) .
(٧) فى بن : عموا .
(٨) الكلمة أصلا «عمى» و هى مصححة بقلم آخر إلى « عمى » و قد أخذنا بها .
(٩) كذا فى بن . و هى فى بر : الصور .

و لقــد جاء فريق منهم   يبتغوا باب رشيــد للفــر
كسروه ثم ولوا هربـا   بعضهم من بعضهم يقفو[1] الأثر
عند ما عاين كلب الروم ذا   أن جيش المسلمين إنكسر
جاء زحفا عازما[2] بعزمــه   دخلوا للثغر من باب القذر[3]
رفعوا الصلبان فى أعلائه   فتعـالى ربنـا بارى الصور
و لقد كانوا غداة[4] دخلوا   لجراد فى حصيــد إنتشر
أين عينيك ترى الثغر و قد   هتك الإفرنج منه ما استتر
و بنـــات خفرات حُرَم   قد أزالوا عنهم[5] ذلك الخفر
و لكم مرضعة قد[6] نحروا   طفلها فى صدرها أيضا انتحر
و لكم شيخ كبير قتلوا   ما رعوا فى أمره حق الكبر
و لكم شاب نشا فى طاعة   دأبه فى[7] عمره يتلو السُّوَر

---

(١) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : يقفوا .
(٢) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : هازما .
(٣) ربما كان المقصود « مجارى الأقنية » بجوار الباب الأخضر ، و هى الواردة فيما سبق من هذا الجزء . راجع بر ١٨٦ : ب .
(٤) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : عداة .
(٥) فى بن : منهم .
(٦) الكلمة ساقطة من بن .
(٧) فى بن : من .

اسروه و استباحوا أسره   و بهم أمسى ذليلا محتقر
ما رعوا شابا و لا ذا[1] شيبة   فصغير و كبير مستطـــر
و لكم عين و عين جمعوا   و لكم حازوا بدُور و بدر
كم عزيز قـد غدا فى ذلة   و غنىّ بعـــد مال إفتقر
عظم الله لهم اجرا لقـد   نال أجرا منهمُ من قد شكر
و لقد جاء[2] حديث مسند   نصه قد جاء عن خير البشر
ما قضى[3] الله على امرء قضا   منه إلا و له فيـــه الخير
كم و كم من مسجد[4] عمر فى   مبدإ الإسلام من عهد عمر
قد غدا خاوى على عروشه   دخل الأعداء فيـــه و شعر
/حرقوا الخـــانات مع حانوتها   إذ رموهم بحراريق الشرر [٢٣٧: ب]
كل هذا فعل مولانا الذى   لا يردّ أمـــــره إذا أمر
ساقت[5] البرد لمصر غارة   سوق عنف لا يخافون الغير
و جدوا السلطان فى سرياقس   نازلا فيهـا فأعطوه الخبر
بطقوا بلبيس فى ســاعتهم   فى حمام طالعوا المولى الأقر
يلبـغـا مـــدبر الملك الذى   أمره و نهيـــه قـــد اشتهر

(١) فى بن : ذو . و الكلمة مصححة فى بر بقلم آخر .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : قضا .

(٤) زيد فى بر : قد . و الكلمة لا وجود لها فى بن ، و يستقيم الوزن بدونها .

(٥) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : ساقة .

جاءهم سوقا على حالتــــه ساعة الوقت سريعا ما فــتر
جهز الجيش و أعطى بــالملا أوقر السفن و نادى بالسفر[1]
لم يكن إلا قليل وصلوا بجيوش ليس تحصى كالمطر
عبروا الثغر سراعا و جدوا قد قضى زيد من الوصل وطر
و مضوا الإفرنج فى ساعتهم و خذوا [2]فى البحر جد فى السفر[2]
و غدا الثغــر الشنيب أبخر[3] عبرة يبصرها[4] من اعتبر
يا لها من خذلة قد خذلوا[5] كسرة يجبرها من قد كسر
لا يرّجا لبلاها كاشف غير مَنْ لله حقا قد نصر
كاشف الخطب المهول إن غزا فارج الهم إذا ضاق المقر
سيد الرسل الذى يقدمه نصره[6] بالرعب شهرا إن سفر
يا رسول[7] الله إنا فــئــة بك لذنا من لئيم قد غدر
يا رسول[7] الله قد حل بنا من بنى الأصفر[8] بؤس و ضرر

(١) فى بن: السفر.
(٢-٢) فى بن: بالسفر.
(٣) كذا فى الأصلين، ولعل الكلمة الأخيرة «أبحر».
(٤) فى بن: يبصر.
(٥) فى بن: خاوا.
(٦) فى بن [١٨٤ : - الف]: نصرة (تاؤها المربوطة منقوطة على غير ما جاء فى بر).
(٧) فى بن: يرسول.
(٨) ساقطة من بن.

يا رسول[١] الله خانوا الله فى   أمره و تعدوا ما أمر
يا غياث المستغيثين به   يا غياث الخلق طرا و البشر
يا ملاذ الناس يا كهف الورى   يا كفيل البدو جمعا و الحضر
لك نشكو[٢] ما أتى من حادث   قد عرانا من ملاعين عور[٣]
قد دهوا ثغر الهدى بدهية   يالها من دهية قما أمر
و أحاط الثغر فيهم نكبة   و رختها الناس فى الدنيا سير
فاسأل[٤] الرحمن فى نصرتنا   و خذ الثار لنا ممن كفر
استغثناك أغثنا إحمنا   إنتقم[٥] عنا لنا ممن قهر
بك عذنا من رجيم مارد   جاحد لله ندل قد فجر
/ لم تزل عنا خفيرا زائدا   تحم عنا فى الدنا ثم الأخر [٢٣٨:الف]
و الخفير الغوث من عادته   و سجاياه يحامى من خفر
إن يكن هذا لذنب[٦] سابق   قد جرى منا و جهل و غرر
أو تكن منا أساءات[٧] بدت   فإله العرش أولى من غفر

(١) فى بن [١٨٤ : الف] : يرسول .
(٢) فى بن : تشكوا .
(٣) فى بن : عرر .
(٤) فى بر : فاسئل ، وفى بن : فسل .
(٥) فى بن : انتم .
(٦) فى الأصلين : الذنب .
(٧) فى بن : اسات .

فانصر[1] الأمة [2]واكشف عارها   أنت أولى[2] فى الورى من انتصر
واشدد الوطأة فى أعدائنا   واعطنا فتحا مبينا وظفر
واقتدر عنا وخذ تاراتنا   من عدانا يا عزيز إقتدر
وعلى المختار صلّ[3] ربنا   فى أصيل وعشاء وبكر
وعلى الآل الكرام من بهم   عز دين الحق حقا وظهر
ما همى وبل ومالت أيكة   وشذا ارق على أعلا شجر

قال المؤلف غفر[4] الله له و[5]للمسلمين أجمعين[5]: ولما اجتمعت بالشيخ أبى عبد الله محمد بن طاهر الإخميمى أوقفته على هذه المرثية التى عارض بها أبو عبد الله[6] محمد النستراوى[7] مرثيته المتقدم ذكرها قطب وجهه وظهر[8] حرجه [9]لمعارضته لمرثيته التى رثا بها الإسكندرية بسبب نهب الفرنج لها وسبى بعض أهلها[9] وأنشد لسان[10] حاله يقول :

(١) كذا فى بن، والكلمة فى بر: فانتصر. ولا يستقيم بها الوزن.
(٢ - ٢) مطموسة فى بن.
(٣) عن بن، وفى بر: صلى.
(٤) فى بن: رحمه.
(٥ - ٥) ساقطة من بن.
(٦) فى بن: هبة.
(٧) فى بن: التستراوى.
(٨) فى بن: وأظهر.
(٩ - ٩) العبارة ساقطة من بر وواردة فى بن.
(١٠) الكلمة ساقطة من بن.

أقول

أقول إذا قالوا نراك مقطبا   إذا ما ادعى دين الهوى غير أهله
يحق لدود القز يقتل نفسه   إذا جاء بيت العنكبوت بمثله

[١]وقد تقدمت[٢] مرثية ابن طاهر التى أولها :

حادث حل أرى الناس العبر   فيما قد حال منه يعتبر[١]

[حكايات جرت بالإسكندرية حين الوقعة]

وسأذكر[٣] الحكايات التى قيل إنها جرت بالإسكندرية حين الوقعة مع ما أضفت[٤] إليها من الأشياء المستطردة[٥] المناسبة لها [٦]إن شاء الله تعالى[٦] .

حكاية تشتمل على ترك حفظ الحريم من العدو اللئيم . حكى أن الإفرنج الكفرة الطغاة الفجرة لما ظفروا بالإسكندرية ، وفرت أهلها منها[٧] هربا من أبواب البر[٨] ، صارت الإفرنج[٩] تنهب الديار ، وتأسر الأحرار ،

(١-١) هذا الجزء ساقط من بن .
(٢) فى الأصل : تقدم .
(٣) فى بن : فلنذكر الآن .
(٤) فى بن : أضيف .
(٥) فى بن : لاستطرادات .
(٦-٦) ساقطة من بن .
(٧) ساقطة من بن .
(٨) فى بن : برها .
(٩) فى بن : الفرنج .

فدخل إفرنجى[١] دارا فوجد بها شيخا مسنا[٢]، و بيد الإفرنجى[٣] [٤]سيف مجرد[٤]، فارتاع الشيخ منه و فزع فزعا شديــدا، فقال له الإفرنجى[٣]: أين الذهب؟ قال: حاضر. قال: احضره. قال: أخاف أن تأخذه منى و تقتلنى، و ليس لك فى قتلى راحة. قال: أنت[٥] فى أمان منى. قال: فاحلف لى بالإنجيــل و الصليب أنك إذا أخذت منى الذهب تتركنى حيا. فحلف له[٦]، فأحضر الشيخ ذهبا كان [٢٣٨ : ب] عنده فقبضه[٧] منه و قال له: امض معى إلى القرقورة لأريك ما عندى فيها و اطلق سبيلك. فقال الشيخ: أعفــنى من ذلك و لا تستأسرنى بعد أخـذ[٨] مالى. قال: لا بد منه و فيه مصلحتك لئلا يقتلك أصحابى[٩] فى منزلك هذا إذا دخلوا عليك[٦]. قال الشيخ: فسرت معه إلى أن حصلت القرقورة، و إذا بامرأة[١٠] جالسة قد غطت وجهها و هى تبكى و تتأوه

---

(١) فى الأصلين: افرنجيا.
(٢) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٣) فى بن: الفرنجى.
(٤-٤) فى الأصلين: سيفا مجردا.
(٥) فى بن: فأنت.
(٦) ساقطة من بن.
(٧) فى بن: فقضه.
(٨) فى بن: أخذك.
(٩) فى بن: أصحابنا.
(١٠) فى بن: بامرة.

فكشف الإفرنجي عن وجهها ، و إذا[١] هي امرأة حسناء جميلة من سبايا الإسكندرية . قال فتعجبت من حسنها ، و تألمت لبكائها و حزنها بسبب أسرها و بعدها عن وطنها ؛ [٢]فكلمتها فسكتت و لم تجبني عن وطنها[٢] و لسان حالها يقول :

لم يبق إلا نَفَس خافت[٣] و مقلة إنسانها باهت
و مغرم تحرق احشاؤه بالنار إلا انه ساكت

فقال الإفرنجي : يا هذا أكان[٤] ينبغي لزوج هذه الفرار عنها و يتركها لغيره و لا يحميها بقتاله أو يقتل فيعذر . قلت : بلى و الله . فقال : امض إلى بلدك و لُم زوجها على فراره عنها ، و قل له أين المروءة و النخوة و الذب عن[٥] الحريم ، فما يحمى الحريم إلا [٦]ذو النسب[٦] الكريم ، و لا يفر عنه إلا الذميم اللئيم . قال الشيخ[٣] فقلت له : لقد وبخت فأوجعت ، و نكلت بما ذكرت ، [٢]و لست أعرف زوجها فأخبره بذلك[٢] و لكني[٧]

(١) في بن : فاذا .

(٢-٢) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بر : كان . و صححته في بن [١٨٤ : ب] كما أوردنا بالنص .

(٥) عن بن . و في بر : على .

(٦-٦) في بن : ذا الحسب .

(٧) كذا في بن ، و هي في بر : لكني .

إذا نزلت من هذه القرقورة قتلى[1] أصحابك النصارى . قال فدفع لى ريشة و قال : ضعها على جبينك تكفى[2] شرهم . ففعلت ما قال فسلمت منهم فى طريق و دارى .

حكاية تشتمل على فرج بعد شدة . حكى أن امرأة [3]حسنة الوجه[3] كثيرة المال تأخرت فى دارها هى و وصفانها[4] و جواريها[5] عن الهروب حين الوقعة[6] بالإسكندرية ، فدخلت الإفرنج إليها [7]بأيديهم السيوف[7] المسلولة . فلما رأتهم نهضت قائمة ، و صارت من الفزع كالمهبولة[8] ، فنغزها أحدهم بذبابة سيفه[9] نغزة خفيفة ، فصارت منها مجروحة[10] ، و قال لها : أين المال؟ فازداد رعبها و قالت : المال فى هذه الصناديق التى هى داخل هذا البيت . و أشارت إلى بيت بالمجلس[11] التى هى به ، و صارت ترعد من الخوف .

(١) عن بن ، و فى بر : قتلتى .
(٢) فى بن : تكفا .
(٣-٣) فى بن : جميلة .
(٤) ساقطة من بن .
(٥) فى بر : و جوارها . و هى كما أوردنا فى بن .
(٦) فى بن : ظفروا الإفرنج .
(٧-٧) فى بن : بالسيوف .
(٨) فى بن : كالبهلولة .
(٩) فى بن : السيف .
(١٠) فى بن : مرجوفة .
(١١) فى بن : فى المجلس .

فقال

فقال [١] أحدهم لها [١] : لا تخافى و لا تفزعى فأنت تكونى عندى ، و فى [٢] مالى و خيرى ترتعى . ففهمت عنه أنه أحبها و يريدها [٣] لنفسه ، فمالت إليه و قالت له [٤] بكلام خفى [٤] : أريد [٥] أن [٤] أدخل بيت [٤] الخلاء ، [٦] و رققت له القول [٦] ففهم عنها أنها أرادته [٧] ، و أنها حصل لها من الرعب ما احتاجت معه إلى ذلك . فأشار إليها أن تمضى لقضاء [٨] ، [٢٣٩ : الف] حاجتها . فمضت و اشتغلوا بنهب الصناديق ، فخرجت المرأة من باب دارها ، و دخلت مخزنا غلسا مملوءا تبنا بزقاق دارها ، فحفرت فى التبن حفرة و اندفنت [٩] بها ، فطلبتها الإفرنج [١٠] بعد نهبهم لدارها فلم يجدوها [١١] فاشتغلوا [١٢] بحمل النهب و مضوا ، فسلمت المرأة من الأسر [٦] بحيلتها تلك [٦] .

(١ - ١) فى بن : لها كبيرهم .
(٢) فى بن : فى .
(٣) ساقطة من بن .
(٤-٤) ساقطة من بن .
(٥) فى بن : إنى أريد .
(٦-٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٧) فى بن : أحبته .
(٨) فى بن : إلى قضاء .
(٩) فى بن : فاندفنت .
(١٠) فى بن : الفرنج .
(١١) فى الأصلين : فلم يجدونها .
(١٢) فى بن : و اشتغلوا .

و كذلك وصفانها[1] و جواريها سلموا منهم بصعودهم سطح الدار . فقالت المرأة عند ذلك : سلامة الدين[2] و العرض[3] خير من المال الذى لم يدخر عند ذوى المروءات الا لغرض مثل هذا ، لأن الفقر خير من الأسر ، [4]و الافتتان بتغيير[4] الدين بالقهر . و ان كان فى الأسر الغنى[5] بسبب[6] الحسن . فرضيت هذه المرأة بسلامة دينها و صيانة عرضها ، و لا تكون[7] بعد الديانة عند كافر فى حانه و لسان حالها [8]ينشد و يقول[8] :

إنى لحر المال ممتهن   و لحر عرضى غير ممتهن

[9]ثم قال لسان حالها أيضا :

إن الغنى هو الغنى بنفسه   و لو انه عارى المناكب حافى
و سلامة الدين القويم من الأذى   خير من الكفر السقيم الجافى
ما كل ما فوق البسيطة كافيا   فاذا قنعت فكل شىء كافى[9]

(١) ساقطة من بن .
(٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٣) فى بن : العرض ، بدون واو العطف .
(٤-٤) فى بن : و الاكراه على تغير .
(٥) فى الأصلين : الغنا .
(٦) فى بن : لأجل .
(٧) كذا فى بن ، و هى فى بر : تكن .
(٨-٨) فى بن : يقول .
(٩-٩) هذا القسم بأكمله ساقط من بن .

ثم إنها[1] رفعت قصتها [2]إلى عالم[2] سريرتها ، و لسان حالها يقول :

الصبر يعقب راحة		و الغم يعقبه الجزع
إصبر و إلا فاصطبر		فالصبر أنفع ما نفع
كم من مضيق[3] معسر		بالصبر وسع فاتسع
و الصبر عدة كل ذى		عقل إذا وقع الفزع
كم عاد بالصبر امرء		عند الشدائد فاندفع
الصبر زين للفتى		و يشينه ذل الطمع

ثم إنها قنعت بالفقر بعد الغنى[4] و قالت : إن[5] الدنيا عاقبتها للفناء . و لسان حالها يقول :

هل عاينت عيناك من حامل		شيئا من الدنيا إلى قبره
سوى الذى لابد له		من كفن يكسى[6] إلى حشره[7]

---

(١) ساقطة من بن .
(٢-٢) فى بن : لعالم .
(٣) فى بن : ضيق .
(٤) فى الأصول : الغنا .
(٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٦) فى بن : يسلى .
(٧) زيد هنا فى بن : قال الأصمعى : ذم أعرابى رجلا بخيلا فقال أفسد آخرته بصلاح دنياه ، ففرق مما عمر غير راجع إليه ، و قدم على ما أخرب غير منتقل عنه ، و أن مال البخيل أبصر (!) تحت خاتمه ، و ليس يطلق إلا يوم ما . . . (الكلمة الأخيرة مطموسة و العبارة فيها خبل فآثرنا تركها بالحاشية) .

حكاية يعقبها أخبار و مواعظ و غير ذلك . حكى بعضهم قال: كنت مختفيا[١] حين ظفر الإفرنج بالإسكندريـــة بمكان [٢] أنظر من كوة صغيرة[٢] إلى الشارع ، و إذا بأربعـة من الإفرنج[٣] فيهم[٤] علج محتشم ، [٥] فدخل الثلاثـة[٥] [٢٣٩ : ب] إلى دار و تأخر ذلك العلج خارجها ، ثم خرجوا منها ومعهم شاب حسن الوجه على رأســه طاقية و امرأة مغربية جسيمة جميـــلة الصورة كاملة الحسن على رأسها كوفية مذهبة و عليها قميص شَرْب[٦] و شعرها مسـدول على كتفيها ، فأتوا بهما[٧] إلى كبيرهم ، فأمر بضرب عنق الشاب ، فضرب بسرعة[٨] ، فوقعت جثتـه على الأرض ، فاختلج و مد ذراعه عند خروج روحه ، فلما رأته زوجته قتيلا جزعت عليه [٩] جزعا شديدا[٩] ، و لسان حالها يقول:

سألت فؤادى الصبر عنك فقال لى إليك فان الصبر من غير عادتى

---

(١) كذا فى بن [١٨٥ : الف] ، و الكلمة فى بر: مخفيا .

(٢-٢) كذا فى بن . و العبـارة فى بر: اصغر من طاقة صغيرة . (و العبارة ناقصة) .

(٣) فى بن: الفرنج .

(٤) فى بن: احد .

(٥-٥) فى بر: فدخلت الثلاثة ، و فى بن: فدخل ثلاثة .

(٦) الشرب نسيج رقيق من الكتان .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : بها .

(٨) فى بن: سريعا .

(٩-٩) ساقطة من بن .

و انكبت

وانكبت على رأسه المقطوعة[١] تقبله ولسان حالها يقول:

[٢]فوا أسفا ما أمرّ الفراق   وأعلق نيرانه بالكبود

فقال لهم كبيرهم: آمضوا بها إلى القرقورة. فقالوا لها ذلك فامتنعت من المضى معهم. فقالوا: نقتلك كما قتلنا صاحبك. قالت: الموت بعد فراق الحبيب أحسن من الحياة التى بعده لا تطيب. ولسان حالها يقول[٢]:

مالى سوى روحى وباذل روحه   فى حب من يهواه ليس بمسرف
فأنا القتيل بحب من أحببته   إن الملام عن الهوى مستوقف

ثم إنهم حاولوها[٣] على أن تمضى معهم، وهى [٤]تمتنع وتلتقط[٤] الحجارة من الأرض وترميهم بها، فغلبوا فى أمرها، فتقدم إليها أحدهم، ضربها بسيفه على عاتقها، خرط السيف إلى بطنها، [٤]فبرزت حشوتها[٤] وسقطت المرأة إلى الأرض، فوقع معصمها على ذراع زوجها الممتد. ومضت الإفرنج وتركوهما بعد نهب[٥] ما كان بدارهما، فماتا شهيدين، [٦]رحمة الله عليهما[٦].

---

(١) ف بن: المقطوع.

(٢ - ٢) هذا الجزء ساقط من بن.

(٣) ف بن: حاوروها.

(٤ - ٤) ف بن: فبرز حشوها.

(٥) الكلمة ساقطة من بن.

(٦ - ٦) ف بن: رحمهما الله تعالى.

[فضل الشهادة و الشهداء]

قال المؤلف [1]غفر الله له و لوالديه و للأقربين اليه و لجميع المسلمين آمين : و سأذكر[1] ما قيل فى الشهداء و فضل الشهادة إن شاء الله تعالى.

قال ابن رشد : الشهداء سبعة عشر و هم المقتول فى سبيل الله ، و من قتل دون ماله ، و من قتل دون أهله ، و من قتل دون دينه ، و الغرق ، و الحرق ، و المجنون ، و الهديم ، [2]و ذات الجمع - قيل إنها ذات الحمل ، و قيل هى البكر[2] ، و المقتول ظلما ، و أكيل السبع ، و الميت فى سبيل الله و من مات مبطونا فهو[3] شهيد ، [4]و المطعون شهيد[4] و المريض شهيد ، [5]و الغريب شهيد[5] ، و صاحب النظرة شهيد ، و الملسوع شهيد .

عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فناء أمتى بالطعن و الطاعون . [٢٤٠ : الف] فقلت : هذا الطعن ، فما هو الطاعون؟ قال : غدة كغدة البعير ، و الفار[6] منه كالفار من الزحف .

فأما الذى يقتل دون ماله ، ففى الحديث كان سعد بن أبى وقاص و عبد الرحمن ابن عوف يخبران أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : من قاتل دون

(١ - ١) فى بن : رحمه الله تعالى ، و إذ قد ذكرت الشهداء فسأذكر .

(٢ - ٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن : فهذا .

(٤ - ٤) وردتا بآخر القائمة فى بن .

(٥) الكلمة ساقطة من بر .

(٦) فى بن : الفار .

ماله حتى قتل فهو شهيد . فهذا الرجل الذى قتله[1] الإفرنج[2] المتقدم ذكر ضربهم[3] عنقه ، حصل له ثلاث شهادات ، لأنه قتل دون ماله ، و دون أهله ، و دون دينه. و زوجته أيضا ماتت شهيدة لأنها [4]قاتلت و قتلت[4] و أبانت عن مروءة لعدم تسليمها نفسها للاسر خوفا من أن تصير فى الرق و يطأها كافر فتحمل بكافر، و تفتن فى[5] دينها بالضرب و الأذى حتى تدخل فى دين الكفر ، فماتت مسلمة مؤمنة[6] طاهرة حريصة على [7]دينها و طلبها[7] الشهادة يرميها الكفار ، [8]بصم الحجار[8]، إلى أن قتلت مقبلة غير مدبرة ، فصارت شهيدة مع زوجها الشهيد فى الجنة أحياء عند ربهم يرزقون . فكما[9] كانا مجتمعين[10] فى الدنيا ، صارا مجتمعين[10] بجنة المأوى .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال سألنا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن أرواح الشهداء فقال : جعلت[6] فى أجواف طير خضر

---

(١) فى الأصلين : قتلته .
(٢) فى بن : الفرنج .
(٣) فى بن : ضرب .
(٤ – ٤) فى بن : قتلت بعد أن قاتلت .
(٥) فى بن : عن .
(٦) الكلمة ساقطة من بن .
(٧ – ٧) كذا فى بن، و هى فى بر : طلب .
(٨ – ٨) فى بن : بجلاميد الأحجار .
(٩) فى الأصلين : فلما . – بسقوط شرطة الكاف .
(١٠) كذا فى بن ، و فى بر : مجتمعان .

تأوى إلى قناديل تحت العرش تسرح فى الجنة حيث تشاء، ثم اطلع عليهم ربك اطلاعة . فقال هل تستزيدونى شيئا فأزيدكم ؟ فلما رأوا أنهم لا بد أن يسألوه ، قالوا : ترد أرواحنا إلى أجسادنا فنقتل فى سبيلك مرة أخرى .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكرة و عشيا . فان قيل : لم سمى الشهيد شهيدا ؟ قيل لأن النبى صلى الله عليه و سلم شهد لقتلى[1] أُحد المسلمين[2] بالجنة ، فقال لأنهم شهدوا لطف الله وكرامته . و قيل لأنهم يشهدون الحساب و لا يحاسبون ، و قيل : لأنهم يبعثون يوم القيامة[3] و دمهم شاهدا لهم كما جاء فى الحديث : اللون لون الدم ، و الريح ريح المسك . و الأصل فى هذا قوله [4]صلى الله عليه و سلم[4] فى قتلى أحد : زملوهم فى ثيابهم وكلومهم ـ الحديث[5] عن كعب الأحبار . قال فى كتاب الله المنزل [6]الذى أنزله[6] على موسى بن عمران أنه قال : بالإسكندرية شهداء استشهدوا ببطحائها [7]هم خير من مضى و خير[7] من

(١) كذا فى بن [١٨٥ : ب] ، و الكلمة فى بر : لقتلا .
(٢) الكلمة ساقطة من بن .
(٣) فى بن : القيمة .
(٤ - ٤) فى بن : عليه السلام .
(٥) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٦ - ٦) ساقطة من بن .
(٧ - ٧) فى بن : هم مضى و خير .

بقى فهم الذين يباهى بهم الله شهداء بدر .

وقيل لمالك بن أنس : هل بلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم [٢٤٠ : ب] صلى على عمه حمزة وكبر عليه سبعين تكبيرة؟ قال : لا ولا إنه صلى على أحد من الشهداء . واختلف بما ذا[١] لا يصلى على الشهيد .[٢] فقيل لأن الصلاة[٢] إنما هى شفاعة لمن عليه ذنوب ،[٣] فالشهيد مستغن[٣] عن الشفاعة لعلو درجته[٤] ، وكثرة ثوابه[٥] . ولهذا قيل إنه عليه السلام لم يصل[٦] عليه بعد موته ، وإنما كان الناس يدخلون عليه أفواجا فيدعون ويتضرعون . قال ابن وهب : إنما لا يصلى على[٧] الشهيد لأنه حي[٧] . قال ابن رشد : وهذا اعتلال ضعيف لأنه يقسم ماله ، وتنكح زوجته . وقيل يصلى على الشهداء إذا كان قتلهم فى بلاد[٨] الإسلام بدخول العدو عليهم لانحطاط درجتهم على درجة من يدخل من المسلمين بلاد[٩]

(١) عن بن ، و فى بر : فيما ذا .

(٢ – ٢) مطموسة فى بن .

(٣ – ٣) فى بن : و الشهداء مستغنون .

(٤) فى بن : درجاتهم .

(٥) فى بن : ثوابهم .

(٦) كذا فى بن ، و هى فى بر : يصلى .

(٧ – ٧) فى بن : الشهداء لأنهم أحياء .

(٨) فى بن : دار .

(٩) فى بن : بيلاد .

العدو فيستشهد هناك . و جاء فى الخبر: ما غزوا[1] قوم فى قطر دارهم إلا ذلوا. و قال النبي صلى الله عليه و سلم : ما التقت فئتان قط إلا و يد الله[2] بينهما فاذا أراد الله أن يهزم إحدى[3] الطائفتين أمال يده عليها . و قيل إذا التقت الفئتان تقول الملائكة : يا ربنا نكون مع من منهما ؟ فيقول: مع أعدلهما .

و اختلف لما ذا سمي الشهداء أحياء . فقيل لأنهم يتمتعون و يرزقون كالأحياء . و قيل لأنهم يكتب لهم فى كل ليلة ثواب غزوة و يشركون فى فضل جهاد المجاهدين إلى يوم القيامة[4] لأنهم[5] سنوا لهم الجهاد ، و دليله قوله تعالى[6] : "من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس[7] او فساد فى الارض[7] فكانما قتل الناس جميعا و من احياها فكانما احيا الناس جميعا". و قوله [8]عليه السلام[8] : «من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة[4] ، و من سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة[4] » . و قال رسول الله صلى الله

---

(١) فى بن: غزى .

(٢) زيد فى بن : تعالى . (٣) فى الأصلين : أحد .

(٤) فى بن : القيمة .

(٥) فى الأصل: لهم . ولا يستقيم بها السياق .

(٦) قرآن كريم ٥ : ٣٢ .

(٧–٧) ساقطة من بر و واردة فى بن و هو الأصح .

(٨–٨) ساقطة من بر و واردة فى بن : فيكون بذلك الكلام حديثا شريفا .

عليه و سلم : بعث الله جل ثناؤه[١] فى آخر كل سبع أمم نبيا ، فمن عصى نبيه كان من الضالين ، و من أطاع نبيه كان من المهتدين .

عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم فى قوله[٢] تعالى[٣] : "يوم ندعوا كل اناس بامامهم[٤]" قال : يدعى[٥] أحدهم فيعطى[٦] كتابه بيمينه ، و يمد له فى جسمه ستون ذراعا ، يبيض وجهه ، و يجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلالأ ، فينطلق إلى أصحابه ، فيرونه من بعيد ، فيقولون اللهم آتنا بهذا و بارك لنا فى هذا حتى يأتيهم ، فيقول : ابشروا لكل رجل منكم[٧] مثل من هذا ، قال : و أما الكافر فيسود وجهه ، و يمد له فى جسمه ستون ذراعا ، فيلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون [٢٤١ : الف] نعوذ بالله من شر هذا ، اللهم لا تأتنا بهذا . قال فيأتيهم فيقولون : اللهم أخره . فيقول : أبعدكم الله[٨] فان لكل رجل منكم مثل هذا . ذكره الترمذى و قال هذا حديث حسن غريب - انتهى .

نعود - قيل إن أرواح الشهداء تركع و تسجد تحت العرش كأرواح

(١) زيد فى بن : بعث .

(٢) فى بن : قول الله .

(٣) فى بن : عز و جل .

(٤) قرآن كريم ١٧ : ٧١ .

(٥) فى بن : يدعا

(٦) فى بن : فيعطا

(٧) كذا فى بن ، و هى بهامش بر : منهم .

(٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .

المؤمنين الذين يبيتون على وضوء . و قيل لأن الأرض لا تأكل لحومهم . و قيل أربعة لا تأكل الأرض لحومهم[١] : الأنبياء و الشهداء و العلماء و حملة القرآن . و قيل : سموا أحياء و إن كانت جميع الأرواح حية باقية لتأكد[٢] الشهادة كما يقال فلان هو الرجل . و لا يغسل الشهيد ظاهره[٣] و إن كان جنبا لأن غسل الجنابة من العبادة المتوجهة على الأحياء عند القيام إلى الصلاة . فاذا مات الميت[٤] ارتفعت عنه العبادات من الصلاة و الغسل لها و غير ذلك ، و غسل الميت إنما هو عبادة للأحياء تعبدوا بها ، فهى واجبة عليهم على الكفاية باجماع[٥] قيل وجوب السنن ، و قيل وجوب الفرائض ، و قد جاء بذلك الأثر .

ذكر[٦] أهل العلم بالسير أن حنظلة[٧] بن أبي عامر الأوسى كان قد ألم بزوجته فى حين خروجه إلى غزاة أحد ، ثم هجم من الخروج فى النفير ما أنساه الغسل و أعجله عنه[٨] ، فلما مات شهيدا أخبر النبي صلى الله

---

(١) بهامش بن : أربعة لا تأكل الأرض لحومهم .

(٢) فى بن [١٨٦ : الف] : لتأكيد .

(٣) فى بن : طاهر .

(٤) فى بن : الشخص .

(٥) فى بن : بالاجماع .

(٦) فى بن : و ذكر .

(٧) مطموسة فى بن .

(٨) ساقطة من بن .

عليه

عليه و سلم أن الملائكة غسلته . و روى أن النبي صلى الله عليه و سلم سأل امرأته ما كان شأنه . فقالت يا رسول[١] الله إنه كان جنبا غسلت إحدى شق رأسه فلما سمع الهيعة خرج فقتل ، فقال عليه السلام : لقد رأيت الملائكة تغسله . فسمى حنظلة الغسيل .

و أما[٢] غسل غير الشهيد فلا بد منه و الصلاة عليه لأنهما عبادة للأحياء تعبدوا بها[٣] ، فهما واجبان عليهم على الكفاية باجماع[٤] قيل و جوب السنن و قيل وجوب الفرائض. و إذا مات[٥] أحد من رَكْب الحجاج[٦] بطريق مكة لزمهم غسله و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه ، فان تركوه عصوا كلهم ، فان لم يجدوا ماء يمموه فى وجهه و يديه و كفنوه و صلوا عليه و دفنوه[٥] .

و لما برز عبيدة بن الحارث لعتبة بن ربيعة فى يوم بدر ، و كان عبيدة من حزب النبي صلى الله عليه و سلم ، و عتبة بن ربيعة من حزب المشركين ،

---

(١) ف بن : يرسول .
(٢) ف بن : أما .
(٣) ف بن : فيهما .
(٤) ف بن : بالاجماع .
(٥) ساقطة من بن .
(٦) ف بن : الحاج .

فاختلف[١] بينهما ضربتين ، و كر حمزة بن عبد المطلب و على بن أبى طالب بأسيافهما على عتبة فقتلاه ، و احتملا صاحبهما عبيدة ، و جاءا[٢] به إلى رسول الله صلى الله [٢٤١ : ب] عليه و سلم ، فأضجعاه[٣] إلى جانب موقف رسول الله [٤]صلى الله عليه و سلم[٤] فأفرشه رسول الله قدمه الشريفة ، فوضع خده على قدمه و قال : يا رسول[٥] الله لو رآنى عمك أبو طالب لعلم أنى أحق بقوله فى قصيدته :

و نسلمه حتى يُصَرَّع حوله و نذهل عن آبائنا[٦] و الحلائل

ثم مات رضى الله عنه . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أشهد أنك شهيد[٧] .

و ثبت فى الصحيحين أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر ، و كان فى النظارة أصابه سهم فقتله ، فجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت : يا رسول[٥] الله أخبرنى عن حارثة ، فان كان فى الجنة صبرت

(١) فى بن : و اختلف .
(٢) فى بر : و جاءوا ، فى بن : و جاء .
(٣) عن بن ، و فى بر : فاضجعوه .
(٤-٤) ساقطة من بن .
(٥) فى بن : برسول .
(٦) فى بن : ابنائنا .
(٧) فى بن : صحيح .

و إلا فأذن لى ما أصنع . تعنى من النياحة ، و كانت لم تحرم بعد . فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم : ويحك أهبلت أنها جنان ثمانية ، و أن ابنك فى الفردوس الأعلى[1] .

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى[2] مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، [3]أو هرما مفندا[3] ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى و أمر - انتهى[4] .

[فى تلقين الميت و غير ذلك مما يتصل بالموت و القبر]

فلنذكر الآن ما قيل فى تلقين الميت [5]و تغميضه و غسله و الصلاة عليه و دفنه[5] . يستحب أن يلقن الميت الشهادة [6]لما جاء عن النبى صلى الله عليه و سلم قال[6]: من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة . و لا يكثر عليه فى ذلك ، فان قالها مرة ثم تكلم بغيرها أعيد تلقينه ، و إن

(١) فى بن : الأعلا .

(٢) كذا فى بن ، و هى فى بر : غناء .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٥-٥) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٨٦ : الف - ب] باضافة «لما عن النبى صلى الله عليه و سلم» و الغالب أن صحتها «لما جاء» .

(٦-٦) فى بن [١٨٦ : ب] : قال عليه السلام .

لم يتكلم ترك و يغمض بصره إذا قضى لا قبل ذلك ، و تمد رجلاه إن أمكن ، و أن تشد لحياه ، هذا قبل أن تبرد أعضاؤه ، لئلا يبقى مشوه الخلقة . و يستحب أن يقال عند الميت حين يحتضر « سلام على المرسلين ، و الحمد لله رب العالمين ، لمثل هذا فليعمل العاملون ، وعد غير مكذوب » . و لا بأس أن تغمضه الحائض و الجنب . و يستحب أن يقال عند إغماضه « بسم الله[1] و على ملة[2] رسول الله صلى الله عليه و سلم ، اللهم يسر عليه موته ، و أسعده بلقائك ، و اجعل ما خرج إليه خيرا مما خرج منه[3] » . و أن يكثر له الدعاء فان الملائكة يحضرونه و يؤمنون على دعاء الداعى . و يستحب أن يقرب منه رائحة طيبة من بخور . و لا بأس أن يقرأ عند رأسه سورة يس أو غيرها . و الذى يتوجه على المسلمين فى الميت غسله و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه . فأما غسله فقيل فرض ، و قيل سنة . و فى غسله[4] بماء زمزم قولان : القول بالمنع فى كتاب ابن شعبان ، [٢٤٢ : الف] و أنكره ابن أبى زيد . و روى أنه مخالف لقول مالك و أصحابه . و لا شك أنه ماء مبارك . و مع ذلك °فلا يمنع أن° يصرف

(١) فى بن : باسم .

(٢) كذا فى بن . و الكلمة فى بر : وفاة .

(٣) فى بن : عنه .

(٤) مطموسة فى بن .

(٥-٥) فى بن : انه .

فيما يصرف فيه أنواع المياه، إذ المعلوم أن هاجر أم إسماعيل[1] [2]صلوات الله عليه و سلامه[2] إنما كانت هي و ابنها و من نزل عليهما [3]من العرب[3] لم يكونوا[4] يستعملون[5] في كل ما يحتاجونه سواء. و أما تكفينه [6]فقد قال[6] النبي صلى الله عليه و سلم: البسوا البياض و كفنوا فيه موتاكم فانها من خير[7] ثيابكم. و قال عليه السلام: إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه. و المطلوب [8]في الكفن[8] الستر مع حصول الوتر، فان اضطر إلى أحدهما لوقوع التعارض في بعض الصور، قدم الستر على الوتر، لأن جنس الستر من باب الواجبات. و الوتر من باب الفضائل، و لأجل ذلك قدم الإثنان على الواحد، و إنما يحصل معه[9] الإجزاء خاصة. و قدمت الثلاثة على الأربعة لحصول الستر و الوتر جميعا في الثلاثة. و فقدان الوتر في الأربعة. و الواجب من الكفن

---

(١) ف بن: اسمعيل.

(٢ - ٢) ف بن: عليه السلام.

(٣-٣) ساقطة من بن.

(٤) كذا ف بن، و ف بر: لم يكن غيره لم.

(٥) ف الأصلين: يستعملوا.

(٦-٦) ف بن: فقال.

(٧) ف بن: نفس.

(٨-٨) ف بن: من ذلك.

(٩) ساقطة من بن.

ما يستر [1] عورته، أى الميت [1]، و ما زاد عليه فهو سنة. و الصلاة عليه فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، و قيل سنة و تجب بأربع صفات فى الميت: ثبات الحياة له قبل، و الإسلام، و وجود الجسد [2] أو أكثر [2]، و كون الميت غير قتيل فى معترك بين المسلمين و الكفار. و لا يصلى [3] على (من) لم يظهر له [3] صراخ أو ما يتحقق به حياته، و لا على كافر، و لا على شهيد فى المعترك. و لا يغسلون و لا يحنطون و لا يكفنون تكفين الموتى، بل يدفن الشهيد فى ثيابه إلا أن يكون عريانا فيلف فى ثوب. و كذلك يفعل بالقن [4] و الكافر إن اضطر المسلمون إلى دفنه.

و فى الصلاة على الميت قيراط من الأجر، و قيراط فى حضور دفنه [5]، و القيراط مثل جبل أحد ثوابا، و اختلف لأى [6] شىء مثل القيراط بجبل أحد عن سائر الجبال، فقيل [7]: لأنه أكبر الجبال و هو

(١-١) فى بن: عورة الميت.

(٢-٢) فى تر: و أكثره. و الصواب فى بن.

(٣-٣) فى بن: على سقط لم له. و لفظة «من» لا وجود لها بالأصل و هى لازمة لانسجام العبارة.

(٤) فى بن: بالسقط.

(٥) مطموسة فى بن.

(٦) كذا فى بن، و الكلمة فى بر: و لأى.

(٧) فى بن: قيل.

جبل بمدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم . و قيل مثل لهم بما يعرفون ، و قيل لأنه متصل بالأرضين السبع . و يكون لأحد معنيان : أحدهما[١] أنه لو كان هذا الجبل من ذهب و فضة و تصدق به لكان ثواب مثل هذا القيراط ، و قيل لو أخذ هذا الجبل و جعل[٢] فى كفة و جعل هذا القيراط فى كفة لكان يساويه .[٣] و لا يصلى على غائب أو غريق أو أكيل سبع و نحوه إلا أن يوجد أكثر الجسد[٣] ، و أما دفنه ففرض . قال مالك فى الصلاة على [٢٤٢: ب] الطفل : يسأل له الجنة و يستعاذ له من النار . قال اللخمى : و قد قيل لايعذب لقول الله عز و جل "و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا[٤] " - و لا نعذب إلا من خالف و عصى بعد توجه الخطاب . و إن كان ذلك لم يستعذ له من النار ، و الذى عليه جمهور أهل السنة إن الله تعالى له أن يعذب من يشاء من خلقه ابتداء و إن لم يتوجه عليه تكليف ، يدل عليه ما جاء فى الحديث من أن يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ، و معلوم أن الشاة لم يتوجه عليها تكليف و إن كان قد قيل فى الحياة إنما هو مجاز و عبارة عن المبالغة فى العدل . و سيأتى فى ترجمه القضاة لمع من أخبار أطفال المسلمين و أطفال المشركين [٥]إن شاء الله تعالى[٥] .

---

(١) ساقطة من بن . (٢) فى بن : و وضع .

(٣-٣) العبارة بأكلها ساقطة من بن .

(٤) قرآن كريم ١٧ : ١٥ .

(٥-٥) ساقطة من بن .

و نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن لطم الخدود، و شق الجيوب و ضرب الصدور، و الدعاء بالويل و الثبور. و فى الحديث: لعنت النائحة و السامعة و الشاقة جيبها و اللاطمة وجهها، و لا ينشرن شعرا، و لا يدعين ويلا. قال ابن حبيب: و قد أبيح البكاء قبل الموت و بعده ما لم يرفع به الصوت[1]، أو يكون معه كلام يكره، أو باجتماع من النساء، و بكى[2] النبي صلى الله عليه و سلم و إبراهيم ولده يجود بنفسه، فقيل[3] له فى ذلك فقال: تدمع [4]العين و يحزن[4] القلب، و لا نقول ما يسخط الرب، يا إبراهيم لو لا أنه أمر حق، و وعد صدق، و قضاء مقضى، و سبيل مأتى، و إن الآخر لاحق بالأول لحزنا عليك، و وجدنا بك[5] أشد من حزننا هذا. و إنا بك يا إبراهيم لمحزونون. ثم استرجع النبي [6]عليه السلام[6] و أكثر من حمد الله تعالى. و مر النبي صلى الله عليه و سلم بجنازة يبكى عليها من غير نياحة فانتهرهن عمر فقال عليه السلام: دعهن يا ابن الخطاب فان العين دامعة، و النفس مصابة، و العهد قريب. و فى

(١) فى بن: الموت.

(٢) فى بن: و بكا.

(٣) فى بن: و قيل.

(٤-٤) مطموسة فى بن.

(٥) فى بن: و وجدناك.

(٦-٦) فى بن: صلى الله عليه و سلم.

الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مر بيتيم يبكى فبكى[1] رحمة له ثم قال: إن[2] لميت يعذب ببكاء الحى. أى إن ذلك يحزنه و يسوءه، فكم من ميت رئى فى المنام، فقيل له: كيف حالك؟ فيقول: ساء حالى من فلان و فلانة كانا يكثران علىّ البكاء. و قال [3]عليه السلام[3]: إن الميت ليعذب ببكاء الحى عليه. قال الشيخ أبو عمران الجوراى: إنما ذلك إذا أوصاهم و قال لهم: تفعلون ذلك بعد موتى. و أما إن[4] لم يوصهم فلا لقوله تعالى: "و لا تزر وازرة وزر أخرى[5]".

فلنذكر الآن ما قيل فى تجصيص القبور و بنائها. و كره مالك [6]رحمه الله[6] تجصيص القبور [٢٤٣: الف] و البناء عليها. و إنما كره ذلك لنهى [3]النبى عليه السلام[3] عن تجصيص القبور، و لأن ذلك من زينة الدنيا و تفاخرها، و الميت غير محتاج إلى ذلك. قال الشاعر:

و ما ينفع المقبور عمران قبره
إذا كان فيه جسمه يتهدم

---

(١) فى بن: فبكا.

(٢) ساقطة من بن.

(٣-٣) فى بن: النبى صلى الله عليه و سلم.

(٤) فى بن: إذا.

(٥) وردت فى عدة آيات بالمصحف منها ٦: ١٦٤ و ١٧: ١٥ و ٣٥: ١٨ و ٣٩: ٧ و ٥٣: ٣٨.

(٦-٦) فى بن: رضى الله تعالى عنه.

عن عائشة رضى الله عنها، قالت[1]: توفيت امرأة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يضحكون منها و يمازحونها، فقلت: استراحت. فقال النبي صلى الله عليه و سلم: إن بين أيديكم عقبة كؤودا[2] لا ينجو[3] فيها إلا[4] مخف. و قال [5]رسول الله[5] صلى الله عليه و سلم: الناس أربعة و الأعمال ستة: موجبات[6]، [7]و مثل بمثل و عشرة أضعاف و سبعمائة ضعف.

موجبات[7] من مات كافرا، وجبت له النار. و من مات مسلما، وجبت له الجنة، و مثل بمثل العبد يهم بالحسنة فتكتب له حسنة، و العبد [8]يهم بالسيئة[8] فلا يجزى[9] إلا بمثلها، و العبد يعمل الحسنة فتكتب له عشرا، و العبد ينفق النفقة فى سبيل الله فتضاعف له مائة ضعف. و الناس أربعة: موسع عليه فى الدنيا، موسع عليه فى الآخرة، و موسع عليه فى الدنيا مقتور[10] عليه فى الآخرة، و شق فى الدنيا شق فى الآخرة، و سعيد

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٢) فى الأصلين: كودا.
(٣) فى بن: ينجوا.
(٤) زيد فى بن: كل.
(٥-٥) فى بن: النبي.
(٦) فى بن: موجبتان. و الكلمة مطموسة جزئيا.
(٧-٧) ساقطة من بن.
(٨-٨) فى بن: يعمل السيئة.
(٩) فى بن: يجازى.
(١٠) فى بن: مقتر.

فى الدنيا سعيد فى الآخرة . قال الشاعر :

أربعة فى الناس أبصرتهم　　أحوالهم بينة ظـاهره
فواحد دنياه منقوصـة　　من خلفه آخرة وافره
و آخر دنياه قـدامـه　　ليس له من خلفه آخره
و آخر فاز بـكلتيهما　　صحّت له الدنيا مع الآخره
[1]و آخر يبكى على حاله　　ليس له دنيا و لا آخره[1]

و لا بأس أن يوضع فى طرف القبر الحجر الواحد لئلا يحفر[2] موضعه . و لا بأس بالمشى على القبر إذا عفا أثره . فاما و هو مسنم و الطريق حوله فلا أحب ذلك لأن فى ذلك تكسير تسنيمه و إباحته طريقا . و قال ابن حبيب : و لا بأس بزيارة القبور و الجلوس عليها [3]و السلام عليها[3] عند المرور و قد فعل ذلك النبى عليه السلام وكان يقول : السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين و المسلمين ، يرحم الله المستقدمين و المستأخرين ، و إنا بكم لاحقون . اللهم ارزقنا اجرهم ، و لا تفتنا بعدهم و اغفر لنا و لهم . و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بزيارة القبور فقال عليه السلام : زوروا القبور فانها تذكر [٢٤٣ : ب] الآخرة .

عن جابر بن عبد الله[4] قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

(١-١) البيت ساقط من بن .
(٢) فى بن : يحتفر .
(٣-٣) زيدت من بن [١٨٧ : ب] و هى ساقطة من بر .
(٤) فى هامش بر : نكتة .

تحدثوا عن بنى إسرائيل فانه كانت فيهم أعاجيب . ثم أنشأ يحدث[1] قال : خرجت طائفة منهم ، فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين و دعونا الله[2] يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت ، قال ففعلوا ، فبينما هم كذلك إذ اطلع رجل رأسه من قبر بين عينيه أثر السجود ، [3]فقال يا هؤلاء، ما أردتم إلى[3] فو الله لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى[4] حرارة الموت حتى الآن ، فادعوا[5] الله أن يعيدنى كما كنت – انتهى[4] .

قال بعضهم : رأيت على قبر حجرا[6] فيه منقوش[7] :

أصبحت بقعر حفرة مرتهنا لا أملك من دنياى إلا كفنا
يا من وسعت عباده رحمته من بعض عبادك المسيئين أنا

و قال[8] بعضهم رأيت أبياتا منقوشة على حجر بقبر ملك و هى :

---

(١) فى بن : يحدثوا .

(٢) زيد فى بن : تعالى .

(٣–٣) مطموسة فى بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : فادع .

(٦) كذا فى بن ، و الكلمة فى ر : حجر .

(٧) فى بن : منقوشا .

(٨) فى بن : قال .

أنا رهن

أنا رهن التراب فى القبر وحدى و اضعا فوق لبنة الطين خدى
قد بدا الدود فى محاسن وجهى ورعى[١] فى يدى وكفى وزندى
و جرى ناظرى على صحن خدى و جفانى الصديق من بعد ودى
فأنا اليوم فى التراب ذليل بعد عز و جمع شمل و جندى[٢]
عجب[٣] للذى يرى سوء حالى كيف يلهو وكيف يلتذ بعدى

و رئى[٤] على قبر[٥] حجر منقوش فيه[٥]: اللهم إنى جئت بك إليك، و لا شيء[٦] أعز منك عليك[٦]، اللهم كما كنت دليلى عليك، فكن شفيقى إليك، اللهم إن حسناتى من عطائك[٧]، و إن سيئاتى من قضائك فجد بما أعطيت على ما بـه قضيت حتى تمحو[٨] ذلك بذلك يا أرحم الراحمين .

و قد جاء فى تعزية المصاب ثواب كثير . روى أن[٩] النبى صلى الله

---

(١) فى بن: ورعا .
(٢) فى بن: و جند .
(٣) فى بن: عجبى .
(٤) فى بر: رءى . و فى بن: روى .
(٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٦-٦) كذا فى بن، و العبارة فى بر: أعرضك عليك .
(٧) فى بن: عطاك .
(٨) فى الأصلين: تمح .
(٩) فى بن: عن .

عليه و سلم[١] كان إذا عزى يقول: بارك الله لك فى الباقى، و آجرك فى الفانى . و عزى عليه السلام امرأة فى ابنها فقال: إن لله ما أخذ و له ما أعطى، و لكل أجل مسمى، و كل إليه راجعون، فاحتسبى و اصبرى فان الصبر عند الصدمة الأولى[٢]، فمن بان صبره على عظم بلواه تضاعف أجره .

و كان ابن سيرين يقول: أعظم الله أجرك، و حسّن عاقبتك، و غفر لميتك . و احسن التعزية ما جاء فى الحديث: آجركم الله فى مصيبتكم، و أعقبكم منها خيرا، إنا لله و إنا إليه راجعون . و من نزلت به مصيبة فقال: إنا لله و إنا إليه راجعون، اللهم آجرنى فى مصيبتى، و اعقبنى خيرا منها، و اغفر لى سيئها [٢٤٤ : الف] و ما كان من توابعها، و ما اتصل بها، و ما هو محشو[٣] فيها، و كل شىء كان[٤] قبلها و ما كان[٥] بعدها، قال بعض الصالحين: فقلتها فهانت على تلك المصيبة فلو أن الدنيا كلها كانت لى فى ذلك الوقت و أصبت فيها لهانت علىّ

(١) زيد فى بن: أنه .

(٢) زيد فى بن: قال عمارة اليمنى هى الصلوة الأولى .

(٣) فى بن: محشور .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن: يكون .

و لكان ما وجدت من برد الرضى[١] و التسليم أحب الى من ذلك الكتاب[٢] كله[٣] . و لبعضهم فى المعنى[٤] :

إذا نزلت بساحتك المنايا[٥] فلا تجزع لها جزع الصبي
فان لكل حادثة عزاء بما قد كان من فقد النبى

و قال أبو الحسن الشاذلى : كل مصيبة يرجى ثوابها ، و لا يخاف[٦] عقابها . [٦]و قال أيضا : من قال على مصيبة نزلت به اللهم أجرنى فى مصيبتى ، و أعقبنى خيرا منها . قال : فألق[٧] على و اغفر لى سيئها ، و ما كان من توابعها ، و ما اتصل بها ، و ما هو محشو فيها ، و كل شىء كان قبلها ، و ما يكون بعدها . فقلتها فهانت على ، فلو أن الدنيا كانت لى فى ذلك [الوقت-[٨]] و أصبت فيها لهانت على ، و لكان ما وجدت من برد الرضى و التسليم أحب إلى من ذلك كله .

[٩] قال بعضهم كنا فى جنازة عبد الله بن الحارث ، فاذا امرأة تقول

(١) فى بن . الرضا .
(٢) كذا فى الأصلين : وقد تكون كلمة « الكتاب » زائدة .
(٣) ساقطة من بن .
(٤) مطموسة فى بن [١٨٨ : الف] .
(٥) فى بن : الرزايا .
(٦) العبارة من هنا إلى « قال بعضهم كنا فى جنازة » ساقطة من بن .
(٧) فى الأصل : فألقى .
(٨) الكلمة غير موجودة بالأصل ، و تكتمل بها الجملة و المعنى .
(٩) يستأنف هنا الكلام فى بن [١٨٨ : الف] كما هو فى بر .

يا حرّا عليك، و يا شوقا إليك. فسألت عنها، فقيل إن ابنها مات. فقلت: يا أم عبد الله إن عبد الله كان بعض البشر. قالت: بل كان ظهرا فانكسر، و جارا حرا ينتظر، و إن فى ثواب الله لعزاء على القليل، و عوضا من الجليل. قال: فما ذكرنا حسن التعزى، إلا خطر ببالنا قولها.

و عزى بعضهم آخر فقال: المصيبة[1] فى غيرك لك ثوابها، خير من مصيبة فيك لغيرك أجرها. و عزى بعضهم فقال: سرك ولدك حيا و هو عدو و فتنة، ثم أحزنك و هو صلة و رحمة. و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إذا مات ولد العبد قال الله عز و جل للملائكة: قبضتم ولد عبدى، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: فما ذا قال عبدى، فيقولون[2]: حمدك و استرجع، فيقول: ابنوا له بيتا فى الجنة و سموه بيت الحمد. ذكره الترمذى، [3] و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما يصيب المسلم من نصب و لا وصب و لا همّ و لا حزن و لا أذى و لا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه، ذكره مسلم.

و من بلغه موت أخيه المسلم فترحّم عليه و استغفر له، كتب له كأنه شهد جنازته و صلى عليه. و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: [٢٤٤: ب] مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء، ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ[4] أو قريب، و إنه ليدخل على قلوب

(١) فى بن: لمصيبة.

(٢) فى الأصلين: فيقول.

(٣) بهامش بر: الصبر على المصيبة.

(٤) فى بن: و أخ.

الأموات من دعاء الأحياء مثل الجبال . و قال بعض السلف : الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت معه[1] طبق من نور عليه منديل ، فيقول هذه[2] هدية لك من أخيك فلان ، من عند قريبك فلان ؛ فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية .

و ذكر أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة من ابنه أو صديقه ، فاذا لحقته كان أحب له من الدنيا و ما فيها ، و إن الميت كالحي فيما يعطاه و يهدى إليه ، بل الميت أكثر و أكثر ، لأن الحي قد يستقل ما يهدى إليه ، و يستحقر ما يتحف به . و الميت لا يستحقر شيئا من ذلك و لو كان مقدار جناح[3] بعوضة أو وزن مثقال الذرة لا[4] يعلم قيمته ، و قد كان يقدر عليه فضيّعه . و مما يدل على صحة ما [5]يهدى الحي[5] للميت . قوله [6]عليه السلام[6] : إذا مات المرء انقطع عمله[7] إلا من ثلاثة[8] : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ؛ فهذا دعاء الولد يصل والده ينتفع به ، و ما ذلك إلا أن يكون الدعاء لهم[9] . و السلام

(١) كذا في بن ، و هي في بر : و عليه .
(٢) في بن : هذا .
(٣) في بن : لجناح .
(٤) في بن : لأنه .
(٥-٥) في بن : يجيء .
(٦-٦) في بن : صلى الله عليه وسلم .
(٧) في بن : عليه .
(٨) في بن : ثلثة .
(٩) ساقطة من بن .

عليهم ، يصل إليهم[١] و يأتيهم - و الله أعلم .

و مما يدعى[٢] به لأهل القبور أن يقول : أمن الله روعتكم ، آنس الله وحشتكم ، رحم الله غربتكم ، قبل الله حسناتكم ، تجاوز الله عن سيئاتكم.

[٣] قال عتبة بن هارون : كنت مع فضل الرقاشي فمر بقبر فقال : يا أهل القبور الموحشة ، و المحال الوعرة ، التي نطق بالخراب فناؤها ، و شيد في التراب بناؤها ، فحلها مقترب ، و ساكنها مغترب ، أهل منازل متشاغلين لا يتواصلون تواصل الإخوان ، و لا يتزاورون تزاور الجيران ، قد طنتم بكلكلها البلاد ، و أكلهم الجندل و الثرى[٣] . و الحذر من شتم الحي للميت . قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا شتم الحي الميت فكأنما قتل سبعين[٤] نبيا[١] ، و كأنما قتل أمه و أباه ، و كتب الله عليه بكل نجم في السماء ستين خطيئة ، أصغرها كمن قتل مؤمنا متعمدا ، و يضيق عليه قبره ، و يفتح عليه من قبره بابا من العـــذاب ، و لا يستجاب له دعاء ، و يعاقب في الأرض[٥] كما يعاقب شاهد الزور و مدمن الخمر ، و يلعنه كل ملك بين السماء و الأرض ، و لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من النار فان تاب تاب الله عليه .

---

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : يدعا .

(٣ - ٣) هذه العبارة ساقطة من بر و واردة في بن [١٨٨ : الف - ب] و بها بعض غموض و قد نقلناها كما هي في الأصل .

(٤) في بن [١٨٨ : ب] : ستين .

(٥) في بن : الآخرة .

و قال أبو هريرة قال[1] رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا رفع الله عذاب أهل القبور خربت قبورهم ، فاذا رأيتموها خرابا ، فاعلموا أن الله قد غفر لأصحابها ، فاستغفروا ربكم و اسألوه أن يرحمكم . و قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن فى الجنة موضعا يقال [٢٤٥:الف] له سوق المؤمنين ، ليس فيه شراء و لا بيع ، و لكن يجتمع إليه المؤمنون كل جمعة ، يتحدثون بما كانوا يعملون فى الدنيا ، ثم ينادى مناد[2] من تحت العرش : هلموا يا أمة محمد إلى زيارة الرحمن ، قال فيركب كل واحد منهم على ناقة قوائمها من الزعفران ، و ساقها من العنبر ، و بدنها من المسك ، و عنقها من كافور أبيض ، و رأسها من در ، و عيناها ياقوتتان حمراوتان ، و سرجها من نور ، و فوق السرج قبة مضروبة من سندس أخضر ، يزورون الرب كل جمعة مرة كزيارتكم إلى المسجد الجامع . و فى الموطأ أن سعيد بن المسيب كان يقول : إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده ، و قال[3] بيده نحو السماء يرفعها (كذا) . و ذكر[4] أبو داود من حديث بريدة بن خصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان زيارتها تذكرة . و فى الحديث من زارنى ميتا ، فكأنما زارنى حيا . و فى الحديث : اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم أعدوا قبور أنبيائهم مساجد .

(١) مكررة فى بن .

(٢) فى بن : منادى .

(٣) كذا فى الأصلين ، و الغالب أن الكلمة « و أشار » .

(٤) فى هامش بر : زيارة القبور .

[١] عن عائشة رضى الله عنها ، قالت لما اشتكى النبى صلى الله عليه و سلم ذكر بعض نسائه كنيسة رأتها بالحبشة يقال لها مارية و كانت أم سلمة و أم حبيبة أتيا أرض الحبشة فى الهجرة الأولى مع من هاجر إليها فذكرتا من حسنها و تصاويرها ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم : أولئك الذين إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله . قال : و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فى مرضه الذى لم يقم منه : لعن الله اليهود و النصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالت : و لو لا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا . قال الشيخ محي الدين النووى : لا يجوز الطواف بقبر النبى صلى الله عليه و سلم ، و يكره إلصاق البطن و الظهر بجدار القبر ، قاله الحليمى . و غيره و قال : و يكره مسحه باليد و تقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضره فى حياته صلى الله عليه و سلم ، هذا هو الصواب و أطبقوا عليه . قلت قال مالك فى رواية ابن وهب : إذا سلم أحد على النبى صلى الله عليه و سلم يقف و وجهه إلى القبر لا إلى القبلة و يدنو و يسلم و لا يمس القبر . قال بعض المتأخرين : لمس القبر و تقبيله من فعل اليهود و النصارى [١] . يروى من حديث عائشة أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم . و كان النبى صلى الله عليه و سلم إذا أتى المقابر قال : السلام عليكم أهل الديار من

(١-١) هذا الجزء بأكمله ساقط من بر و وارد فى بن [١٨٨ : ب] .

المؤمنين و المسلمين ، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم لنا فرط[1] و نحن لكم تبع ، أسأل الله العافية لى و لكم . و كان عليه السلام يعلمهم مثل هذا أن يقولوه إذا دخلوا المقابر . و هذا يدل على أن الميت يعرف سلام من يسلم عليه ، و دعاء من دعا له . و قد أجمع المسلمون على الدعاء و الصدقة يصل ثوابهما للميت : فسبيل الابن البار بوالديه ، العارف بما لهما عليه من الحقوق ، أنه لا يخليهما من الدعاء .

[2]روى فى بعض الآخبار عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: أهدوا إلى موتاكم رحمكم الله . قالوا : و ما نهدى يا رسول الله ؟ قال : الصدقة و الدعاء . ثم قال صلى الله عليه و سلم : إن أرواح المؤمنين ترقى كل ليلة جمعة إلى السماء الدنيا ، فيقفون بازاء دورهم و بيوتهم ، و يشرفون على أبنائهم و ذراريهم ، فينادى كل واحد منهم بصوت حزين « يا أهلى يا ولدى و يا أهل بيتى و قراباتى ، تعطفوا علينا يرحمكم الله ، و اذكرونا و لا تنسونا ، و ارحموا غربتنا و قلة حيلتنا و ما قد دفعنا إليه و ما نحن فيه ، قد وقعنا فى بحر عميق ، و سجن وثيق ، و قد أضر بنا المقام تحت هذه الأرض . و نحن فى هم شديد و فقر طويل و غم ما عليه من يد ، فارحمونا رحمكم الله ، و لا تبخلوا علينا بالدعاء ، لعل الرحمن يرحمكم قبل أن تصيروا منا . يا عباد الله اسمعوا كلامنا و لا تنسونا ، و اعلموا أن

---

(١) فى بن : فرطا .

(٢) من هنا إلى قوله « ثم يرجعوا » أيضا ساقط من بر و وارد فى بن .

هــذه القصور التى فى أيديكم قد كانت فى أيد(ينا)، و المنازل التى أنتم فيها قد كانت لنا. فتعطفوا علينا بصدقة درهم أو لقمة من خبز أو كلمة طيبة أو بدعوة حسنة، لعل الرحمن أن يستجيب فينا، فلا يزالوا إلى آخر النهار من يوم الجمعة ثم يرجعوا.

و روى عن الفضيل بن موفق رحمه الله قال: كنت آتى قبر أبى المرة بعد المرة و أكثر ذلك، فشهدت يوما جنازة فى المقبرة التى دفن فيها، فتعجلت لحاجتى فلم آته، فلما كان فى الليل رأيته فى المنام فقال لى: يا بنى لِمَ لَمْ تأتنى؟ قلت: يا أبتى[1] و إنك لتعلم بى إذا أتيتك؟ فقال: و الله يا بنى إنك لتأتينى، فما أزال أنظر إليك حــتى تجوز القنطرة.

و روى ابن عيينة[2] أنــه قال: إن ابن آدم يستوحش فى ثلاثة مواطن، يوم يولد فيخرج إلى دار الدنيا، و ليلة يبيت مع الموتى فيجاور جيرانا لم [٢٤٥ : ب] يجاور مثلهم[3]، و يوم يبعث فيشهـد مشهدا لم ير مثله قط. قال الله تعالى ليحيى بن زكريا فى هذه الثلاثة مواطن: "و سلٰم عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا[4]" و قال النبى

(١) فى بن: يا أبت.

(٢) بهامش بر: ابن آدم يستوحش فى ثلاث.

(٣) فى بر: مثلهن. و صوابه فى بن كما أو ردنا بالنص.

(٤) قرآن كريم ١٩: ١٥ و قد وردت الآية فى بن " و السلٰم علىّ يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا" و هى أيضا من سورة مريم ١٩: ٣٣.

صلى الله عليه و سلم: الموت كفّارة لكل مسلم، و تحفة المؤمن الموت. و قال مطرف بن عبد الله: إن هذا الموت قد نغض عــلى أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيما لا موت فيه. و قال الحسن: فضح الموت الدنيا فلم يترك ١ بها لذوى ١ عقل فرحا. ٢ و قال بعضهم:

قد رأينا أهلك الموت قبلنـا خلقا لخلقا
درجوا قرنا فقرنا و بقى من ليس يبقــا

و لبعضهم:

يا واضع الميت فى قبره خاطبك القبر و لم تفهم

و لبعضهم:

و كيف يلذ العيش لمن هو عالم بأن إله الحق لابد سـائله
فيأخـــذ من ظلمه لعبـاده و يجزيه بالخير الذى هو فاعله ٢

و قال أبو العتاهية:

إن من ترى لا يبقى أفنت المنـايا الخلقا
أفنت المنايـا الغربا أفنت المنـايا الشرقا
إن للمنـايـا طعنـا ٣ إن للمنـايـا خـرقا
إن للمنـايا خطفـا إن للمنـايا خنـقـا
إن للمنـايا سبقا تسبـق المنايا سبقـا

(١-١) فى بر: لها بذوى. و الأصح فى بن كما أوردنا بالنص.
(٢-٢) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن.
(٣-٣) الشطران ساقطان من بر و واردان فى بن.

و كان سبب توبة أبى العتاهية و تصدّيه لنظم الشعر فى الزهد فى الدنيا أنه كان يحب جارية لأمير المؤمنين الرشيد[١] تسمى عتبة ، و كانت عتبة تكرهه، و جرى له فى محبتها أمور يطول شرحها ، فقال فيها أشعارا[٢] كثيرة منها ، [٣]هذه الأبيات[٣] :

الله بينى و بين مولاتى أهدت[٤] لى الصدود و الملالاتى
منحتها مهجتى و خالصتى فكان هجرانها مكافاتى
هيّمنى حبها و صيّرنى أحدوثة ما بين جاراتى

قال فبينما أنا نائم بعد نظم هذه الأبيات ، و إذا بآت أتانى و قال لى : ما كفاك أن تجعل بينك و بين عتبة معينا على المعصية إلا الله تعالى بقولك «الله بينى و بين مولاتى» . قال[١] : فانتبهت من نومى مذعورا و تبت من ساعتى . و تصديت لنظم الشعر فى الزهد فى الدنيا و ذكر الموت .

قال الأصمعى : بعث إلىّ أمير المؤمنين هارون الرشيد و قد زخرف مجالسه و بالغ فيها و فى مباينها ، ثم وجه إلى أبى العتاهية فأتاه ، فقال : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا ، فأنشده[٥] يقول :

---

(١) الكلمة ساقطة من بن .
(٢) كذا فى بن . و هى فى بر : أشعار .
(٣-٣) الكلمتان ساقطتان من بن .
(٤) فى بن : أعدت .
(٥) فى بن [١٨٩ : ب] : فأنشأ .

عش ما بدا لك آمنا   فى ظل شاهقة القصور[1]

فقال : أحسنت ، ثم ما ذا ؟ فقال :

يسعى إليك بما اشتهيت لدى[2] الرواح وفى[3] البكور

[٢٤٦ : الف] فقال[4] : حسن[5] ، ثم ما ذا ؟ فقال :

فاذا النفوس تقعقعت   فى ضيق حشرجة الصدور
فهناك[6] تعلم موقنا   ما كنت إلا فى غرور

فبكى[7] الرشيد ، وعملت فيه الموعظة . فقال الفضل بن يحيى البرمكى لأبى العتاهية : بعث إليك [8]أمير المؤمنين[8] لتسره فأحزنته . قال الرشيد : دعه فانه رآنا فى عمى ، فكره أن يزيدنا عمى . قال ابن الحصين : وإنما حسن موقع الموعظة من أبى العتاهية لأنه قد تنسك وتاب من نظم الغزل وما يشبهه ، وصرف[9] شعره[3] فى الزهد وذكر الموت – انتهى .

(١) كذا فى بن ، وهى فى بر : الصور .
(٢) فى بر : لذى . وفى بن : الدا .
(٣) ساقطة من بن .
(٤) زيد فى بن : الرشيد .
(٥) فى بن : أحسنت .
(٦) فى بن : فقال .
(٧) فى بن : فبكا .
(٨-٨) فى بن : الرشيد .
(٩) فى بن : وأخذ .

[١]قال بعضهم لغزا فى نعش:

أتعرف شيئا فى السماء نظيره إذا سار سار الناس[٢] حيث يسير
فتلقاه مركوبا و تلقاه راكبا و كل أمير [٣]....... أسير
يحض على التقوى و يكره ذمه و تنفع منه النفس و هو نذير
و لم يستزر عن رغبة فى زيارة و لكن على رغم المزور يزور[١]

و اعلم أن الليل و النهار مراحل يفنيان بمرهما الآجال، و يقطعان بتعاقبها الآمال. قال بعضهم لغزا[٤] فيها:

ما أسود فى جوفه أبيض و أبيض فى جوفه أسود
ما اجتمعا قط و لا فرقا كلاهما من ضده يولد

فاستعدوا يا غافلين للموت بقطع مراحلها، فانهما لم يزالا يرحلان بالخلق بسيرهما حتى يفنيانهم بأجمعهم. قال الشاعر:

الليل شيّب و النهار كلاهما رأسى بكثرة ما تدور رحاهما
يتناهبان لحومنا و دماءنا و شحومنا[٥] ذابا و نحن نراهما

و لبعضهم فى الليل:

الليل مكحول الجناح كأنما[٦] كحل العيون ظلامه بالإثمد

(١ – ١) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن.
(٢) زيد فى الأصل: من، و سقوطها واجب لوزن الشعر.
(٣) فى الأصل كلمة غير منقوطة لا تقرأ.
(٤) فى بر: لغز، و الصحيح فى بن كما أوردنا.
(٥) فى بن: أبداننا.
(٦) فى بن: كأنها.

و كأن أنجم ليله لما[١] بدت[٢] للناظرين مسامرا من عسجد

و قال ابن عبدون الكاتب فى مرثيته التى [٣]ذكر فيها[٣] الملوك و قبائل العرب السالفة ، و الأجيال البادية[٤] ، الذين وردوا حياض الحمام بعد أن لعبت بهم الليالى و الأيام :

أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة عن [٥]نومة بين ناب[٥] الليث و الظفر
فالدهر حرب و إن أبدى مسالمة و البيض و السمر بين البيض و السمر
ما لليالى أقال الله عثرتنا[٦] من الليالى و خانتها يد القدر
فى كل حين لنا فى كل جارحة منها جراح و إن زاغت عن البصر
تسر بالشىء لكن كى تغر[٧] به كالأيم ثار على الجانى من الزهر

قال[٨] [٢٤٦ : ب] الأيم ضرب من الحيات تختفى فى ناحية من الشجرة فاذا أتى من يقتطف من ثمرها أو زهرها ثارت عليه[٩] ضربته فمات من سمها – انتهى[٨] .

---

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى بن : ابدت

(٣–٣) فى بر : ذكرها فى . و صحتها فى بن كما أوردنا بالنص .

(٤) كذا فى الأصلين ، و أغلب الظن أنها « البائدة » .

(٥–٥) فى بن : نومه بين ذاب .

(٦) فى بن : عثرتها .

(٧) فى بن : تغر .

(٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٩) ساقطة من بر و واردة فى بن ، و زيد عليها فى الأخيرة « الحية » .

[1]نعود إلى آخر[1] :

كم دولة وليت بالنصر حومتها[2]   فلم تدعها و سل ذكراك من خبر
هوت بدارا و فلّت عرب قاتله   و كان غصبا على الأملاك ذا أثر
و استرجعت من بنى ساسان ماوهبت   و لم تدع لبنى يونان من أثر
و اتبعت أختها طسما و عاد على   عـاد و جرهم منها ناقض المدر
و ما أقالت ذوى[3] الهيئات من يمن   و لم[4] تراع[5] ذوى الغايات من مضر
و مزقت سبأ فى كل قاصيـــة[6]   و ما التقى[7] رائح[8] منهم بمبتـكر
و أنفدت فى كليب حكمها و رمت   مهلهلا بين سمع[9] الأرض و البصر
و دوّخت آل ذبيان و إخوتهم   عبسا و عضت بنى بدر على النهر
يوم القليب بنو[10] بدر[11] فنوا وغدوا[11]   قليب بدر بمن فيه إلى سقر

و هذه المرثية طويلة مشروحة فى مجلد كبير، و سأذكر بعض ما وقفت

(١ - ١) ساقطة من بن .
(٢) كذا فى بن ، وهى فى بر : خدمتها .
(٣) فى بن : ذو .
(٤) فى بن : فلم .
(٥) فى الأصلين : تراعى .
(٦) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : قاضية .
(٧) فى بن : التقا .
(٨) فى بن : واضح .
(٩) فى بن [١٩٠ : ألف] : سمبع .
(١٠) فى الأصلين : بنوا .
(١١ - ١١) فى بن : فتواعدوا .

عليه

عليه فى[1] شرحها [2]إن شاء الله تعالى[2] .

قيل بينما داود عليه السلام يسيح فى الجبال إذ رأى قبرا كبيرا و عند رأسه حجر منقوش فيه: "أنا دويسم ملك الروم، ملكت الدنيا ألف سنة، و فتحت ألف مدينة، و تزوجت ألف بكر من بنات الملوك، و قتلت ألف جبار، فمن رآنى فلا يغتر بالدنيا، فما كانت إلا كحلم نائم، ثم صرت إلى ما ترى، فصار التراب فراشى، و الحجارة وسادى".

و قيل[3] إن سليمان[4] عليه السلام مر بقصر عظيم البناء، و إذا هو بنسر على القصر عظيم الخلقة، فقال له سليمان[4]: ما اسمك؟ قال: معمر. قال[5]: كم سنك؟ قال: ألف و خمسون سنة. قال: فهل رأيت أحدا بهذا القصر؟ قال: لا يا نبى الله. قال: هل تعرف له بابا؟ فقال[6]: نعم أعرف له بابا من الحديد الصينى. فقال سليمان[4]: و أين هو؟ قال: ردمته الرياح بالتراب السافى عليه. فأمر سليمان[4] الريح أن ينسف التراب من حول القصر فنسفه[7]، فظهر له باب من الفولاذ[8]، ففتحه و دخل

(١) ف بن: من .
(٢ – ٢) ساقطة من بن
(٣) ف بن: قيل ، و بهامش بر: نكتة .
(٤) ف بن: سليمن .
(٥) ف بن: فقال .
(٦) ف بن: قال .
(٧) ف بن: فنسفته
(٨) ف بر: الفولاد .

إلى[1] القصر، فنظر فى وسطه قبرا من الرخام طوله أربعون ذراعا، وعند رأسه لوح مكتوب فيه:

[2] كم قد وقفت وكم قتلت ... وكم ركبت الصافنات[2]
كم قد أكلت وكم شربت[3] ... وكم[4] لبست الناعمات
وكأنى بك قد فقدت ... وسيل[5] عنك فقيل مات [٢٤٧ : ألف]

وذلك [6]أنى مت جوعا[6]، فطحنا الدر، لعدم البر، فلم يغن عنا شيئا، فأنا شداد بن عاد، ركبت فى ألف ألف من الأجناد، وملكت سائر البلاد، وبنيت مدينة ارم ذات العماد، التى ما بنى مثلها فى البلاد، فلما أتانى الموت لم يغن عنى ذلك شيئا، وها أنا فى قبرى أشقى بما ألقى. قال بعضهم [7]فى المعنى[7]:

أين الملوك التى عن خطبها غفلت ... حتى سقاها بكأس[8] الموت ساقيها

---

(١) ساقطة من بن.

(٢ - ٢) البيت ساقط من بر و وارد فى بن.

(٣) فى بر: وقفت. وصحتها فى بن كما أوردنا بالنص.

(٤) زيد قبلها فى بر: وكم شربت وهى زائدة وصحة البيت فى بن كما أوردنا بالنص.

(٥) بمعنى « سئل ».

(٦ - ٦) فى بن: اننا جعنا.

(٧ - ٧) ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٨) فى بن: كأس.

نلهو و نأمل آمالا تُعد لنا   شريعة[1] الموت تطوينا[2] و نطويها

[3]و سيأتى ما قاله فى المرثية من قتل دارا ملك فارس و من قتله ، و قد تقدم ذكر ساسان ملك فارس فأغنى عن إعادته . و سيأتى ذكر مُلك[4] اليونان [5]و طسم وجديس[5] و جرهم و هم العرب العاربة . و تقدم أيضا ذكر سبأ فأغنى الإعادة ، و سيأتى ذكر كليب و مهلهل و آل ذبيان و عبس[6] فى مواضع ذكرهم إن شاء الله تعالى[3] .

قال بعض الصالحين : رأيت راهبا فقلت له : يا راهب كيف اخترتم لباس السواد ، و تركتم لباس البياض ؟ فقال : لأن السواد لباس أهل المصائب . قلت : و أى مصيبة[7] عندكم ؟ قال[8] : و أى مصيبة أعظم من ارتكاب المعاصى و الذنوب على أهلها ! فقلت[9] : ألكم عيد ؟ قال : نعم [10]كل يوم[10] لا يُعصى الله فيه فهو عيد ، و كل يوم نصبح

(١) فى الأصلين : سريعة .

(٢) فى بر : تطرينا . و فى بن : يطوينا .

(٣-٣) هذه العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) وردت الكلمة فى الأصل بعد «اليونان» ، فصححنا موضعها لإستقامة الجملة .

(٥-٥) فى الأصل : طسما وجديسا .

(٦) فى الأصل : عبسا .

(٧) فى بن : مصائب .

(٨) فى بن : قالوا .

(٩) فى بن : قلت .

(١٠-١٠) ساقطة من بن .

فيه[1] نقول ما نمسى فيه[2]، و كل ليل[3] نمسى فيه[2] نقول ما نصبح منه[4]، بل نرقب[5] الموت، فهذه الدنيا ليس لأحد فيها[6] بقاء، و عاقبة أمرها للفناء.

و جاء فى الأثر أن النبي صلى الله عليه و سلم أخذ[7] بيد أبى هريرة و أتى إلى مزبلة فيها رؤس و خرق بالية و عذرات و عظام نخرة، فقال: يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا بأجمعها، هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم، و تأمل كأملكم، ثم هى اليوم عظام نخرة. و هذه العذرات ألوان أطعمتهم[8] التى اكتسبوها من حيث اكتسبوها، ثم قذفوها من بطونهم، و هذه الخرق البالية كانت لباسهم و رياشهم، و العظام عظام[9] دوابهم، كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد، فصارت كما ترى فمن كان باكيا على الدنيا فليبك! قال بعضهم:

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتن و لو عمّرت ما عمر نوح
بين عينى كل حى علم الموت يلوح

فالسعيد من تهيأ و عمل[10] للآخرة، و اشتغل بذكر الموت عن لهو الدنيا

---

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن. (٢) ساقطة من بن.
(٣) كذا فى بن، والكلمة فى بر: يوم. (٤) فى بن: فيه.
(٥) فى بن: نرتقب. (٦) فى بن: لها.
(٧) فى بن: أتى. (٨) فى بن: أطعمتكم.
(٩) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(١٠) ساقطة من بن [١٩٠ : ب].

المدبرة . قال النبي صلى الله عليه و سلم: أكثروا من ذكر هادم اللذات، فانكم إن ذكرتموه فى ضيق وسّعه عليكم، و إن ذكرتموه فى غنى بغّضه لكم . و قال شقيق البلخى : من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، و من غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار[١].

و اعلم أن الموت لا يهجم [٢٤٧: ب] فى وقت مخصوص دون وقت فيعلم ذلك فيرتقب[٢]، لكنه يهجم بصولته، و يأتى المرء على طمانينته و غرته، لا يأتى فى صيف دون شتاء، فيؤمن فى الشتاء، و لا شتاء دون صيف[٣]، فيؤمن فى الصيف، و لا فى هرم فيؤمن فى الشيبة . فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا التى لا تفوت، و مثل لنفسك قرب الموت و فجأته و شدائده و سكرته[٤]، و لا تكن كالحمقاء الذين يفرحون كل يوم بزيادة أموالهم مع نقص أعمارهم، [٥]كما قال[٥] بعضهم :

يبشرنى الهلال بنقص عمرى　　و أفرح كل ما هلّ الهلال
و أفرح كل ما يزداد مالى　　و لا أخشى النوائب والزوال[٦]

---

(١) زيد فى بن: انتهى .
(٢) زيد فى بن: له .
(٣) فى بن: شتاء دون صيف .
(٤) فى بن: و سكره .
(٥-٥) فى بن: كقول .
(٦) فى بر: و الزوالى .

واعلم يا هذا أن العاقل لا يفرح[1] إلا بزيادة علم أو [2]عمل صالح يعمله[2] فانهما رفيقاه يصحبانه[3] حين[4] يتخلف عنه أهله وماله وولده . واعلم أنك إن نظرت فى المال ، فالمال غاد ورائح ولا أصل له ، ففى اليهود والنصارى من هو أكثر مالا منك ، وإن طلبت العلو ونفاذ الكلمة والأمر ، ففى إجلاف[5] الأتراك وحماقة الأكراد من استولى عليك وجاهه أعظم من جاهك ، وإن تنعمت فى الأكل فالحمار أكثر أكلا منك ، وإن تنعمت[6] بالوقاع[7] فالخنزير أكثر وقاعا منك ، وإن طلبت القناعة فهذه رتبة لا يساهمك فيها إلا الأنبياء والأولياء ، فانظر لنفسك أن تقتدى بمن لا دين له ولا عقل ، أو بمن هو أعز عند الله تعالى .

[8]لله در القائل حيث يقول[8] :

ولو كانت الدنيا ثوابا لمحسن إذا لم يكن فيها معاش لظالم
فقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبعت فيها بطون البهائم

---

(١) زيد فى بن : أبدا .
(٢ - ٢) ساقطة من بر وواردة فى بن .
(٣) فى بن : يصحبناه .
(٤) فى بن : حيث .
(٥) فى بن : اخلاف .
(٦) فى بن : تمتعت .
(٧) كذا فى بن ، وهى فى بر : فى الوقاع .
(٨ - ٨) فى بن : قال بعضهم .

و لبعضهم :

فضول العيش أكثرها هموم   و أكثر ما يضرك ما تحب
فلا يغررك زخرف ما تراه   و عيش ليّن الأعطاف رطب
إذا ما بلغــة جاءتك عفوا   فخذها فالغنى مرعى و شرب
إذا اتفق[1] القليل و فيه سلم   فلا ترد الكثير و فيه حرب

و قال ابن الفارض :

يظن الفتى لذات دنياه نعمة   ، ما هى إلا نقمة فى الحقيقة

[2]إذا رأيت سعة الدنيا عند أهل المعاصى فاعلم أنها حظهم و الآخرة عند ربك للمتقين[2] !

عن الضحاك[3] بن سفيان[4] الكلابى قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [٢٤٨ : الف] يا ضحاك ما طعامك ؟ قلت : اللحم و اللبن . قال : ثم يصير إلى ما ذا ؟ قلت : إلى ما قد علمت يا رسول الله . قال : فان الله[5] جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا . قال بعضهم فى الدنيا و طلبها :

يا خاطب الدنيا دنا فراقها   زواجها أقرب أم[6] طلاقها

(١) فى بن : انفق .
(٢ – ٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٣) بهامش بر : نكتة .
(٤) فى بن : سفين .
(٥) زيد فى بن : تعالى .
(٦) فى بن : من .

وكل من[1] يطلبها قرينه يا ويحه قد بُنُـه صداقها

و قال بعضهم: لو قيل للدنيا صِفِى نفسك ما تعدّت هذا البيت:

و من يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الأصابع

قال بعضهم : الدنيا مغارة لا تصلح للتوطن . إن البـدر إذا . . . حمل إلى دار الإقامة . الدنيا كامرأة فاجرة لا تلبث مع زوج و لذلك عيب طلاقها ، فكلما تزوجت الدنيا بزوج طلقها الموت ، فالدنيـا من الموت طالق من ينقض عدتها . شعر :

ميّزت بين جمالها و فعالهـا فاذا الملاحة بالخيانة لم تف

حلفت لنا أن لا تخون عهودها فكأنها حلفت (لنا) ألا تفى

الدنيا قنطرة على نهر الهلاك ، فخذ بالحزم فى تعلم السباحة قبل الجواز فتأمن عثور قدم و لا عاصف قاصف آمن ما يكون منها فانتظر حزنها أسرّ ما يكون بها . صاح على بن أبى طالب بالدنيا : طلقتك لا رجعة لى فيك . و قد كانت تكفى طلقة واحدة . و لكنه أكد طلاقها لئلا يتصور الهوى جواز المراجعة و طبعه الكريم يأنف من المحل[2] .

دخل الامام فخر الدين الرازى[3] المتقدم ذكر ترجمته[3] على الملك صاحب

---

(۱) ساقطة من بن .

(۲ – ۲) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن ، أدرجناه بالنص رغم ما فى بعض عباراته من غموض . ثم أضفنا كلمة « لنا » فى الشطر الثانى من البيت الثانى لإحكام ميزانه [بن ۱۹۰ : ب – ۱۹۱ : الف] .

(۳ – ۳) ساقطة من بن [۱۹۱ : الف] .

خوارزم ، فسأله الملك أن يعظه ، فوعظه[1] بوعظ[2] قال فى خــلاله : يا سلطان لا سلطانك يبقى و لا تلبيس الرازى و إن مردّنا إلى الله .

عن عبد الله بن مسعود [3]رضى الله عنه[3] عن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إن بنى إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى عليه السلام ، فقام[4] ليلة يصلى فى القمر فوق بيت المقدس ، فذكر أمورا كان ضيعها ، فخرج فتدلى بسيب[5] ، فأصبح السيب[6] معلقا و قد ذهب . قال فانطلق حتى أتى قوما على شط البحر ، فوجدهم يضربون لبنا أو يصنعون لبنا ، فسألهم كيف يأخذون على هذا اللبن . قال فأخبروه فلبن معهم ، يعنى صنع معهم الطوب ، فكان يأكل من عمل يديه[7] فاذا كان حين الصلاة قام يصلى ، فرفع ذلك العمال إلى دهقانهم ان فينا رجلا يصنع كذا و كذا ، فأرسل إليه فأبى أن يرائيه[8] ثلاث مرات ، ثم إنه[1] جاءه[9] يسير على

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : بوعظة .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : فقال .

(٥) فى بن : بسبب . مطموسة جزئيا .

(٦) فى بن : السبب .

(٧) فى بن : يده .

(٨) فى بن : يأتيه .

(٩) مطموسة جزئيا فى بن .

دابته ، [١]يعنى الدهقان[١]، فلما رآه فر منه ، فاتبعه الدهقان فسبقه ، فقال : أنظر أكلمك. قال فقام حتى كلمه ، فأخبره خبره ، و أنه كان ملكا ، و أنه فر من رهبة ربه . قال الدهقان : إنى لأظننى[٢] لاحقا بك . قال فاتبعه فعبدا الله حتى ماتا[٣] برميلة مصر . قال عبد الله بن مسعود : لو انى كنت ثم لاهتديت إلى قبريهما ، من صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم التى وصف لنا[٣] . خرّجه البزار

و قال أمير المؤمنين هشام[٤] بن عبد الملك : أكلت الحلو و الحامض حتى ما أجد لهما طعما[٥] ، و شممت الطيب حتى ما أجد لهما ريحا[٦] ، و أتيت النساء حتى ما أبالى أحائطا أتيت أم امرأة . فقيل له : ما بقى من لذتك و سرورك[٧] ؟ فقال : محادثة الإخوان على التلال العفر فى الليالى القمر ، و لما دخل محمد بن واسع سيد العبّاد [٢٤٨ : ب] فى زمانه على بلال بن أبى بردة أمير البصرة ، وكان ثوبه إلى نصف ساقه . قال له بلال : ما هذه الشهرة يا ابن واسع . قال له : أنتم شهرتمونا . هكذا كان لباس من

(١ - ١) العبارة ساقطة من بن .

(٢) فى الأصلين : لأظنى .

(٣) مطموسة فى بن .

(٤) الخليفة الأموى و خلافته ١٠٦ - ١٢٦ هـ = ٧٢٤ - ٧٤٣ م .

(٥) فى بن : طعاما .

(٦) فى بن : بخياشيمى رائحة .

(٧) فى بن : و سورك .

مضى ، فانما أنتم [1]طولتم ذيولكم[1]، فصارت السنة بينكم[2] بدعا و شهرة .

و قال الشيخ أبو بكر الطرطوشى [3]رحمه الله[3]: لما دخلت على سلطان مصر ، و هو الأفضل ابن أمير الجيوش ، فقلت : السلام عليك[4] و رحمة الله و بركاته ، فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا ، و أكرم إكراما جزيلا ، فأمرنى بدخول مجلسه ، و أمرنى بالجلوس . فقلت : أيها الملك إن الله سبحانه و تعالى قد أحلك محلا عاليا شامخا ، و أنزلك منزلا شريفا باذخا ، و ملكك طائفة من ملكه ، و أشركك فى حكمه ، و لم يرض أن يكون أحد فوق أمرك ، فلا ترضى أن[5] يكون أحد أولى بالشكر منك ، و ليس الشكر باللسان ، و لكنه بالفعل و الإحسان ، قال الله تعالى : "اعملوا آل داود شكرا[6]" . و اعلم أن هذا الذى أصبحت فيه من الملك إنما صار إليك بموت من كان قبلك ، و هو خارج عن[7] يديك ، بمثل ما صار إليك ، فاتق الله سبحانه و تعالى فيما خولك من هذه الأمة ، فان الله

(١ - ١) فى بر : طولكم ذيركم . و صحتها فى بن كما أوردنا بالنص .

(٢) فى بن : فيكم .

(٣ - ٣) فى بن : رحمة الله عليه .

(٤) فى بن : عليكم .

(٥) فى بن : بأن .

(٦) قرآن كريم ٣٤ : ١٣ .

(٧) فى بن : من .

يسألك[1] عن [2]الفتيل و النقير[2] و القطمير قال الله تعالى: "فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون[3]" و قال: "و إن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين[4]". و اعلم أيها الملك أن الله سبحانه تعالى قد آتى الدنيا بحذافيرها سليمان[5] بن داود، فسخر له الإنس و الجن و الشياطين و الطير و الوحش و البهائم، و سخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، ثم رفع عنه حساب ذلك جمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب، فوالله ما عددها[6] نعمة كما عددتموها، و لا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل خاف أن يكون استدراجا من الله تعالى و مكرا، فقال هذا من فضل[7] ربى ليبلونى [8]أأشكر أم أكفر، فمن شكر البارى وجب عليه شكر ثان إذ وفقه لشكره، هذا شكر الشكر[8] فافتح الباب، و سهل الحجاب، و انصر المظلوم، أعانك الله على نصر المظلوم، و جعلك لهفا[9]

(١) في بر: يسئلك.

(٢-٢) في بن: النقير و الفتيل.

(٣) قرآن كريم ١٥: ٩٢-٩٣.

(٤) قرآن كريم ٢١: ٤٧.

(٥) في بن: سليمن.

(٦) في بن: عدها.

(٧) مطموسة في بن مع بعض ما سبقها و تبعها من الكلمات.

(٨-٨) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن.

(٩) في بن [١٩١: ب]: كهفا.

للملهوف

للهوف. و أمانا للخائف - انتهى.

نعود إلى ما قيل فى الموت [1]إن شاء الله تعالى[1]. اعلم أن الموت معلوم فينا بالضرورة. فان قيل لم[2] صار الإنسان يموت. قيل لأن الموت عند بعضهم إنما هو الحكم الطبيعى. و هو فساد الحار الغريزى. أو تبديل الروح و استيلاء حكم البرودة و اليبوسة على طبيعة الروح. و هى الحرارة و الرطوبة و سوء مزاج يلحق القلب [٢٤٩ : الف] أو هيئة مخرجة المزاج عن حده الطبيعى. [3]أو فساد[3] المركب بالجملة، أو تحليل الرطوبة الماسكة و نمو ضدها، و انحلال الأعضاء الرئيسية[4]، مثل ما[5] يقطع حجاب القلب، أو يضر بجوهر الدماغ، أو قطع النخاع. و جملة الأمر عند طائفة من الحكماء أن الموت طبيعة خاصة مضادة للحياة. من شأنها أن تخرج المزاج الذى به كانت الحياة إلى حد لا يمكن به التحرك و لا التنفس و لا الغذاء، و يخص معه الأرواح الثلاثة، و يفسد جواهرها. و ذلك لفساد القوى حتى لا يشبه الحال الأول و لا يناسبه لوجه[6].

[الجسم والنفس والروح والعقل]

اعلم أنه لا موت للنفس، و إنما الموت للجسم، فمتى رأينا الميت

(١ - ١) العبارة ساقطة من بن.
(٢) فى بن : كيف.
(٣ - ٣) فى بن : و فساد.
(٤) فى الأصل : الرئيسة.
(٥) ساقطة من بن.
(٦) فى بن : بوجه.

قلنا فيه: هذا تركته النفس ولم تستعمل شخصه، و ذلك لأجل فساد الهيكل لا لفساد النفس، فان النفس تكون تتخلص و تصعد إذا علمت، و تنحط[١] و تنتكس إذا جهلت. و أيضا أن الإنسان مركب من نوعين فاسد وغير فاسد، فبعض الإنسان يفسد، و بعضه لا يفسد، و بعضه
٥ الفاسد هو جسمه، و بعضه الذى لا يفسد هو روحه، [٢]فجسم الإنسان يفسد و روحه لا تفسد[٢]. قال ابن سينا فى النفس:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تحجب[٣] و تمنـــع
محجوبة عن كل مقـــلة ناظر وهى التى سفرت[٤] ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك و ربما كرهت فراقك وهى ذات تفجع
١٠ أنفت و ما وصلت فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب[٥] البلقـع

[٦]وهى طويلة[٦]. و النفس تطلق[٧] على الذكر و الأنثى. قال أبو عمرو بن الحاجب المالكى [٨]فى مختصره فى الفروع[٨]: شرط المرضعة أن تكون

(١) مطموسة فى بن.
(٢ – ٢) العبارة ساقطة من بن.
(٣) فى بن: تعزر.
(٤) مطموسة جزئيا فى بن.
(٥) كذا فى بن، و الكلمة فى بر: الغراب.
(٦ – ٦) فى بن: تنطلق.
(٧) مطموسة فى بن.
(٨ – ٨) ساقطة من بر و واردة فى بن.

آدمية أنثى. قال ابن عبد السلام فى شرحه [1]للمختصر المذكور[1]: فان قيل هلّا استغنى ابن الحاجب عن قوله أنثى بقوله آدمية فان من المعلوم قطعا أن الآدمية أنثى؟ قلت: لا نسلم أنه معلوم لاحتمال أن يريد نفسا آدمية، و النفس تطلق[2] على الذكر و الأنثى[3] ـ انتهى.

نعود[4] ـ و لا خلاف بين العلماء أجمع على بقاء النفس الناطقة بعد الموت، و الأنبياء و الفلاسفة يقولون بذلك، و هو مشهور فى الكتب المنزلة و الدواوين الفلسفية، و القرآن نطق بذلك و التوارة[5] و الإنجيل و الزبور و الصحف. قال الله تعالى: "لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد[6]". و قال النبى عليه السلام: الناس نيام، فاذا ماتوا انتبهوا. [7]و قال بعض الصالحين:

/ ما ذا يشاهد ذو العينين من عجب　　عند الخروج من الدنيا إلى الله[7]　[٢٤٩: ب]

[8]و قال بعضهم:

و ما الموت الا رحلة غير أنه　　من المنزل الفانى إلى المنزل الباقى

(١ - ١) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٢) فى بن: تنطلق.

(٣) بهامش بر: «هذا الجواب فيه شيء، لأن الرضاع لا يكون إلا من الإناث فلا يتوهم دخول الذكور، ولو قيل ذكر ذلك لزيادة إيضاح لكان أحسن».

(٤) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٥ - ٥) فى بن: التورية.

(٦) قرآن كريم ٥٠: ٢٢.

(٧ - ٧) ورد البيت فى بن قبل الحديث الذى سبقه.

(٨) العبارة من هنا إلى قوله «و يموت ليحيي» سقطت من بر و وردت فى بن.

فينبغى للحكيم أن يغتم بالحياة و يفرح بالموت لأنه يحي ليموت و يموت ليحي[١] . و فى الإنجيل : النفس الصالحة تعرفنى و أنا الحق ، و غير الصالحة لا تعرفنى و هى من الشيطان ، و الشيطان فى غضبى . و فى التوراة[٢] : يا موسى تقرب إلىّ بالذى لا يفنى فانى خلقته للخلود ، فان آمن و عمل صالحا رضيت عنه ، و إن كفر و عصانى سخطت عليه . و فى الزبور : يا داود أصلح نفسك تصعد للسعد الخالد ، و لا تحمل أمرها تنزل للذل الأكبر .

قال ابن الفارض :

هى النفس إن تاقت هواها تضاعفت قواها و أعطت فعلها كل ذرة

قال أبو الحسن الشاذلى[٣] : مراكز النفس أربعة : مركز فى الشهوة للطاعات[٤] و مركز فى الميل إلى الراحات ، و مركز العجز[٥] عن أداء المفروضات[٦] و مركز الميل للمعاصى و الخطيئات . فاقتلوا المشركين كافة ، و خذوهم و احصروهم و اقعدوا لهم كل مرصد ، و إن من أعظم القربات عند الله[٧] مفارقة النفس بقطع إرادتها ، و طلب الخلاص منها بكل ما تهوى لما يرجى من حياتها . و إن من أشق[٨] الناس من[٩] يحب أن يعامله الناس بكل

(١) انتهى ما سقط من بر .
(٢) فى بن : التورية .
(٣ - ٣) بهامش بر : مراكز النفس أربعة .
(٤) فى بن : فى الطاعات .
(٥) ساقطة من بن .
(٦) مطموسة فى بن .
(٧) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن [١٩٢ : الف] .
(٨) فى بن : أشقا .
(٩) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : ان .

ما يريد . فطالب نفسك باكرامك لهم و لا تطالبهم باكرامهم لك ، لا تكلف إلا نفسك . و إن أردت جهاد النفس فاحكم عليها بالعلم فى كل حركة ، و اضربها بالخوف عند كل خطرة[1] ، و اسجنها فى قبضة الله أين ما كنت ، و اشكُ عجزك إلى الله كلما غفلت ، فهى التى لم تقدروا عليها ، قد أحاط الله بها فان سخرت لك فى قضية ما فجدير بأن تذكروا نعمة ربكم ، "و تقولوا سبحٰن الذى سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين[2] " - انتهى[3] .

نعود[4] - و فى الصحف : نفس المؤمن فى رحمتى ، و رحمتى دائمة ، و نفس الكافر فى عذابى ، و عذابى لا انقطاع له . و قال ابن الفارض :

و لو كان لا يجزى مسيء بفعله   و لا محسن ضاقت أمور البرية
و ما كان فى الأحياء والموت حكمة   و كان محالا حكم كل شريعة
و مستبعد إحياؤنا و مماتنا   سُدًى لا لمعنى فيه سر مشيئتى
أ يحسن أن تبنى قصور مشيدة   بأحسن أوضاع و أجمل زينة
و تهدم عمدا لا لمعنى و إنـــه   ليقبح هذا فى العقول السليمة
و ذالك شيء فعله عبث و ما   يدبر هـــذا الكون بالعبثية

(١) فى بن : خطوة .

(٢) قرآن كريم ٤٣ : ١٣ .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) هذا القسم بما فيه من تائية ابن الفارض ساقط من بن . و يبدأ السقط من هنا ثم يستأنف الكلام فى كل من بن و بر على السواء بعبارة « و قالت الحكماء الجسد كثيف و لطيفه - الخ » .

فلم يبق إلا أن يــدبر حكمه   حكيم محيط العلم عدل الحكومة

[٢٥٠ : الف] و قال أيضا يلوم النفس على قبيح فعلها :

أيا نفس ما هذا التغافل و الجفا   إلى ما التمادى فى غرور و غفلة
ألم يأن أن تستقبحى ما عملته   قبيحا و أن تستقرعى باب منّة
أغرك قوم جاهلون تلبسوا   بدار غرور و هى منهم تعرّت
و إن أعلقوا فيها كثوف مؤمل   تناءت كفعل الباخل المتعنت
تراءت لهم خضراء حلوا مذاقها   مبهرجة تبدو بحسن و بهجة
تبلـغ آمالا و تعطى مآربا   و تجمـع إخوانا و تدنو بمنية
و تعقب ذى الأوصاف كلا بضده   و تأتى ببعد بعد قرب و وصلة
متى وهبت برت و إن أقبلت نأت   وإن أفرحت جاءت بحزن وترحة
فليت كفافا حزنها و سرورها   و يا ليت ما منّت به عنك منت
لقد نصحت ذا العقل لما تكدرت   وبالرونق المسلوب ذا الجهل غرت
و قد فضحت لولا الغباوة و العمى   و لاحت مساو بالغرور تغطت
فكم أبعدت إلفا و كم كدرت صفا   و كم جددت من ترحة بعد فرحة
كذا وضعت كيما تفر إلى العلا   فتكديرها من سر لطف و حكمة
فلو جُعلت صفوا شُغلت بحبها   و لم يك فرقا بين دنيا و جنة
فما هى لا تصفو و أنت معانق   لهـا بوداد فعل جهل و شقوة
كذا فعلت بالأولين فأصبحوا   رهان حدوث وهى عنهم تخلّت

إلى كم خداع أيها النفس قد كفى … ضياعك فى لهو زمان الشبيبة
أزحزحها نحو العلا فتردنى … بأفعالها السوء إلى أرض قطعة
و أطلب منها جاهدا ضد طبعها … و ذوتعب من رام ضد الجبلّة
تقضى زمانى و الأمانى بعيدة … وقدضاع عمرى فى الحظوظ الدنية
و قد ذهبت باكورة العلم فى الهوى … و ضيعتها ما بين حظ و شهوة

و سئل الشيخ أبو العباس المرسى عن الروح و النفس، فأنشد يقول:

إن كنت سائلنا عن خالص المنن … و عن تآلف ذات النفس بالبدن
و عن تشبثها بالحظ قد ألفت … أدرانها فغدت تشكو من العطن
و عن بواعثها بالطبع مائلة … تهوى بشهوتها فى ظلمة الدجن
و عن تنزّلها فى حكمها و لها … علم يفرقها فى القبح و الحسن
/و عن حقيقتها فى أصل معدنها … لا ينثنى وصفها منها إلى وثنى [٢٥٠:ب]
فاسمع هديت علوما عز سالكها … عن العيان و لايغررك ذو لَكَن
قصدا إلى الحق لا تخفى شواهدها … قامت حقائقها بالأصل و الفنن
يا سائلى عن علوم ليس يدركها … ذو فكرة بفهوم لا و لا فطن
لكن بنور على جامع خمدت … له العقول وكل الخلق فى وسن
خذها إليك بحق لست أجهله … و الأمر مطلع و الحد قيدنى
عن الحقيقة خذ علم الأمور و لا … يحجبك صورتها فى عالم الوطن
تطور النفس سر لا يحيط به … عقل تقيد بالأوهام و الدرن
لكنها برزت بالحكم قائمة … حتى تألفها السكان بالسكن
و كى يقال عبيد قائمون بما … ألقى من الأمر قبل الخلق و المحن

و النفس بين نزول فى عوالمها … كآدم و له حواء فى قرن

و الروح بين ترقّ فى معارجها … و هى المواقف للتعريف و المنن

مثالها فى العلا مرآة معدنها … ألطافها خفيت كالسر فى العلن

زيتونة زيتها نور لشاربها … مدت هدايتها فى الكون و الكين

و الكل أنت بمعنى لا خفاء به … و النور يحجبه كالماء فى اللبن

و العبد محتجب فى عز مالكه … دقت معارفه فى الدهر و الزمن

و قال أيضا: الروح متوسط بين السر و القلب، و النفس متوسطة بين العقل و الجسد، فالسر غيب الروح و القلب شهادته، و العقل غيب النفس و الجسد شهادتها، فاذا مال الروح إلى السر خفى و إلى القلب ظهر، و إذا مالت النفس إلى العقل خفيت و إلى الجسد ظهرت - انتهى.

و اعلم أن الله تعالى خلق العالم من نوعين، شخص و روح. و جعل الجسد منزلا للروح لتأخذ زادا لآخرتها من هذا العالم، و جعل لكل روح مدة مقدرة تكون فى الجسد، و آخر تلك المدة هى أجل تلك الروح من غير زيادة و لا نقصان. فاذا جاء الأجل فرق بين الروح و الجسد. و قالت[1] الحكماء الجسد كثيف و لطيفة روحه

---

(١) من هنا يستأنف الحديث فى بن أيضا و كلمة «قالت» وردت هنالك بسقوط الواو - و قبل ذلك أورد ناسخ بن ما يلى و هو غير وارد فى بر: قال الأصمعى حدثنا أبو رجاء عن التيمى قال: النفس معلقة بالروح مثل صنارة المغزل، فترسل الروح فتذهب هاهنا وهاهنا، ثم تطوى فتجىء فتدخل فيها. =

و بالروح يخف ، و الجسد يتكون من امتزاج الروح و النفس ، و هما يتكونان من العناصر العلوية ، [١] و تتكون العناصر العلوية من [١] الطبائع الأربعة و هى النار و الهواء[٢] و الماء و التراب . فللنار الحرارة ، و للهواء[٣] [٢٥١ : الف] الرطوبة ، [٤] و للماء البرودة [٤] ، و للتراب اليبس ، و الطبائع من كلمة الخالق تعالى التى هى علة العلل و هى الأصل . و ذلك قوله[٥] عز و جل : " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون[٥] " . فالعلة هو الذى كان السبب [٦] لشىء آخر[٦] ، و المعلول هو الذى لوجوده سبب[٧] من الأسباب ، و العلم صورة المعلوم فى نفس

=قال ابن الجوزى : يا بلابل الى متى فى قفص . . . (هنا كلمة مطموسة) . . . . الحسن ، اكسروا قفص الطبع ، و اسرحوا فى مسارح القدمين ، فالركون إلى وكر النفس يمنع طيب العيش (الكلمة مطموسة جزئيا) لما قطع القوم ظلمات الهوى وقفوا على عين حياة القلوب ، فشربوا ماء المعانى فكل منهم حضر . (الكلمة مطموسة جزئيا ـ و بالعبارة غموض على كل حال) .

(١-١) ساقطة من بن و آخرها مطموس .

(٢) فى بر : الهوى . و الكلمة فى بن : الهواء .

(٣) فى بر : للهوى . و فى بن : الهوا .

(٤-٤) فى بن : و الماء للبرودة .

(٥) قرآن كريم ٣٦ : ٨٢ .

(٦-٦) فى بن : للشىء الآخر .

(٧) كذا فى بن . و الكلمة فى بر : سببا .

العالم، و بارى البرايا هو علة كل شيء و سبب كل موجود فى العوالم بأسرها. و العوالم[١] جمع عالم[٢]، و العالم فى اللغة كناية عن كل موجود فيه علامة يمتاز بها عن غيره من أنواع المخلوقات حتى يقال: عالم السماء و عالم الأرض و عالم البحر و عالم الحيوان. فجمع الله المفترق[٣] فى استعمال العرب بقوله تعالى: "الحمد لله رب العالمين[٤]" أى خالق كل من تسمونه عالما. و الحمد من الألفاظ المشتركة لأنه يطلق[٥] و يراد به الثناء على المحمود على ما أولاك من نعمه، يقال له[٦] حمدت الرجل على دينه، و حمدته على ما أعطانى. و الشكر الثناء على النعمة فقط، و الحمد الثناء على الكمال و النعمة، فتقول على هذا كل شكر حمد، و لا تقول كل حمد شكر، لأن الحمد أعم، و الشكر أخص، و الأعم يحمل على الأخص إذ يكون صادقا، و لا يحمل الأخص على الأعم إذ [٧]يكون كاذبا[٧]، فمقايسة[٨] الحمد إلى الشكر كمقايسة[٩] الحيوان إلى

(١) فى الأصلين: و العالم.
(٢) فى بن: عوالم.
(٣) فى بن: المتفرق.
(٤) قرآن كريم ١: ١.
(٥) فى بن: يذكر.
(٦) الكلمة ساقطة من بن.
(٧-٧) مطموسة فى بن.
(٨) فى بن: فمناسبة.
(٩) فى بن: كمناسبة.

الإنسان فكما تقول كل إنسان حيوان ، و لا تقول[1] كل حيوان إنسان ، فكذلك تقول[2] كل شكر حمد . و لا تقول كل حمد شكر[3] و كما [لا[4]] تقول كل حيوان إنسان ، فلا تقول كل حمد شكر[3] لكذبه فالشكر يراد به الحمد فى أحد نوعيه و لا يراد به عموما - انتهى[5] .

(١) فى بن : تقل .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بر و لزومها واضح من السياق .

(٥) زيد هنا فى بن [١٩٢ : الف - ب] : نعود ، و اعلم أن النفس لها حالتان لا ثالث لها - حالة عافية و حالة بلاء . فاذا كانت فى بلاء الجزع و الشكوى و السخط و الأعراض و التهمة للحق عزوجل، لا صبر و لا رضى و لا موافقة ، بل سوء الأدب و الشرك بالخلق و الأسباب و الكفر ، و إذا كانت النفس فى عافية فالشر و البطر و اتباع الشهوات و اللذات ، كل ما نالت شهوة طلبت أخرى ، و اشترت بما عندها من النعم من مأكول [١٩٢ : ب] و مشروب و منكوح و مسكون و مركوب . فيخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوبا (كذا) و نقصا ، و تطلب أعلا منها و أشنى مما لم يقسم لها ، و تعرض عما قسم لها فتوقع الإنسان فى تعب طويل لا غاية له و لا منتهى فى الدنيا ثم العقبى ، و لهذا قيل لمن أشد العقوبات طلب ما لم يقسم ، و إذا كانت فى بلاء لا يتمنى سوى انكشافه و تنسى كل نعيم و شهوة و لذة لا تطلب شيئا منها ، فاذا عوفيت منه رجعت إلى رعونتها و شرها (فى الأصل : و اشرها) و بطرها و إعراضها عن طاعة ربها عزوجل و إنهماكها فى معاصيه و تنسى ما كانت فيه من البلاء و ما حل بها من الويل . فترد إلى شر ما كانت فيه من البلاء و الضر عقوبة لها لما قد اجترمت=

[1] نعود – تقول العرب إذا كرهت الشيء تشبهه بالموت، و إذا وصفوا الشيء فكرهوه إلى الموصوف ما هو إلا الموت. قال الشاعر:

فانى أنا الموت الذى هو واقع   بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله

قال ثعلب: سألت ابن الأعرابى عن قوله «الحو الموت». قال: هذه كلمة تقولها العرب مثلا كما تقول «الأسد الموت» أى لقاؤه الموت. و كما تقول «العدو الأزرق» أى هو مثل الزرقة التى هى كالحداد على مصيبة الميت، أى و كما تقول «السلطان نارا» أى مثل النار، و المعنى احذروه كما تحذروا الموت. قوله تعالى: "و يأتيه الموت من كل مكان و ما هو بميت[2]" أى مثل الموت فى الشدة و الكراهة، و لو أراد نفس الموت لكان قد مات. قال عمير بن فهير: [٢٥١: ب]

و لقد وجدت الموت قبل ذوقه   إن الجبان حتفه من فوقه

= و ركبت من العظائم.... نها (الكلمة مطموسة) و كفا عن المعاصى فى المستقبل إذ لا يصلح لها العافية و النعمة بل حفظها فى البلاء و البؤس، فلو أحسنت الأدب عند انكشاف البلاء و لازمت الطاعة و الشكر و الرضا بالمقسوم لكان خيرا لها دنيا و أخرى و كانت تجد زيادة فى النعيم و العافية. – و اعلم أن النفس جوهر بسيط – الخ.

(١) من هنا إلى قوله «و العقل و الأعضاء» بأكمله ساقط من بن، و حل محله ما أوردناه فى الحاشية السابقة من الزيادة بها، و بعض عبارات المؤلف فيها تكاد تكون غير واضحة و لكننا أوردناها على ما هى عليه فى الأصل، و منطوقها العام مفهوم.

(٢) قرآن كريم ١٤: ١٧.

و فى

و فى حديث ابن عامر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إياكم و الدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أرأيت الحمو. قال: الحمو الموت، معناه النهى أن يدخل على المغيبة صهر و لا غيره خوفا من الظنون و نزغات الشيطان، لأن الحمو قد يكون من غير ذى المحارم. قال الطبرى: الحمو عند العرب من كان من قبل الزوج عَمّاً كان أو خالا أو أبا، فهم الأحماء، فأما أم الزوجة فكان الأصمعى يقول هى حماة الرجل - انتهى.

فلنرجع إلى ذكر ما قيل فى النفس و العقل و الأعضاء[1]. اعلم[2] أن النفس جوهر بسيط روحانية بالذات علامة بالقول[3]، و هى أضعف من العقل، و العقل الفعال هو أول ما ابتدعه البارى عز وجل، و هو جوهر بسيط نورانى غير ذى نهاية. و العقل الإنسانى هو[4] الذى حصل به التميز لهذه الصورة. قال أبو الحسن الشاذلى: إن الله تعالى كما خلق الأرض[5] فأرساها[6] بالجبال، [7]فقال عز و جل «و الجبال ارسٰها[8]»، كذلك لما خلق النفس فأرساها[7] بجبال العقل. و قال أيضا: العاقل من عقل عن الله

(١) انتهى هنا ما سقط من بن.
(٢) فى بن: و اعلم.
(٣) فى بن: بالقوة. - و جائز أن تكون أصح من بر.
(٤) «هو» مكررة فى بر.
(٥) فى بن: النفس (مطموسة جزئيا).
(٦) فى بن: فأرسلها.
(٧-٧) ساقطة من بن.
(٨) قرآن كريم ٧٩: ٣٢.

ما أمر به و منه شرعا[1] ، و الذى [2]يريد الله[2] بالعبد أربعة أشياء ، إما نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية ؛ فاذا كنت بالنعمة فالله تعالى يقتضى منك الشكر شرعا ، و إذا أراد بك بلية فالله تعالى يقتضى منك الصبر شرعا[3] ، و إذا أراد بك الطاعة [4]فالله تعالى[4] يقتضى منك شهود المنة و رؤية التوفيق منه شرعا ، و إذا أراد بك معصية فالله تعالى يقتضى منك التوبة و الإنابة شرعا ، فمن عقل هذه الأربعة عن الله و كان فيها بما أحبه[5] الله منه شرعا [2]فهو عبد على[2] الحقيقة بدليل قوله صلى الله عليه و سلم : من أعطى فشكر ، و ابتلى فصبر ، و ظُلم فغفر ، و ظَلم فاستغفر . . . ثم سكت ، قالوا : ما ذا له يا رسول[6] الله ، قال : أولئك لهم الأمن و هم مهتدون . و قال أيضا : يقول الله عز و جل : ابن آدم ، خلقتُ الأشياء كلها من أجلك ، و خلقتك من أجلى ، فلا تشتغل بما هو[1] لك عن من[7] أنت له . و قال أيضا : الأكوان كلها عبيد مسخرة ،

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢-٢) مطموسة فى بن .

(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بن .

(٥) فى بن : أحب .

(٦) فى بن : يرسول .

(٧) فى بن : ما .

و أنت فى الحضرة . [1] قال بعض الصالحين :

و لما أتيت الربع و القلب ذاهل بسلمى و نار الحب فى القلب تشتعل
و قد لاح من بين الخيام جمالها تناهت به العشاق و الستر مسبل
وقفت فناديت الطلول مسائلا و قلبى على نار الأسى يتململ
أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له عليها . . . .[1] و ينزل
فنادتنى الأكوان و الله ما لنا بهاتيك علم إننا منك أجهل
فو الله ما فى الكون من مخبر و لا من لذياك الحى يتوصل - انتهى[1] .

[ما قيل فى القلب]

نعود إلى ذكر ما قيل فى القلب : ذكروا أن القلب هو جسم محيط بالعالم ، و العالم[2] ما[3] حواه الفلك . قال النبي صلى الله عليه و سلم : لَقَلْبُ ابن آدم أشد انقلابا من القَدْر إذا غلت . و قال عليه السلام : [٢٥٢ : الف] مثل هذا القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض تقلبها الريح ظهرا لبطن . و قال الشيخ أبو العباس المرسى : قلب ابن آدم بالنسبة إلى جسده كليلة القدر بالنسبة إلى سنتها ، و قلب كل مؤمن ليلة قدر جسده ، و ليلة قدر كل سنة قلب عامها . قال فى[4] ذلك القائل :

ما ليلة القدر المعظم قدرها إلا إذا عمرت به أوقاتى

(١-١) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن .
(٢) مطموسة بالأصل .
(٣) فى بن : و ما .
(٤) ساقطة من بر و واردة فى بن .

[في أعضاء الجسم البشرى]

و سأذكر[1] ما قيل فى [2]الأعضاء إن شاء الله تعالى[2]. اعلم أن الحدقتين مرايا الجسد، و هما نقطتان من الماء صافيتان محبوستان بين[3] غشاوين[4] شفافتان، و ماؤهما[5] صالح[6] لحفظ شحمهما[7] من التغير. و الأنف ماؤه كره لاستنشاق[8] الروائح. و الفم ماؤه حلو لاستطعام الطعام[9] [10]و الماء جسم لطيف سيال شفاف لونه لون إنائه[10]. و قد يحصل لبعضهم نتن الفم، و ذلك إما لعفونة فى اللثة و أصول الأسنان، [11]أو لمزاج[11] ردىء فى وسط الفم و مجارى الحنك من[12] رطوبات عفنة، أو لخلط [13]عفن فى فم المعدة[13]. و قد ينتن الفم من قرحة الرئة و الصدر.

(١) فى بن: قال المصنف رحمه الله تعالى فلنذكر الآن.

(٢-٢) فى بن: أعضاء أعضاء (مكررة) الإنسان.

(٣) مطموسة فى بن.

(٤) كذا فى الأصلين. و لعل الكلمة «غشاوتين».

(٥) فى بر: و ماوه. و صححتها فى بن كما أوردنا بالنص [١٩٣: الف].

(٦) فى بن: مالح.

(٧) فى بن: شحمتهما.

(٨) فى بن: الاستنشاق.

(٩) فى بن: الطعوم.

(١٠-١٠) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن.

(١١-١١) فى بن: و لمزاج.

(١٢) فى بن: مع.

(١٣-١٣) ساقطة من بن.

و الكرفس

و الكرفس يطيب النكهة و يذهب البخر ، و الأذنين ماؤهما [1]مر يحفظهما[1] من هوام تدخلها[2] ، و أيضا لاعوجاج مسالكهما ، [3]و إذا قطر الخل في الأذن بزيت يسخن نفع من ثقل السمع و الدوى فيها[3] . و أعضاء الإنسان [4]ثلاثة عشر و هي[4] الرأس و الرقبة و الصدر و البطن و الحقوان و اليدان و القدمان و الفخذان و المرارة و المعدة و المعا[5] و الكليتان و الأنثيان .

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : في الإنسان ثلاثمائة و ستون مفصلا ، على كل مفصل صدقة ، و إماطة الأذى عن الطريق صدقة . قالوا : يا رسول[6] الله من يطيق ذلك ؟ قال : النخاعة[7] تدفنها[8] صدقة ، و إماطة الأذى عن الطريق صدقة ، و ركعتا الضحى تكفر ذلك - خرجه البزار . و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : مر رجل بغصن شوك على ظهر طريق فقال : و الله لأنحين ذلك عن المسلمين لا يؤذيهم ، فأدخل الجنة - خرجه مسلم .

(١-١) كذا في بن . و في بر : لحفظها .

(٢) في الأصلين : يدخلها .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤-٤) كذا في بن ، و في بر : هي (فقط) .

(٥) كذا ، و لعل المقصود « الأمعاء » .

(٦) في بن : يرسول .

(٧) كذا في الأصلين .

(٨) في بن : تدفنها .

و قال[1] صلى الله عليه و سلم: لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة[2] فى شجرة نحاها من الطريق كانت تؤذى النـاس ـ خرجه مسلم . و قال[2] أبو برزة[3]: قلت يا رسول[4] الله علمنى شيئا أنتفع بـه . قال: اعزل[2] الأذى عن الطريق . خرجه البخارى - انتهى .

نعود[5] - و الأبواب[6] التى فى الجسد اثنا[7] عشر بابا و هى العينان و الأذنان و المنخران و السبيلان و الفم و السرة و الثديـان . و من لطف الله تعالى بعباده جعل الليـل و النهار لأن الإنسان مضطر إلى الحركات فى أعماله لمعاشه . [٢٥٢ : ب] و لا ينفك[8] عن كلال ، فعند ذلك يغلب عليه النوم ، و لا بد له من ذلك لزوال الكلال . و كما[9] قال تعالى[10]: " و من رحمته جعل لكم[11] اليل و النهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا

(١) زيد فى بن: رسول الله .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) كذا فى بن ، و هى فى بر: برزة .

(٤) فى بن: يا نبى ، و فى بر: يرسول .

(٥) فى بن: فلنذكر الآن أبواب الجسد و لطف الله تعالى بعباده .

(٦) فى بن: الأبواب .

(٧) فى بر: اثنى . و صحتها فى بن كما أوردنا بالنص .

(٨) فى بن: بد لقواه .

(٩) فى بن: كما .

(١٠) قرآن كريم ٢٨ : ٧٣ .

(١١) ساقطة من بن .

من فضله". فعين[١] وقتا للنوم ينام فيه كلهم، و وقتا للعاش يعمل فيه كلهم، و لو لا ذلك[٢] لأفضى إلى عسر قضاء حوائج[٣] الناس، لأن أحدهم إذا طلب غيره وجده نائما - انتهى.

[في و ظائف الأعضاء]

نعود[٤] - و القوى[٥] سبعة و هي الجاذبة و الماسكة و الهاضمة و الدافعة و الغادية[٦] و المنمية و المرئية[٧]. و ترجمان النظام خمسة: العين و الأذن و اللسان و الأنف و اليد.[٨]و إن صورة الإنسان[٨] تنقسم على أربعة أرباع: الرأس و اليدان[٩] و البدن و الرجلان. ثم عظامه[٢] منقسمة إلى مائتى عظم و ثمانية و أربعين عظما، فى الرأس اثنان و أربعون عظما، و فى

---

(١) فى بن: فتعين.

(٢) مطموسة فى بن.

(٣) فى بن: الحوائج.

(٤) زيد فى بن: إلى ذكر القوى. و بهامش بر: القوى سبعة.

(٥) فى بن: القوى (بدون واو العطف).

(٦) كذا فى بن، و هى بر: و العادية.

(٧) بدون نقط فى بر، و ياؤها الثانية منقوطة فى بن فأضفنا الهمزة على الأولى و هى تحذف عادة فى الأصل.

(٨-٨) فى بن: و الصورة الإنسانية.

(٩) فى الأصلين: اليدين.

الربع الثانى و هو [١]اليدان اثنان و ثمانون[١] عظما [٢] و فى الربع[٢] الثالث و هو البدن أربعون عظما ، و فى الرابع و هو الرجلان أربعة و ثمانون[٣] عظما . ثم خلق الله سبحانه لهذه العظام رباطات تمسكها بعدة[٤] عروق [٥]للشكل الإنسانى[٥] ثلاثمائة[٢] و ستون عرقا ، و بهذه العروق تكون الحركة و القبض و البسط ، فرأس هذه العروق فى الفؤاد ، و هو[٦] العرق المسمى بالنياط و الأبهر[٧]، و منزلته مع القلب بمنزلة الحاجب للملك[٨] ، يلتقف[٩] أمره ، ثم يخرجه إلى الخدمة ، ثم هذا العرق متصل بالمعدة يمتص منها قوة الطعام و الشراب اللذين[١٠] يدخلها ثم يقسمها بين الكبد و المرارة[١١] والطحال . و خلق العرق الأبهر مستبطن الصلب ، و هو آخذ من مجمع

(١-١) مطموسة فى بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن : و ثمان .

(٤) فى بن : بعد .

(٥-٥) فى بن : الشكل للانسان .

(٦) فى بن : و هى .

(٧) بهامش بر : العروق .

(٨) كذا فى بن . و الكلمة فى بر : للمال .

(٩) فى بن : يتلقف .

(١٠) فى بن : اللذان .

(١١) فى بن : و المراه .

الكامل[١] إلى مجمع الوركين إلى[٢] مجمع الحالبين إلى مجمع الصدر[٣] بين الترقوتين، و هو نهر الجسد الأعظم[٤]، و هو مقسوم لأربعة عروق لأجزاء الجسد الأربعة، لكل جزء منها عرق، [٥]فللرأس منها[٥] عرق يتفرق إلى مائة عرق، و اليدين كذلك، و للبطن عرق (يتفرق[٦]) إلى ستين عرقا، و للظهر كذلك، و للرجلين عرق يتفرق إلى مائة عرق. و الجزء الأول من النهر الأول و هي أربعة أنهار يتفرق[٧] منها عرقان من مجمع الكاهل يسقيان العنق، و يتفرق من مجمع الصدر بين الترقوتين عرقان يصعدان إلى العنق و هما الودجان، ثم يتفرع من كل واحد منهما عرقان، ثم جميع[٤] هذه العروق ينبعث منها[٨] الغذاء إلى كل عضو في الرأس من الشفتين و غيرها، و أما عروق اليدين من الربع الثاني و هو أحد الأنهار الأربعة [٢٥٣ : الف] من النهر الأعظم يتفرق منه عرقان[٩]، فان لكل يد عرقا[١٠] من مجمع[٤] الصدر بين الترقوتين إلى بين المنكبين

(١) في بن: الكامل.
(٢) في بن: و إلى.
(٣) في بر: الصدرين. و صحته في بن كما أوردنا بالنص.
(٤) ساقطة من بن.
(٥-٥) في بن: فالرأس لها.
(٦) ساقطة من الأصلين و ذكرها لازم لاستقامة المعنى.
(٧) في الأصلين: تتفرق.
(٨) في بن: فيها. (٩) في بر: عرقا.
(١٠) في الأصلين: عرق.

و هما الأكحال[١]، ثم يتشعب من كل واحد منهما أربعة[٢] عروق سواهما، فتسقى العضدين و أجزاءهما، و ذلك عشرة عروق، لكل يد خمسة عروق، ثم يفترق[٣] من كل واحد من العشرة أربعة تسقى الساعدين، فذلك خمسون عرقا، [٤]لكل ساعد خمسة و عشرون عرقا[٤]، و عرق آخر يسقى الكفين و الأصابع. و أما الجزء الثالث فالبطن يفترق منها عرقان من مجمع الحالبين إلى اليد[٥]، يفترق من كل واحد منهما تسعة و عشرون[٦] عرقا سواهما يدفعان[٧] إلى كل جزء حصته، فلليدين أربعة و ثلاثون، و لسائر البطن[٣] ستة و عشرون، للعصعص عرقان. و أربع عروق للذاكير، واثنان للكليتين، و اثنان للثانة، و اثنان للأمعاء، و اثنان للكبد، و اثنان للطحال، و اثنان للفؤاد، و اثنان للمرارة، و اثنان للرئة، وثلاثون للأضلاع[٨]، لكل ضلع عرقان، و اثنان للثديين[٩].

---

(١) فى بن: الاكحل.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) مطموسة فى بن.

(٤–٤) الجملة ساقطة من بن.

(٥) كذا فى بر، و هى فى بن: البدن. – و جائز أن يكون ذلك الصواب.

(٦) فى بن: و عشرين.

(٧) فى الأصلين: يدفعون.

(٨) فى بن: للامتناع.

(٩) فى الأصلين: للثديان. – وقد زيد هنا فى بن ما يلى: قال ابن الجوزى: يا هذا تدبر و تيقن أنك سكبت من صلب صلب على رياض أرض الشهوة ... =

[١]فلنذكر الآن ما قيل فى الرضاعة[١] .جاءت لليث[٢] بن سعد امرأة فقالت له : أريد الحج و ليس لى محرم . فقال : اذهبى إلى امرأة رجل ترضعك من ثديها ، فيكون زوجها أباك من الرضاعة ، فتحجين معه[٣] . و احتج بما فى الصحيح من حديث عائشة[٤] قالت : دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه و سلم و عندى رجل قاعد فاشتد ذلك عليه ،

= (مطموس) ... حلبتها يد القدرة ، شق سمعها و بصرها و هى دم مغموس فى دم الحيض من غير ملامسة ... (مطموس) ... النطفة ... (مطموس) ... كن الصلب حركتها أنامل الشهوة بإيقاع لذة الوقاع فوقعت فى طابق المطابقة فى مجلس الرحم خلعت عليها ... التقدير خلعة علقة ثم ردتها برداء مضغة ثم نسجتها يد القدرة على منوال التطريز ثم خرجت من حمل ... لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم فبينما هو فى لطف طفل درج به مدرج انسان فاذا هو خصيم مبين كم دار فى تدوير أدواره من فلك وكم سبح فى تطوير أطواره من ملك وكم نطقت فى معناه فى المعانى وكم ذهلت فى افنان معناه من ألسنة المعانى لكن الطروس الغفلة ما يسمع هذه لحظه ... و صف الظاهر فكيف له ... معنى الباطن . انتهى (و قد اكتفينا بنسخها حرفيا على قدر المستطيع بما فيها من غموض لفظى) .

(١-١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢) فى بن : الليث .

(٣) بهامش بر : قف على هذ الحكم العجيب و النقل الغريب .

(٤) ساقطة من بن .

فرأيت الغضب فى وجهه . قالت : [1] فقلت يا رسول [1] الله إنه أخى من الرضاعة . قالت فقال : انظرن أخواتكن من الرضاعة فان الرضاعة من المجاعة . و قالت عائشة[2] : جاءت سهلة[3] بنت سهيل إلى النبى صلى الله عليه و سلم و قالت يا رسول الله إنى أرى الغضب فى وجه أبى حذيفة تعنى زوجها من دخول سالم و هو حليفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ارضعيه . قالت : وكيف أرضعه و هو رجل كبير . [4]فتبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال : قد علمت أنه رجل كبير[4] . و فى رواية : ارضعيه تحرمى عليه و يذهب الذى فى نفس أبى حذيفة . و احتج من قال إن الكبير ليس بمحتاج للرضاعة ، فانه[5] ليس لها فى ذلك تأثير[6] كما أنه أبى سائر[6] أزواج النبى صلى الله عليه و سلم أن يدخلن عليهن أحدا بتلك الرضاعة ، و قلنا لعائشة : و الله ما نرى هذه إلا رخصة أرخصها لسالم خاصة ، فما هو [7]داخل علينا[7] أحد بهذه الرضاعة و لا رأينا - انتهى .

(١-١) فى بن : قالت برسول .

(٢) زيد فى بن : رضى الله عنها .

(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤-٤) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٩٤ : الف] .

(٥) فى بن : بأنه .

(٦-٦) فى بن [١٩٤ : الف] : كما روى أن أبا سالم .... (بياض) .....
أزواج النبى الخ . ـ و لفظة « كما » فى بر « لما » .

(٧-٧) فى بن : بداخل عليها .

نعود

نعود[1] - و أما الجزء الرابع و هما[2] الرجلان ففيهما الوتين عرق يفترق منه عرقان و هما عرقا الفخذين، لكل فخذ عرق من[3] مجمع الوركين يسقيان الفخذين و أجزاءهما. [٢٥٣: ب] و يفترق[4] كل واحد[5] منهما أربعة عروق. ثم يفترق من الأربعة خمسون[6] عرقا. يفترق من الساقين كل ساق خمسة و عشرون عرقا. و اعلم أن الغذاء إذا استقر فى المعدة طبخته الكبد و هى حارة رطبة لاصقة للمعدة[7] من الجانب الأيمن. تمتص منها من صفو الغذاء كل حار رطب لمشاكلتها[8]، فتصفيه بجوهرها و فيها أنابيب كالمصفى[9] فتجذبه العروق فتنقله و تسرى فيها إلى حيث ما تقدم. و أما المرارة[10] فهى معدن يخلط (كذا) يقال له المرة الصفراء. و هى حارة يابسة لاصقة بالمعدة من الجانب الأيمن مما يلى الكبد تمتص منه من صفو الغذاء كل حار يابس[5] للمشاكلة، فتصفيه بجوهرها، ثم تجتذبه[11] العروق[5] كما ذكرناه. و الخلط

(١) زيد فى بن: إلى ذكر بقية أجزاء ابن آدم.

(٢) فى بن: و هو.

(٣) فى بن: ممتد إلى.

(٤) زيد فى بن: من.

(٥) مطموسة فى بن.

(٦) كذا فى بن، و هى فى بر: خمسين. و بهامش بر: الغذاء إذا استقر فى المعدة.

(٧) فى بن: بالمعدة.

(٨) فى بر: لمشاركتها. و أغلب الظن أن الصواب ما أوردنا فى النص عن بن.

(٩) ساقطة من بر، و هى فى بن: كالمصفا.

(١٠) بهامش بر: المرارة. (١١) فى بن: تجذبه.

الثانى المرة[1] السوداء و معدنها[2] الطحال، و هو بارد يابس لاصق بالمعدة[3] من الجانب الأيسر فيمتص من الغذاء كل ما يشاكله . و الخلط الثالث البلغم و هو بارد رطب، و يلى الرئة عرق يمتص من الغذاء ما شاكلها[4] و الحلقوم رأس الرئة[5] على طبيعة الطحال . و هو معدن النفس، و المنخرة[6] رأس الحلقوم مغطاة بطبق و اللهات[7] مدلات عليه . و الحلقوم مجرى النفس، و المرئ مجرى الطعام و الشراب . و القلب [8]فى الجانب الأيسر تحت الثدى الأيسر[8] . قال الشيخ أبو العباس المرسى : لو صفت القلوب و الأسرار، لشاهدت الجنة و النار . و أما الرحم[9] فهو فى الجانب الأيمن ملاصق لعروق[10] الفؤاد، و هو معدن الشهوة، و المعدة معتدلة المزاج كالقدر، و تلك الأوعية لها كالأثافى، و لها فمان مدخل و مخرج، و هو

---

(١) كذا فى بن، و هى فى بر: المرارة .

(٢) كذا فى بن، وهى فى بر: و معدنه .

(٣) ساقطة من بن و واردة فى بر، و بهامش بر: الأخلاط .

(٤) فى بن: يشاكله، و بهامش بر: الرئة و الحلقوم .

(٥) فى بن: الجرية .

(٦) فى بن: و المنجده .

(٧) فى بن: و اللهاة .

(٨-٨) مطموسة فى بن .

(٩) بهامش بر: الرحم .

(١٠) فى بن: بعروق .

مسلك المرئ إلى الفم، و الفم الثانى من تحتها يخرج منه الأثفال[١] و تخدم[٢] أربع قوى[٣] إحداها جاذبة، و الثانية ممسكة، و الثالثة هاضمة، و الرابعة دافعة. فأما الجاذبة[٤] فهى حارة رطبة تقوى الدم و تجذب[٥] الطعام و الشراب من[٥] الفم إلى المعدة، و كل ما شاكلها تصيره دما، و هى منحدرة من أسفل المعدة إلى أسفل البطن[٥]: فتخرج غير متغيرة المشم تشارك ريح الجنوب. و أما الماسكة فباردة يابسة تقوى المرة السوداء، و تمسك الطعام و الشراب فى المعدة، و لا[٦] سبيل إلى المعدة[٦] أن تمسك شيئا دونها، فتخرج متغيرة المشم تشبه الريح[٧] الشمال، و هى على مضادة الجاذبة فبذلك يعتدلان. و أما الهاضمة فتقوى المرة الصفراء، فتستقر فتهضم الطعام بالحر، و تعينها الكبد فتصفيه فى المعدة إلى الفم متغيرة[٨] المشم، و هى حارة يابسة كريح الدبور. و أما الدافعة [٢٥٤: الف] فباردة رطبة تقوى البلغم و تدفع الطعام و الشراب من المعدة إلى الأمعاء إلى الأعفاج إلى الأرض

(١) فى بن: الأنفال.

(٢) كذا فى بن، و الكلمة فى بر: و تحرم.

(٣) بهامش بر: القوى.

(٤) زيد فى بر: فهى جاذبة. ـ و لا وجودها فى بن و هو الصواب.

(٥) مطموسة فى بن.

(٦-٦) العبارة ساقطة من بن.

(٧) الكلمة ساقطة من بن.

(٨) فى بن: فتغيره.

و هى باردة معادلة لريح الصبا . و إذا كان فى الفؤاد رياح و دود و تخمة يؤخذ[1] من السنا المكى أوقية و من الشهار أوقية [2]أنسون أوقية[2] [3]و من الشيح نصف أوقية و عرق سوس نصف أوقية[3] . زر ورد درهم ، [3]مصطكى نصف درهم[3]، عود ريح درهم . كمون أبيض نصف أوقية . يدق الجميع و يخلط بمثل نصفه سكر[4] . و يستعمل بعد ذلك سفوفا . يؤخذ منه عند النوم قليلا . و على الريق قليلا . نافعا مجربا .

و اعلم أن الغذاء لا يصير جزءا من المغتذى حتى يعمل فيه عدة من الملائكة . و معنى التغذى أن يصير جزء[5] من الغذاء جزءا من المتغذى ، فان الغذاء لا يصير دما و لحما و عظما بنفسه[6] ، كما ان القمح بنفسه لا يصير طحينا و عجينا و خبزا حتى تعمل فيه الصناع . [7]فصناع الظاهر أناس[7] ، و صناع الباطن ملائكة ، فقد[8] أسبغ الله[9] عليك يا ابن آدم نعمة ظاهرة

(١) فى بن : فيؤخذ .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٩٤ : ب] .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٤) فى بن : سكرا .

(٥) فى الأصلين : جزءا .

(٦) فى الأصلين : بنفسها .

(٧-٧) فى بن : فظاهر الصناع الناس .

(٨) فى بن : فكيف .

(٩) زيد فى بن : تعالى .

و باطنة

و باطنة ، فانه لابد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم و العظم ، فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ، و لابد من ثان يمسكه حتى تعمل فيه الحرارة بغيرها . ثم لابد من ثالثة[1] تكسبها صورة الدم[2] ، ثم لابد من رابع[3] يدفع القدر الفاضل عن الغذاء ، ثم لابد من خامس يميز العظم واللحم و العروق و ما[2] يليق بها . ثم لابد من سادس للصق[4] ما اكتسب[5] صورة العظم بالعظم و ما اكتسب[5] صورة اللحم باللحم ، ثم لابد من سابع يراعى المقادير فى الألصاق ، فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته ، و بالعريض ما لا يبطل[2] عرضه ، و بالمجوف ما لا يبطل[2] تجوفه ، و يحفظ على كل واحد مقدار حاجته و يدفع الزائد ، فانه لو جمع على الأنف [6]من الغذاء مقدار[6] اللحمة للفخذ تشوهت الصورة ، بل ينبغى أن يسوق[2] إلى الأجفان رقيقها ، و إلى الحدقة صافيها ، و إلى الأفخاذ[2] غليظها ، و إلى العظم صلبها ، مع مراعاة القدر و الشكل و إلا بطلت

(١) فى بن : ثالث .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : دافع . — و هى جائزة أيضا .

(٤) فى الأصلين : لمضيق ، و هو خطأ فنى لا ينسجم مع سياق الحديث يتضح من عبارات قادمة فى النص .

(٥-٥) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٦-٦) فى بن : مقدار . و هى مطموسة جزئيا .

الصورة ، فلو لم يراع[1] هذا الملك[2] الموكل به هذا القسط فساق الغذاء إلى جميع البدن و لم يسق إلى رجل واحدة مثلا فتبقى تلك الرجل كما كانت فى أيام الصغر وكبر جميع البدن ، فترى[3] شخصا فى ضخامة رجُل و له رجْل كأنها رجل صبى صغير . فلا ينتفع بنفسه ألبتة فمراعاة هذه الهندسة [4]مفوضة إلى هذا الملك ، فهذا[4] حال بعض الملائكة الموكلين ببدن بنى آدم مشتغلين بك و أنت فى النوم [٢٥٤ : ب] أو تتردد فى الغفلة ، و هم يصلحون بذلك .

روى أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : و كل بابن آدم مائة و ستون ملكا يذبّون عنه كما تذبون[3] الذباب عن قصعة العسل فى اليوم العاصف - انتهى .

نعود - و صلاح الأمزجة و فسادها[5] تابع[6] لما تقدم[6] بين[7] الجاذبة و الماسكة و الهاضمة و الدافعة . و العلم الطبيعى لإصلاحها هو فائدته و غرضه . و اعلم أن الغضب جمرة فى القلب ، أما رأيتم حمرة فى عينيه و انتفاخ أوداجه ، فمن أحسّ بشيء من ذلك فليلصق بالأرض و النفس

(١) فى الأصلين : يراعى .
(٢) الكلمة ساقطة من بن .
(٣) مطموسة فى بن .
(٤-٤) العبارة مطموسة فى بن .
(٥) فى بر : و فساد . وصححتها فى بن كما أوردنا بالنص .
(٦-٦) فى بن : لما تعد .
(٧) فى بر : من . و الأصح فى بن ما أوردناه بالنص .

يكسب [1] بمجاورته من الطبائع[1] ملكة أى قوة عند غلبة السوداء إلى غير ذلك كما يتشبه الرفيق من رفيقه[2] . و متى كانت هذه الطبائع جارية على اعتدال كانت النفس أحرى إلى السلامة ، وجميع هذا كله بتقدير الله سبحانه و تدبيره ، فمتى تأمل[3] هـذا القصد المحكم ، و الترتيب المنظم ، و معادلة بعض القوى لبعض ، و كيف خلقت اليد للبطش ، و اللسان للكلام ، و الحدقة للرؤية ، و كيف خلقت على شكل ملائم . و خلقت[4] ماء جامدا فى أغشية لطيفة مكنفة[5] بالأجفان . و جعل للأجفان أهداب تقيها المغيرات و النور الكثيف أن يغشاها ، و كل ذلك دال على أن هذا[6] الصنع العجيب ، و الأمر الغريب ، مدبر[7] دبره[8] و عالم[9] أتقنه ، و أن الصانع هو المخترع لتلك الصورة ، فتبارك الله [10]تعالى لا إله إلا هو سبحانه لا إله غيره[10] .

(١-١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بر : رفيقه .

(٣) فى بن : تؤمل .

(٤) فى بن : خلقت . ــ و بهامش بر : العينين .

(٥) فى بن : مكتنفة .

(٦) فى بن : لهذا .

(٧) فى الأصلين : مدبرا .

(٨) فى بن : يدبره .

(٩) فى بر : و علما . و فى بن : و عالما .

(١٠-١٠) فى بن : سبحانه لا إله إلا هو .

[حمد الله على ثمانية]

فيجب على الإنسان أن يحمد الله تعالى من ثمانية[1] أوجه: الأول ان [2]أوجده من[2] العدم، الثانى أن خلقه حيوانا و لم يخلقه جمادا، الثالث أن خلقه ناطقا و لم يخلقه غير ناطق، الرابع [2]أن خلقه[2] ذكرا و لم يخلقه أنثى، الخامس أن [3]خلقه مسلما و لم يخلقه كافرا[3]، [4]السادس أن جعله سنيا ولم يجعله بدعيا[4]، السابع أن جعله من أهل العلم و لم يجعله من أهل الجهل، الثامن أن جعله لمعرفة هذه الرتب أو [5]كلاما ذا معنى[5].

[وظيفة العين و الأذن و اللسان]

و اعلم أن العين[6] خلقت لتهتدى بها فى الظلمات، و تستعين بها فى الحاجات و تنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض و السموات، و تعتبر بما فيها من الآيات و الأذن خلقت لتسمع بها كلام الله[7] و سنة نبيه و حكمة أوليائه و يتوصل باستفادة العلم إلى الملك المقيم و النعيم الدائم. قال الشيخ

---

(١) بهامش بر: يجب على العبد أن يحمد الله تعالى من ثمانية أوجه.

(٢ - ٢) مطموسة فى بن.

(٣ - ٣) فى بن [١٩٥ : الف]: جعله مسلما ولم يجعله بدعيا.

(٤ - ٤) العدد السادس ساقط من بن.

(٥ - ٥) مطموسة فى بن، و فى بر الكلمة الأخيرة: معناه.

(٦) من بن، و فى بر: العينين.

(٧) زيد فى بن: تعالى.

أبو العباس المرسى [١]رحمه الله[١]: إذا تكلم العارف بكلمة غاب[٢] فيها [٢٥٥: الف] وجود المستمع لأن الكلام ذكر و السمع أنثى، و الرجال قوامون على[٣] النساء، لو تنفس العارف[٤] فى بلدة ثبت أيمان[٢] كل عبد فيها[٣]. و أما اللسان فانه خلق لتكثر به ذكر الله تعالى و تلاوة كتابه، و ترشد[٥] به خلق[٢] الله تعالى إلى طريقه، و تظهر به ما فى ضميرك من حاجات دينك و دنياك و اعلم أن الألسنة ثلاثة: لسان نقل عن لسان، و لسان نقل عن قلب، و لسان نقل عن غيب. فالناقل عن لسان حال، و الناقل عن قلب عالم، و الناقل عن غيب عارف. فلسان اللسان هواء [١]عن هواء[١]، و لسان القلب داع إلى هدى[٦]، و لسان الغيب يشير إلى عالم المحو و الفناء[٧]. انتهى[٤].

[ما قيل فى الأزمنة و الطبائع]

[٨]فلنذكر الآن ما قيل فى الأزمنة و الطبائع إن شاء الله تعالى اعلم أن الأزمنة أربعة: الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء. فالزمان الأول

(١ – ١) ساقطة من بن. (٢) مطموسة فى بن.
(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن. (٤) الكلمة ساقطة من بن.
(٥) فى الأصل: يرشد. (٦) فى بن: الهدى.
(٧) فى بن: الثناء.
(٨) هذا القسم ابتداء من « فلنذكر الآن » [بن ١٩٥ : الف] لغاية « وقد يستفرغ البلغم بالقيء » فيما بعد ساقط بأكمله من بن و يستأنف الكلام فى كلا الأصلين عند « اعلم أن أفعال القوى » [بر ٢٠٦ : الف] وقد حاولنا نسخ هذا الجزء حرفيا كما هو فى المخطوط وهو مملوء بمشكلات مواصفات الطب القديم التى لا علم للناشر بها.

الربيع ، و هو طبيعة الدم حار رطب . و الزمان الثانى الصيف و هو حار يابس سلطانه المرة الصفراء . و الزمان الثالث الخريف و هو بارد يابس سلطانه المرة السوداء . و الزمان الرابع الشتاء و هو بارد رطب سلطانه البلغم . فشبه فصل الربيع بفصل الطفولية حار رطب ، و فصل الصيف بالشباب حار يابس ، و الخريف بالكهول بارد يابس ، و الشتاء بالشيخوخة بارد رطب . و للدم و الصفراء و السوداء و البلغم علامات ، فان غلب الدم فنعاس و تثاوب و تمطط و حك مواضع الفصد وظهور بثور دموية و حلاوة الريق و الرؤيا فى المنام و اللهو[1] و الطرب و الألوان الحمر، و الرعاف الكافور المذاب فى ماء الورد و ماء الخيار و يسعط به فانه يقطع الرعاف . و إن غلبت الصفراء فمرارة الفم و العطش و خشونة اللسان و جفاف الأنف و استلذاذ النسيم البارد و ضعف شهوة الغذاء و نارية البول و ظهور آثار الصفراء فى القيء و البراز و رؤيا الطيران و النيران فى المنام . و إن غلبت السوداء فقحل البدن و كمودته و احتراق المعدة و قوة شهوة الغذاء و سهر و وسواس و رؤيا الآيات و المخاوف. و إن غلب البلغم فبياض البول و كثرة الريق و ضعف الهضم و الجشأ الحامض و الترهل و كثرة النوم و رؤيا المياه و الثلج . يؤكد هـــذه العلامات الفصل و البلد و السن ، فمتى غلب الدم وحده أو مع غيره فاستفراغه بالفصد أو الحجامة ، فان تخلف بعده سوء المزاج حار رطب

(١) فى الأصل : اللهو .

فيعدل [٢٥٥ : ب] باستعمال المبردات القامعة مثل شراب الورد الطرى و القراصيا و الحماض و الليمون أو التمرهندى أو الحصرم أو الرمان أو الهندبا أو العناب أو السكنجبين أو التفاح. و إن كانت الطبيعة لينة جدا فشراب الآس أو السفرجل أو الورد الأزرار ، و إن كانت مصقلة فشراب الورد المكرر بمائه و بماء النوفر . و يحذر من الشديد الحموضة حيث يكون الصدر أو العصب أو الأمعاء ضعيفة ، و عند السعال بالخس و الهندبا بالخل و السكر أو الرجلة و هى البقلة الحمقاء و سويق الشعير بالسكر أو فروج بماء الحصرم أو بحب الرمان١ ، و إنما تستعمل الفراريج عند ضعف القوة، و متى غلبت الصفراء فيستفرغ بمطبوخ الفاكهة و صفته : إجاص أوقيتان ، قراصيا و عناب و تمرهندى من كل واحد أوقية ، زهر بنفسج و سنامكى من كل واحد خمسة دراهم ، خطمية مقشورة أربعة دراهم ، ينقع ليلة و يغلى و يلقى عليه سبع زهرات نيلوفر و سبع زهرات ورد نصيبينى إن وجد ، و يصفى على عشرين درهما شيرخشك و عشرة دراهم ترنجبين أو ثلاثين درهما ورد نصيبينى مكررا و ثلاثين درهما سقر بنفسج ، و ان احتمل الحال أكثر من ذلك. فيصفى عليه خمسة عشر درهما لب خيار شنبر ممروش بدرهم دهن لوز حلو ، و يصفى على أوقيتين سكر، و يشرب سحرا و يفرك عليه خروبتين محمودة لتقوية فعله و إسراعه ، و إن تأخر عمله يحرك بماء أغلى فيه شمار أخضر و خطمية مقشورة وحده أو مع سكر و يتقيأ عند منتهى فعله ، و يغسل الوجه و الأطراف بماء بارد

(١) فى بر : بالحب رمان .

مع نصف درهم بزرقطونا صحيح، و يغتذى بعد ساعتين بمزورة رشتا دقيقه خميرا و بسويق شعير مغسول محلى بشراب ورد طرى. و متى غلبت السوداء استفرغ بمطبوخ الأفتيمون و هو مطبوخ الفاكهة يزاد عليه بسفانيج مجرود مرضوض ستة دراهم، إهليلج كابلى مرضوض أربعة دراهم غاريقون مقطع مثقال، و يلقى عليه فى آخر الطبخ ستة دراهم أفتيمون اقريطشى مبسوس بدهن لوز حلو فى صرّة كتان رخوة، و يدر على وجه القدح نصف مثقال راوند و نصف درهم حجر أرمنى مصول، و يفرك عليه المحمودة أو يستفرغ بسفوف السوداء، يؤخذ منه سبعة دراهم مقواة بخروبتين محمودة، و يحرك و يقطع كما تقدم، و يغتذى [٢٥٦ : الف] بدجاجة سمينة مصلوقة. و متى غلب البلغم فيستفرغ بمثقال غاريقون أو درهمين وحده، اما أن يلعق بشراب الليمون، أو يعمل حبا يبلع بجلاب و يحرك بعد بلعه بمغلى من عرق سوس مجرد مرضوض و شمار أخضر و خطمية مقشورة، و يصفى على سكر، و يستفرغ بمثقالين أيارج لوغاذيا مقواة بمثقال غاريقون و خروبتين محمودة و يحبب بدهن لوز، و يبلع بجلاب سحرا، و يحرك بالمغلى المذكور، و يتقيأ عند منتهى فعله، و يقطع بأوقيتين شراب تفاح بماء لسان ثور مع نصف درهم بزر ريحان صحيح، و يغتذى بدجاجة مصلوقة، و قد يستفرغ البلغم بالقيء.

و اعلم[1] أن أفعال القوى الطبيعية هضم الغذاء و استمرائه[2] و دفع

---

(١) هنا يستأنف الكلام فى كل من بر و بن معا.

(٢) كذا فى بن، و الكلمة فى بر: و استمراره.

فضلاته

فضلاته . [1]و البول يدل على[1] هضم الكبد و العروق ، [1]و أجود البول ما كانت[1] أجزاؤه كلها متشابهة فى اللون و القوام ، و أجود أبوال المرضى ما أشبه بول[2] الأصحاء . و البول الصحى[3] هو الأصفر اللون المعتدل[3] القيام[4] الذى يظهر فيه رسوب محمود و هو الأبيض الأملس المستوى غير كريه الرائحة[5] الذى يبال كدرا و يبقى على حاله ، ثم الذى يبال صافيا و يتكدر ، و أزكاها الرقيق الشبيه بالماء الذى يبقى[1] على حاله . و كل بول غير الأبيض و الأصفر و الأحمر دال على الهلاك .

[1]و أعلم أن الإنسان دائما فى الدنيا سائر[6] إلى[1] الموت. قال الشاعر :

و من عجب الأيام أنك قاعد   على الأرض فى الدنيا و أنت تسير
تسير الليالى بالفتى لا يحسها   من الناس إلا عاقل و بصير

فابن آدم فى الدنيا مثله كمثل فرخ فى عشه[7] ، فاذا استوى ريشه طار

(١ – ١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بن ابوال.

(٣) الكلمة مطموسة فى بن .

(٤) فى بن القوام – و ربما كانت الأصح.

(٥) زيد فى بن : ثم .

(٦) فى بر : سائرا .

(٧) فى بن : عش .

و تركه بطيرانه إما لصلاحه أو لفساده ، و ما يعلم ما يراد به ،[١] بل دخل الدنيا[١] مضطرا ، و عاش فيها حائرا ، و خرج منها كارها مع ما يقاسي في دنياه من الهموم و الأنكاد ، و ما يبلغه من القول في فتنة الموت و فتنة[٢] القبر و الحساب و المعاد[٣]. قال أبو العلاء[٢] المعري[٤] :

نعذب في البطون و ما جنينا[٢] و يذبح[٥] في حشا الأم[٦] الحوار
و ننتظر الرزايا و البلايا و أما بالوعيد لنا انتظار
فكانت نعمة لو أن كنا نخير[٧] بعد ذا أو نستشار[٨]

(١ - ١) العبارة مطموسة في بن .
(٢) الكلمة مطموسة في بن.
(٣) في بن : في المعاد.
(٤) في بر : المعزى .
(٥) مطموسة في بن ، و في بر : يربح .
(٦) في بن : الأيام .
(٧) في بن : مخيرو .
(٨) زيدت هنا في بن [٩٥١ : الف - ب] العبارة الآتية آثرنا إدراجها بالهامش نظرا لما فيها من خبل و لأنها على هامش موضوع الكتاب : و اعلم أن أزواج المؤمنين يتعاهد (كذا) بعد الموت بحفرة صاحبها عند كل مساء فيما فيه من لطيف القدرة، يعلم الميت بزائره ، و يجد التنعم في قبره ، و أرواح المؤمنين في قناديل تحت العرش يرون أهلها على قدر منزلته من الله في صورة طائرة ، و منهم من يزور في كل جمعة ، فيستر عنه القبيح، و يبرز له الحسن ، فيسره . و قيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود حببني إلى عبادي . فقال الهي =

[حكاية تشتمل على فرج بعد حرج]

حكاية تشتمل على فرج بعد حرج، و حدوث حزن بعد سرور[1].

حكى [٢٥٦:ب] أن الإفرنج[2] حين ظفرهم بالإسكندرية قبض بعضهم على جماعة نسوة، حمّلوا كل امرأة منهن كارة مما نهبوه، و صاروا يسوقونهن بين أيديهم، و على رأس إفرنجي منهم كارة كبيرة أثقلته، فصادفوا مسلما قبضوه وحملوه ما على رأس الإفرنجي، و صاروا طالبين باب البحر، فارتخت الكارة التي على رأس المسلم من ثقلها في بعض الشوارع منعته نظر الطريق[3]، فقال للافرنج: قد انحلت هذه الكارة و ارتخت فاربطوها حتى أسير بها، [4]فأنزلها عنه الإفرنج[4] و اشتغلوا بعقدها [5]و ربطها، ففر المسلم هاربا[5]، و رمت امرأة من النسوة ما على رأسها و تبعته، فتركها[6] الإفرنج لما هم أهم

= و سيدي و كيف أحبيك إلى عبادك؟ فقال: ذكرهم نعمتي عليهم، و إحساني إليهم. قلت: يا رب هذه رحمتك للأحياء فما الذي أعددت للموتى؟ فأوحى الله إليه: يا داود لم اكن . . . . (مطموسة) . . . عنهم وهم أحياء يرزقون، وكيف أنساهم وهم تحت أطباق الثرى و مغيبون؟ يا داود لو أجاب لأهل القبور في جوابك لأخبروك أن لطفي بهم بعد مماتهم أعظم من لطفي بهم في حياتهم - انتهى.

(١) زيد في بن: و ظفر.

(٢) في بن: الفرنج.

(٣ - ٣) الكلمة مطموسة في بن.

(٤ - ٤) في بن: فأنزلوها. و في بر: «فأنزلتها» موضع «فأنزلها».

(٥ - ٥) مطموسة في بن.

(٦) في الأصل: فتركتها.

به منهما[1]، فصادفا[1] مدرسة مفتوحة الباب، دخلاها[2] وتوصلا إلى ميضتها[3]، و اختفيا ببيت ماء غلس بها، و كانت المرأة [4] عليها ملاءة[4] ملتحفة، فنظر الرجل و إذا عليها ثياب حرير و قلائد ذهب و عنبر و فى يديها أساور الذهب[1]، فراودها عن نفسها فامتنعت بالعفاف[5] و الصون[6] و قالت: أنا بنت بكر لا أعرف الرجال أبدا. [7]فسألها عن أمرها[7] فقالت: لبست ما تراه علىّ، و قصدت الهروب به مع النسوة[1] التى رأيتهن قاصدات باب البحر لننجوا من الأسر فوقعنا فيه بمصادقة الإفرنج[8] لنا، فلما استأسرونا حملونا ما كنا حاملينه[9]، و هذا الذى تراه علىّ شوّرنى به أبى، و ليس لأبى غيرى[10] و لا لى غيره و لا أدرى أ حى هو أو قتيل أو أسير. قال الرجل: فتعجبت من أمرى و أمرها فى الخلاص من الأسر. و أقمنا خائفين بقية يومنا

(١) الكلمة مطموسة فى بن.

(٢) فى بن: فدخلاها.

(٣) فى بن: ميضاتها.

(٤ - ٤) ساقطة من بر: و واردة فى بن.

(٥) فى بن: بالورع و العفة.

(٦) ساقطة من بن.

(٧ - ٧) فى بن مطموسة.

(٨) فى بن: الفرنج.

(٩) فى بن: حاملينوه.

(١٠) فى بن: غير.

ممن

من يدخل علينا من الإفرنج ليستأسرونا[١] أيضا. فلما [٢]دخل الليل خرجنا من المدرسة، و مضينا في[٢] الظلمة نعثر في القتلى الى أن خرجنا من باب رشيد، اذ هو كان مفتوحا قد خرج[٣] المسلمون منه، و [٢]لم تفهمه[٢] الإفرنج[٤] لبعده عنهم في الجهة الشرقية من الإسكندرية، و اشتغالهم بنهب الجهة الغربية[٥]. قال فسرنا حتى أتينا خليجها الذى بظاهرها، فجلسنا مستأنسين بمن وجدناه هناك من المسلمين الشاردين، فقلت[٦] لها: ما [٧]جمع الله بيني و بينك إلا[٧] لأكون زوجك[٨]. فقالت: ان قدر الله ذلك سيكون. فلما أصبح الصباح أبصرت البنت شيخا فنادته[٩] فأتى إليها ورمى[١٠] بنفسه عليها [٢]باكيا فبكت هي[٢] أيضا و قالت: يا أبت الحمد لله الذى جمعك عليّ فلقد احترق قلبي [٢]لفقدك. فسألها[٢] عن أمرها، فحدثته[١١] خبرها و خبري و أثنت [٢٥٧: الف] عليّ خيرا. و قالت: لم يمسسني سوء. بل أنا من فضل الله [٢]تعالى كما تحب[٢] و ترضى في نفسي [١٢]نفسي و مالي[١٢]. فحمد الله

(١) في بن: يستأسرنا. (٢ - ٢) مطموسة في بن.
(٣) في الأصلين: خرجت. (٤) في بن: الفرنج.
(٥) ساقطة من بن. (٦) في بن: قال فقلت.
(٧ - ٧) في بن: جمعني الله عليك.
(٨) زيد في بن: ان شاء الله تعالى.
(٩) الكلمة مطموسة في بن.
(١٠) كذا في بن، و هي في بر: رمى - بسقوط واو العطف.
(١١) في بن: فأخبرته.
(١٢ - ١٢) في بن: النفس و المال.

تعالى و شكره[1] على جمع شمله بابنته[2] وصيانتها و حفظ ما هو عليها[2] . فنظر عند ذلك أبوها إلىّ[3] و قال: سأزوجك بها إن شاء الله تعالى . قال فأقمنا نهارنا و أنا مسرور بقول أبيها ذلك ، و الناس يموجون من كثرتهم ، فاختلطا بهم فلم أعرف أين أخذا ، فلا أدرى هل اختفيا منى أو لم يعرفا مكانى . فتألمت لفراق تلك البنت الجميلة التى طمعت أن تكون [4]لى زوجة حليلة[4]، فخاب أملى ، و ضافت[5] حيلتى ، و عيل صبرى . و تحيرت فى أمرى و [6]قال بلسان حاله[6] ، لعدم[7] احتياله :

شكر الله لأيام[7] الوصال[7]   [8]فلقد كان[8] به العيش صفا لى
و رعى الله لياليه التى   كن فى جيد الليالى كاللآلى
إن أوقاتا بوصل قصرت   بعد أيام من الهجر طوال
[9]فزوت عنى الغوانى وجهها[9]   عن قلًى لا عن تجنّ و ملال

(١) الكلمة ساقطة من بن .
(٢-٢) فى بن : و الصيانة .
(٣) ساقطة من بر : و واردة فى بن .
(٤ - ٤) فى بن : زوجتى .
(٥) فى بن : و ضاعت .
(٦ - ٦) فى بن : و قلت بلسان حالى .
(٧) مطموسة فى بن [١٩٦ : الف] .
(٨-٨) فى بن : لقد كنت .
(٩-٩) فى بن : فوزت عين الغوانى .

ثم [1]بكى و اشتكى[1] و تقرحت أجفانه بالبكاء، و لسان حاله يقول:

كل من أهوى يفارقنى ذاك من شؤمى و من نكد
لو هويت الشمس فى بلد حجبت عن ذلك البلد

ثم إنه [2] داوم النواح، [3]و زال عنه الانشراح[3]، من هيامه بها، فصار[2] مختبل العقل بسببها، فصار[4] يتكلم بالفضول، و لسان حاله يقول:

من المعين على خود بليت بها فبالمعونة تستكفى البليات
حوت فؤادى فلا يفديه من أحد لواحظ وعيون بابليات
إذا الظباء رعت أحوى[5] الحشيش ففى غزالة قد رعت [6]منى الحشاشات[6]

[7]ثم إنه صار لفقدها ولهان، كثير البكاء و الأحزان. قوله من المعين على خود[7]، الخود المرأة الحسنة[8] الخلق و الغادة الناعمة و الصيدا[9] المنثنية من اللين[9] و الخفرة الحيية، و كذلك الخريدة و العروب المتحببة إلى

(١-١) فى بن: بكا و اشتكا.
(٢) الكلمة ساقطة من بن.
(٣-٣) الجملة ساقطة من بن.
(٤) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٥) فى بن: أحرى.
(٦-٦) مطموسة فى بن.
(٧-٧) فى بن: و إذ قد ذكرنا الخود فلنذكر ما قيل فيها و فى غيرها.
(٨) فى بر: الحسن، و صححتها فى بن كما أوردنا بالنص.
(٩) مطموسة فى بن.

زوجها . و الغانية صفة تمدح بها المرأة ، و الأصل فى الغانية أنها ذات الزوج ، و حنة الرجل زوجته ، و هى أيضا حليلته[1] و عرسه و ظعينته و بيته[2] و قعيدته و زوجته[3] ، [4]و قد يعمل على المرأة العفيفة و ترمى بقول الزور و ينجيها الله تعالى بكرمه من ألم الشرور .

[حكاية قاض من بنى إسرائيل]

حكى أنه كان فى بنى إسرائيل قاضيا من قضاتهم ، و كانت له زوجة بديعة الجمال ، كثيرة الصون و العفة و الجمال . فأراد القاضى [٢٥٧ : ب] النهوض إلى بيت الله الحرام بسبب الحج ، فاستخلف أخاه على القضاء و أوصاه بزوجته . و كان أخوه سمع عنها جمالا فائقا و حسنا بديعا ، فكلف بها كلفا عظيما . فلما سافر أخوه ، وجّه إليها ، و راودها عن

(١) ساقطة من بن .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) زيد فى بن : « قال بعضهم فى التشبيهات :

خلوت بها و الروح ثالثة لنا و جنح ظلام الليل قد مد وانفلج
فتاة عــد .... الا يقربها فهل فى ابتغاء العيش ويحك من حرج)
كأنى وهى والكأس والخمر والدجا حياة و تر ... التبر و الشبج »

و الأبيات أغلبها مطموس و غير واضح فآثرنا تركها بالهامش بعد قراءة ما استطعنا قراءته منها .

(٤) هذا القسم من بر بما فيه حكاية قاضى بنى إسرائيل برمتها ساقط من بن . و يستأنف الكلام فى كليهما ابتداء من «حكاية تشتمل على فراق الأحبة بالأسر و الغربة » .

نفسها

نفسها ، فاستعصمت بالورع ؛ فلما يئس منها ، خاف أن تخبر أخاه بصنيعه إذا قدم ، فاستدعى شهود زور ، و رفع أمرها إلى ملك ذلك الزمان بأنها زنت و قد حكمتُ برجمها ، فقال الملك : إن كنت حكمت برجمها فارجمها ، فحفر لها حفيرة ، و أقعدت فرجمت حتى غطتها الحجارة ، و قال : تكون الحفيرة قبرها . فلما جُن الليل صارت تئن لشدة ما نالها ، فمر رجل يريد قرية ، فسمع أنينها ، فقصدها و أخرجها و حملها إلى زوجته و أمرها بمعاناتها حتى استقلت ، و كان لامرأته ولد فدفعته إليها ، فصارت تكفله و تبيت بـه فى بيت ثان[١]. فرآها أحد اللصوص فطمع فيها ، و راودها عن نفسها ، فامتنعت فعزم على قتلها ، و أهوى بالسكين إليها ، فوافق الصبي فذبحه ، فلما علم أنه ذبح الصبي أدركه الخوف و خرج من البيت ، فأصبحت المرأة و الصبي مذبوح بين يديها ، و جاءت أمه فقالت لها : أنت ذبحت ولدى ، و ضربتها ضربا وجيعا ، و جاء الرجل فقال لزوجته : و الله إنها لا تفعل ، و هذا شيء جرى من غيرها . فأذفقذها منها . فخرجت المرأة فارّة بنفسها ، لا تدرى أين تذهب ، و لا أين تتوجه ، و عندها بعض دريهمات مربوطة على وسطها من حين رجمها ، فمرت بقرية من القرى ، و الناس مجتمعون ، و رجل مصلوب على جذع نخلة . فقالت : يا قوم ما خبر هذا المصلوب ؟ فقالوا لها : إنه أصاب ذنبا لا يكفره إلا قتله أو صدقة كذا و كذا دراهم ، و لم يوجـد له

(١) فى الأصل : ثانى .

دراهم . فقالت : يا قوم خذوا منى هذه الدراهم و خلصوه . فأخذوها منها و أطلقوا سبيله ، فتاب على يديها . فآلى على نفسه أن يخدمها حتى يموت . فابتنى[1] لها صومعة ، و صار يحطب الحطب يبيعه و يأتيها بقوتها ، و ينام تحت صومعتها ، و اجتهدت فى العبادة حتى كانت لا يأتيها مريض أو مصاب أو ذو عاهة و تدعو له إلا شفاه الله . و كان قد أنزل الله بأخى زوجها القاضى عاهة بوجهه . و أنزل بالمرأة التى ضربتها برصا . و امتحن السارق بأن أقعد و صار مُكَسَّحا . و جاء القاضى زوجها من حجه ، فسأل أخاه عن زوجته . فقال : إنها زنت و رجمت إلى أن ماتت فأسف عليها [٢٥٨ : الف] زوجها ، و احتسبها عند الله تعالى . و قال : عجبت من تلك المرأة العفيفة كيف زنت حتى رجمت ، لا قوة إلا بالله . ثم أنه وجد أخاه كسيحا مقعدا فتألم له . قال و تسامع الناس بخبر تلك المرأة حتى كانوا يأتونها من أطراف البلاد تدعو لهم فيحصل لهم الشفاء . فقال القاضى لأخيه : لو قصدت هذه المرأة الصالحة ، لعل الله أن يجعل لك على يدها فرجا و شفاء . فقال : يا أخى احملنى إليها . قال و سمع بها زوج المرأة البرصاء الذى ذبح ولدها ، فحملها زوجها إليها ، و سمع بها السارق الذى ذبح الصغير فصار إليها . و اجتمع الجميع عند باب صومعتها ، و لا يراها أحد ، و انتظروا خديمها حتى يصل ، فرغبوا إليه بأن يستأذن عليها ففعل ، فتنقّبت و وقفت على باب الصومعة لزوجها و أخيه و اللص و المرأة ، فعرفتهم و هم لا يعرفونها ، فقالت لهم : يا هؤلاء !

(١) فى الأصل : فابتنا .

إنكم لا تستريحون حتى تعترفوا بذنوبكم السالفة. فان العبد إذا اعترف بذنبه تاب الله عليه، و أعطاه منه ما قصد فيه. فقال القاضي لأخيه: تب إلى الله و لا تصر على عصيانك. قال: يا أخي الآن أقول الحق فعلت بزوجتك و صنعت. و قالت المرأة: كانت عندي امرأة نسبت إليها ما لا أعلمه فضربتها عمدا و نفيتها تعديا. و قال اللص: دخلت على امرأة راودتها عن نفسها فامتنعت، فذبحت صبيا كان بين يديها. ففتحت المرأة عند ذلك صومعتها، و أبدت إليهم وجهها. فعرفوها و خضعوا بين يديها، فقالت: اللهم كما أريتهم ذل المعصية فأرهم عز الطاعة. فشفاهم الله تعالى من مرضهم. فرجع إليها زوجها، و لزم الجميع خدمتها حتى أتاهم الموت. قال بعضهم:

أيا نفس للعن الأجل تطلبي و كفي عن الدار التي قد تقضت
لعمرك ما الدنيا بدار أخي حجا فتلهو بها عن دار فوز و عزت
عن الموطن الأسنى عن القرب و اللقا عن العيش كل العيش عند الأحبة
فو الله لولا ظلمة الذنب لم يطب لك العيش إلا دون مي و عزة
و لم ترتضي إلا الأجيرع مربعا و ما دمت معنى دون سلع و رامة
مواطنك الأولى مرابعك الألى تشاغلت عنها بالأمور الخسيسة
مواطن أنس كلما دار ذكرها تسامى إلى لقيائها كل همتي
أيا رب هذا منهج الحق قد بدا و قد وضحت للنفس سبل الهداية
فيا رب بالهادي البشير محمد صفيك في الدارين خير الخليقة [٢٥٨:ب]
أعني على نفسي و حبب لقاك لي و بغض لي الدنيا و عجل بتوبتي

وكن مؤنسى فى وحدتى وملقنى إذا سأل السؤال يا رب حجتى
وخذ بيدى وارحم من العجز وصفه ولا تخزنى يا رب يوم الفضيحة
وهبْ لى علما نافعا أهتدى به إليك واسلك بى سواء الطريقة
وسدد مقالى والفعال وعافنى إلهى فى الدارين من كل محنة
وصل وبارك ما تغرد طائر على خير مبعوث إلى خير أمة

[حكاية تشتمل على فراق الأحبة]

[1]حكاية تشتمل على[1] فراق الأحبة بالأسر والغربة . حكى أن [2]الإفرنج دخلوا[2] دارا بالإسكندرية حين ظفرهم بها، فوجدوا امرأة بارعة الجمال، فاختارها كبيرهم لنفسه. وكانت أمها ساكنة بدار تقابل دارها. فلما رأت الإفرنج هجموا دار ابنتها، [3]خرجت من دارها ودخلت دار ابنتها[3] من[4] حرقتها عليها، وتوهمت[5] أنهم يقتلونها[6] ولا يحيوها[7]. فجعلت تقول: اقتلونى ولا تقتلوها. فقال كبيرهم: لسنا نقتلك ولا نقتلها، بل نحسن لك ولها، [8]وأما أنا فقد[8] أحببتها وأريد (أن[9])

(١-١) مطموسة فى بن، وبهامش بر: حكاية وهنا يستأنف الكلام فى كل من بر و بن.
(٢-٢) العبارة مطموسة فى بن.
(٣-٣) ساقطة من بن.
(٤) فى بن: فمن.
(٥) فى بن: توهمت.
(٦) فى بر: يقتلوها. والصواب فى بن كما أوردنا بالنص.
(٧) فى بن: يبقوها.
(٨-٨) فى بن: وأتى قد.
(٩) لا وجود لها بالأصلين. وأضفناها لاستقامة الجملة والسياق.

أحملها

أحملها معي تقيم [1] عندي سنة و أردها [1] إليك ، و لا أمكن أحدا من نهب دارك و لا دارها إكراما لها . قال لها ذلك ، و ابنتها [1] ترعد من خوفها منهم و تبتعد عنهم ، فتقدم [1] الإفرنجي إليها سكن روعتها [1] و مسح بأنامله [2] عبرتها [3] و قال لها : لا تخافي [1] و لا تحزني [1] ، سوف أردك بالهدايا إلى أمك . ثم قال لأمها : افتحي كفك [4] . فعد لها فيه خمسة و عشرين دينارا استجلابا لقلبها ، و لسان الحال يقول :

إن [5] الهدايا حلوة [5] كالسحر تجتذب القلوبا
تدني البعيد من الهوى حتى تصيره قريبا

و لسان الحال أيضا يقول:

[1] هدايا الناس [1] بعضهم لبعض يولد في صدورهم الوصالا
و يزرع في القلوب هوى و ودا و يكسوهم إذا حضروا جمالا

ثم قال [6] : [1] لا تخشى عليها و حلف بدينه [1] أنه يرسلها إليها . قالت [7] :

(1-1) مطموسة في بن .
(2) في بن : بيده .
(3) في بن : دمعتها .
(4) في بن : يدك .
(5-5) في بن : الهدية حلوة .
(6) زيد في بن : الفرنجي لأمها .
(7) في بن : فقالت له إذا .

فاذا أخذت منى[1] ابنتى ، ما [2]تكون حيلتى إذا نهبونى أصحابكم ، و قتلونى بعد رواحكم[2] ، فدفع[3] لها شنيارا يعرف به و قال : اجعليه[4] فى رأس قنطارية[5] . [٢٥٩ : الف] [6]و أظهرى الشنيار[6] من طاق دارك ، تأمنى به ممن يقصد شارعك جميعه . فأخذت منه ذلك الشنيار ، و فى قلبها[3] من فراق ابنتها لهب النار . ثم إنها ودعت ابنتها و تباكيا ، و لسان الحال[7] يقول :

النوى قد أضرمت جمرة فى أضلعى
فتراني بعـدهم مستهاما لا أعى
مقلتى سحى دما بعد فيض الأدمعى
كيف آوى بعدهم فى ديار بلقعى
ياليالينا ارجعى ثم عودى و ارجعى

---

(١) ساقطة من بن .
(٢-٢) فى بن : و ذهبت جاء غيرك من الفرنج بعدك نهبنى و قتد(ونى) .
(٣) الكلمة مطموسة فى بن .
(٤) فى بن : ضعيه .
(٥) فى بن : رمح .
(٦-٦) فى بن : و أظهريه .
(٧) فى بن : حالها .

و اجمعى[١] شملى على   شمل أحبابى معى

ثم أن البنت [٢]صارت حين مضيها معهم[٢] تلتفت إلى أمها ، و تتأوه من همها و غمها ، و لسان حالها يقول:

و [٣]سائلى بمزعجى عن[٣] وطنى   ما ضاق بى جانبه و لا نبا
قلت القضا ما لك أمر الفتى   من حيث لا يدرى و من حيث درى
لا بد ما يلقى امرء ما خطّه   ذو العرش مما هو لاق و وحا

ثم أن أمها[٤] لزمت [٣]الدار ، و أظهرت[٣] من الطاق[٥] الشنيار ، فأمنت هى و جيرانها[٦] من معرة الكفار. فلما أمن[٧] المسلمون بوصول[٨] النجدة من مصر ، و تحصنت الإفرنج[٩] بمراكبها فى البحر ، أتى زوج ابنتها فلم يجدها بداره ، [١٠]و التهب بلهيب ناره[١٠]. فسأل أمها عنها ، فأخبرته بما جرى ، فانطرد عن جفنه الكرى ، و صار يضرب على صدره[١١] بيديه ،

(١) فى بن : فاجمعى .
(٢ - ٢) فى بن : سارت معهم و هى .
(٣-٣) مطموسة فى بن .
(٤) فى بن [١٩٦ : ب] أم الصبية .
(٥) فى بن : كوة دارها .
(٦) فى بن : و أهل شارعها .
(٧) فى الأصلين : أمنت .
(٨) الكلمة مطموسة فى بن .
(٩) فى بن : الفرنج .
(١٠ - ١٠) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(١١) فى بن : وجهه و صدره .

و دمعه [1] سائل على خديه[1] ، و لسان حاله يقول :

تقطعت الأوصال بالهجر و البين   و سحت سحاب الدمع من أبحر العين
و ذاب الحشى من لوعة البعد والنوى   و صاح غراب البين بالهجر و البين
ألا يا عـــذولى[2] كم تلوم متيما   رماه الجفا و الوجد حقا بسهمين
أيسلوهم من أنحل الحب جسمه   يودّ بأن يسعى إليهم على العين
و يبذل ثم الروح فى حضرة اللقا   يوفى نذورا و النذور[3] من الدين

ثم إنه[4] هام بوجده ، و غاب[4] عن رشده ، و لسان حاله يقول :

زاد الغرام[4] و هاج الشوق من[4] حرقى   فالقلب فى لهف[4] و الجفن فى أرق
و لؤلؤ الدمع فوق الخد منتثر   شبه العقيق بدا من أبحر الحدق
و صارم الهجر فى الأكباد قطعها   و البين يرمى[4] بسهم منه مرتشق
ركبت بحر الهوى غرا فصادفنى   عواصف الريح[4] أشرفنا على الغرق

[حكاية العجوز النصرانية]

حكاية تشتمل[4] على نهب مال وعدم أسر و قتل[4] . حكى[5] أن[4] عجوزة نصرانية [٢٥٩:ب] كسيحة غنية تعرف[6] بنت القسيس[6] جرجس بن فضايل تسكن دارا حسنة[4] البنيان ، عالية الأركان ، مجاورة لكنيسة موضع يعرف بالإسكندرية

(١-١) فى بن : جار من مقلتيه على خديه .
(٢) فى بن : يا عاذولى .
(٣) فى بن : و النذر .
(٤) الكلمة مطموسة فى بن .
(٥) بهامش بر : حكاية .
(٦-٦) مطموسة فى بن .

بقلزى[1] . فكسرت الإفرنج[2] حين ظفرهم بها بابها[3] ، و دخل لها عشرون[4] علجا على كواهلهم القسى الموتورة[5] . و بأيديهم السيوف المشهورة ، فلما رأتهم جوار النصرانية و وصفانها فروا [6]هربا منهم[6] إلى سطوح الدار ، و لتلك[7] الدار أبواب [8]مجالسها منقوشة ، و أصحنها بأنواع الرخام مفروشة[8] . فرأوا العجوز جالسة مستقبلة الشرق . فقالوا لها : من تكونى ؟ قالت : عجوز [8]نصرانية ذمية مقعدة[8] . [9]ثم أنها صلبت[9] على وجهها باصبعها . فعلموا أنها صادقة [10]فيما قالت[10] ، ثم قالوا لها : أين الذهب و الفضة ؟

---

(١) انظر مجلة آثار الإسكندرية عدد ٤ ص ٧٣ فى تعريب الكلمة اليونانية Ekkiysia = εkkλyσia بمعنى كنيسة و قد ورد فى « نهاية الأرب » للنويرى (ج ١ ص ٣٨٢) : و من المبانى القديمة القليس و هى كنيسة كانت باليمن ، بناها أبرهة بن الصباح ملك اليمن بصنعاء .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) فى بن : باب دارها .

(٤) فى بر : عشرين و فى بن : العشر .

(٥) فى بن : الموترة .

(٦ - ٦) فى بن : هاربين .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : تلك .

(٨ - ٨) مطموسة فى بن .

(٩ - ٩) فى بن : و صلبت .

(١٠ - ١٠) فى بن : فى قولها .

فقالت : [١]في هذا[١] الصندوق الذى ترونه . و رمت لهم مفتاحه[٢] ، قالت[٣] فوضعوا قسيهم إلى جانب حائط المجلس و فتحوا الصندوق أخذوا ما فيه من ذهب و فضة و قماش ، ثم قالوا : و أين[٤] بقية[٥] المال أيضا؟ فقالت : ليس عندى سوى[٦] ما أخذتموه ، و صرت لأخذكم [٧]له فقيرة[٧] من فقراء النصارى . قالوا[٨] : و مثل هذه الدار لك و تكونى فقيرة؟ قالت[٩] : هى حبس على هذه الكنيسة المجاورة لها ، و لا يحل لى أن أرجع [١]فيما حبسته[١] و لا أبيعها بسبب فقرى خوفا من غضب المسيح علىّ . فحينئذ [١]نظر بعضهم إلى بعض و تركوها وخرجوا[١] من الدار بما أخذوه و لم[١٠] يأسروا أحدا ممن[١١] عاينوه من جواريها و وصفانها [١٢]الذين صعدوا هربا منهم[١٢] .

(١ - ١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بن : مفاتحه .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : اين .

(٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٦) فى بن : غير .

(٧ - ٧) فى بن : فقير .

(٨) فى بن : فقالوا .

(٩) فى بن : فقالت .

(١٠) فى بن : و لا .

(١١) فى الأصلين : مما .

(١٢ - ١٢) فى بن : الذين هربوا إلى السطح .

[حكاية تشتمل على غنى بعد فقر]

حكاية[١] تشتمل على غنى بعد فقر، وخلاص بعد أسر. حكى أن الإفرنج لما ظفروا بالإسكندرية، دخلوا إلى دار وجدوا بها امرأة لم يكن عندها شيء يرضيهم أخذه، وكان معهم شيء من النهب فوضعوه فى دارها، وخرجوا ينهبون[٢] دور جيرانها، وكل ما تحصل[٣] لهم شيء[٤] أتوا به إليها[٤]، فجعلوها كالحارسة لهم، وقد انطبعت معهم بالكلام والمساعدة فى تناولها منهم، وفى شيل هذا وحط هذا، كأنها تنصحهم، فركنوا إليها لبشاشتها لهم[٥]، وقولها لهم: إنى [٦]محبة لكم وخذونى[٦] معكم انشرح فى بلادكم، وإن فى ديار الإسكندرية المال الكثير[٧]، والخير الغزير[٨]، فاجمعوا [٩]وأتوا به واحملونى[٩] معكم، [١٠]أصير جارية لكم[١٠]، وحارسة لأمتعتكم. فخرجوا من عندها طامعين فى مقالتها. ففتشت المرأة

(١) بهامش بر: حكاية.
(٢) فى الأصلين: ينهبوا.
(٣) فى بن: حصل.
(٤) ساقطة من بر، وواردة فى بن.
(٥) ساقطة من بن.
(٦-٦) فى بن: محبتكم فخذونى.
(٧) فى بن: الكبير.
(٨) فى بن: الكثير.
(٩-٩) مطموسة فى بن.
(١٠-١٠) فى بن [١٩٧: الف]: وأصير لكم جارية.

النهب بعد خروجهم ، فوجدت خريطتين مملوءتين مالا ، فحملتها و نزلت بها من مكان بأعلا دارها إلى خربة بجوارها اختفت بها فلم[1] [٢٦٠ : الف] تزل [2]مقيمة بتلك الخربة[2] إلى أن أمنت [3]على نفسها بدخول المسلمين[3] البلد ، فزال عنها بعد ذلك النكد ، و رجعت بما معها إلى دارها[4] فصار لها[4] بذلك المال[5] أحسن حال ، و أنعم بال ، فكانت مكيدتها[6] ، [7]بسبب حسن مخاطبتها ، وكانت حراستها سبب سعادتها ، وكانت حيلتها بمكرها و هربها سببا لعدم أسرها[7] .

[حكاية حرجة مؤلمة مزعجة]

حكاية[8] حرجة[4] مؤلمة مزعجة . حكى أن نسوة اجتمعن بدار و معهن رجلان[9] حين ظفر الإفرنج[10] بالإسكندرية . وكان رجل له زوجة بتلك الدار[11] . فأتى إليها يخرجها معه من باب البر ، فرأى الإفرنج[10] حالوا

(١) في بن : و لم .
(٢ - ٢) في بن : مختفية بها .
(٣ - ٣) في بن : الناس بدخولهم .
(٤) ساقطة من بن .
(٥) زيد في بن : في .
(٦) عن بن ، و الكلمة في بر : ملأتها .
(٧ - ٧) في بن : و حراستها سبب سعادتها .
(٨) بهامش بر : حكاية .
(٩) في الأصلين : رجلين .
(١٠) في بن : الفرنج .
(١١) في بن : النسوة

بينه

بينه و بين الدار، فنجا بنفسه هربا[١] منهم. فلما اطمأنت الناس، عاد إلى الدار [٢]فلم يجد فيها غير[٢] زوجته مطروحة[٣] وهي[٣] عريانة مجروحة وشمّ بالدار رائحة كرهة، فستر زوجته ببعض ثيابه وسألها عن حالها و حال [٤]الرجلين و النسوة فأشارت إلى جهة بالدار، فمشى و نظر فاذا [٤]الرجلان قتيلان[٤] و رأس امرأة مطروحة و جثتها كذلك، و قد علت[٢] رائحة تلك الجيف و انتفخت و أزرقت، فعاد إليها و قال: اخبريني ما اتفق لكم. فقالت: دخلت لنا[٥] الإفرنج[٦] بأيديهم السيوف المسلولة. فأتى أحدهم إلى[٣] فلانة مسك بيدها، فنترت[٧] يدها منه و قالت: ما أوحش وجهك، فرمى رأسها سريعا بسيفه لغيظه من كلامها له [٨]و احتقارها إياه[٨]، فوقع رأسها بحجر فلانة، وترمت بقية الإفرنج رأس الرجلين[٦]، فارتعبن[٩] النسوة مما شاهدن و رأين و أخذونا[٦] سبايا بعد أن ربطوا كم الواحدة بكم الأخرى، و استاقونا [٢] بين أيديهم. فدخلوا بنا[٢] دار الصناعة، فقتلوا رأس بقر هناك، [٢]و بضعوا لحمها[٢]،

(١) في بن: هاربا.

(٢ – ٢) مطموسة في بن.

(٣) ساقطة من بن.

(٤ – ٤) في الأصلين: الرجلين قتيلين.

(٥) في بن: علينا.

(٦) مطموسة في بن.

(٧) في بن: فنتشت.

(٨ – ٨) ساقطة من بن.

(٩) في بن: فارتعب.

و أتونا بقدر ، فسلقنا لهم من لحمها . فأكلوا و رجعوا إلى البلد ينهبون[١] ، فبينما نحن جلوس و إذا بطائفة أخرى أتوا إلينا ، فأخذ كل واحد امرأة منا ، و أخذني[٢] منهم آخر[٢] . و صاروا يستحثونا في المشي يريدون[٣] المراكب ، فتضجرت من عنفه لي بسرعة المشي ، وكان قد شق بي بين قتلى المسلمين ، فلما رآني ولولت و تسخطت حنق[٤] علي و ضربني بسيفه بجرحني ، فوقعت °على وجهي° بين القتلى ، فعراني بما[٦] كان علي و تركني و مضى ، [٧]و صرت أنظر إلى الإفرنج[٧] يمرون علي[٨] و يرجعون[٩] ، °فلم أزل على تلك الحالة إلى أن رأيت طائفة من° المسلمين يمرون متعجبين من قتلى المسلمين ، و إذا ببدوي على فرس ، فصحت[١٠] [٢٦٠ : ب] به صياحا خفيا ، فشعر بي ، فتقدم إلي وكلمني فكلمته ، فنزل عن فرسه و لفني بكساء ، و استوصف °مني داري° فوصفتها له ، فأردفني خلفه و سار بي إلى هنا ، فأنزلني و أخذ مني الكساء و مضى إلى حال سبيله. و ها أنا

(١) في الأصلين : ينهبوا .
(٢ - ٢) في بن : واحد منهم .
(٣) في الأصلين : يريدوا . و زيد في بن : بنا .
(٤) كذا في بن ، و الكلمة في بر : حنف .
(٥ - ٥) مطموسة في بن .
(٦) في بن : ما .
(٧ - ٧) في بن : فصارت الفرنج .
(٨) ساقطة من بر و واردة في بن .
(٩) ساقطة من بن .
(١٠) مطموسة في بن .

كما ترانى . فتعجب زوجها مما اتفق لها و لاطفها ، فأقامت أياما يسيرة ، و انتقلت بالوفاة إلى رحمة الله تعالى .

[حكاية تشتمل على فرج بعد أسر]

حكاية[1] تشتمل على فرج بعد أسر . و فقر بعد غنى . و ضلالة بعد هدى . [2]قال الشيخ[2] أبو الحسن الشاذلى : المؤمن فى الدنيا[3] أسير و لا فكاك للأسير إلا باحدى ثلاث . إما بالحيلة ، و إما بالعناية . و إما [2]بالفدية مأخوذ من[2] قول رسول الله صلى الله عليه و سلم : الدنيا سجن المؤمن و شأن المسجون التحديق بعينيه ، و الأصغا بأذنيه ، ليعمل الحيلة فى فكاك نفسه منها .

حكى أن امرأة من أسارى الإسكندرية أخبرت عن نفسها أن الإفرنج[4] استأسرتها حين ظفرهم بالإسكندرية ، فلما كانت ليلة الأحد ثانى ليلة الوقعة ، اجتمعت جماعة من الإفرنج[4] فى مغارة بالجزيرة ظاهر باب البحر معهم النسوة الأسارى ، قالت فكنت من جملة تلك النسوة ، فأتوا بدجاج وأمروا النسوة [5]بطبخها فطبختها[5] و أكلوا هم و هن[6] منها ، و أحضروا

(١) بهامش بر : حكاية .

(٢ - ٢) مطموسة فى بن .

(٣) مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : الفرنج .

(٥ - ٥) فى بن : بسلقها فسلقتها .

(٦) فى بن : و نحن .

الخمر فشربوا ، و عبثوا بالنسوة ، و رقدوا سكارى[1] تعابا ، قالت المرأة : و كنت أتذكر[2] حيلة أعملها لأتخلص من الأسر ، فعاينت هناك قفة[3] فرزتها فوجدتها ثقيلة ، فحملتها ثم تخطيتهم و خرجت من المغارة ، و كانت الشموع بها مركوزة تقد . قالت : فلما صرت خارجها رأيتها ليلة مظلمة مدلهمة ، فاخترقت الجزيرة فى تلك الليلة المطيرة و أنا خائفة [4]من أن يدركنى[4] منهم أحد ، فطلبت باب البحر ، فصرت اعثر فى جثث القتلى إلى أن صرت داخل الإسكندرية ، فلم أزل ماشية بشوارعها إلى أن أتيت دارى ، فلم أجد فيها شيئا مما كان بها ، فجلست فى أحد أركانها إلى قريب الفجر ، فخفت أن يأتى أحد من الإفرنج[5] يستأسرنى ثانيا ، ففتحت القفة و جسست ما فيها ، و إذا[6] هى دراهم فى خريطة كبيرة ، فحفرت و دفنتها ، و خرجت أنظر مكانا خربا أختفى به ، فوجدت فرنا قد كسر بابه ، فدخلته و قصدت بيت النار ، فوجدته باردا و غطاؤه عليه ، فزحزحت[7] الغطاء و دخلته و سددته بغطائه كما كان ، فلم أزل مقيمة به إلى أن سمعت صوت[8] المؤذنين يؤذنون ، فعلمت أن أهل الإسكندرية رجعوا[9] إليها ،

(١) فى بن : سكارا .
(٢) فى بن : مفكرة فى . (٣) مطموسة فى بن .
(٤ - ٤) مطموسة فى بن . (٥) فى بن : الفرنج .
(٦) فى بن [١٩٧ : ب] : فاذا .
(٧) فى بن : فزحفت .
(٨) فى بن : أصوات .
(٩) فى بن : عادوا .

فخرجت

فخرجت مسودة الثياب [٢٦١ : الف] جائعة الكبد، فتمشيت إلى أن أتيت دارى لآخذ من تلك الدراهم المدفونة شيئا[1] أشترى به ما اتبلغ به [2] فوجدتها محفرة[2] الأرض. و لم أجد الخريطة، فحمدت الله تعالى وشكرته على السلامة من الأسر و الاسترقاق و البعد عن [3] ديار الكفر[3] و الإقامة بدار الإسلام، و قلت الذى خلصنى[4] من الأسر لم يضيعنى. فوقع فى ٥ أهل البلد الوباء من رائحة[5] تغير الهواء[6] و رائحة[7] جيف القتلى و فراغ [8] الآجال، فصار[8] يموت فى كل يوم[5] ما يزيد على المائة نفر[9]. فصرت غاسلة أغسل النسوان. فحصل لى بذلك من المال ما [8] استغنيت به[8] عن ذل السؤال.

[حكاية المرأة المرتدة] ١٠

قال المؤلف [10] عفى الله عنه و غفرله[10] : أخبرنى الشيخ أبو عبدالله[4]

(١) فى بر : شىء. و هى مطموسة فى بن.
(٢ - ٢) فى بن : فوجدت الأرض قد حفرت.
(٣ - ٣) فى بن : ارض الكفرة.
(٤) مطموسة فى بن.
(٥) ساقطة من بن.
(٦) فى بر : الهوى. و فى بن : الهوا.
(٧) فى بن : برائحة.
(٨ - ٨) مطموسة فى بن.
(٩) فى بن : نفس.
(١٠ - ١٠) فى بن : رحمه الله تعالى.

ابن يوسف البغدادى معلم دار الطراز بالإسكندرية قال : قدم[1] كتاب من قبرس عند قدوم رسل القبرسى إلى الإسكندرية مع بعض الأسارى اللذين[2] أرسلهم صاحب قبرس [3]بسبب الصلح[3] أرسلته امرأة من أسارى الإسكندرية [4]وهى تقول لأمها فيه[4] «إنى مقيمة بقبرس و أن المصاغ الفلانى دفنته
٥ فى المكان الفلانى من الدار ، فاحفرى عليه و انتفعى به ، و لا تطمعى برجوعى [5]إلى الإسكندرية أبدا[5] ، فانى وجدت راحتى بها » . ففرحت أمها بوجود المصاغ الذى كانت تيقنت أنه أخذ [6]كما أخذت[6] ابنتها [7]لتسد به[7] فقرها و جوعتها ، و حزنت[8] على ترك ابنتها لدين[9] الإسلام و دخولها فى دين الكفرة اللئام[10] ، و عدم رجوعها إلى الإسكندرية مع
١٠ الأسارى ، و رضيت لنفسها الإقامة[11] بين النصارى ، فصارت[12] باكية

(١) فى بن : ورد .
(٢) فى الأصلين : الذى .
(٣-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٤-٤) فى بن : لأمها و هى تقول .
(٥-٥) مطموسة فى بن .
(٦-٦) فى بن : مع .
(٧-٧) فى بن : سدت بثمنه .
(٨) فى بن : و جزعت .
(٩) فى بن : دين .
(١٠) فى بن : الطغام .
(١١) فى بن : بالإقامة .
(١٢) فى بن : فسارت .

العين ، حزينة القلب على فراق ابنتها وكفرها بغربتها[1] .

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب سبب ارسال القبرسى تلك الأسارى إلى الإسكندرية إن شاء الله تعالى . فانظر رحمك الله إلى المرأة الأولى كيف سعت فى خلاص نفسها من النصارى الذين كانوا بالمغارة [2] و خروجها منها هربا منهم بسعيها فى ظلام[2] الليل الممطر ، و تغريرها بنفسها بمن يلحقها منهم يقتلها ، و دوسها فى القتلى ، [2] و إخفائها نفسها[2] فى فرن قدم[3] تضمخت بسواده[4] حتى نجت من الكفرة الطغاة[5] لتصير باقية على دين الإسلام . و انظر إلى المرأة الثانية كيف رغبت فى دين الكفرة[6] و معاشرة الفجرة[7] ، و اختارتهم على دينها و أمها و وطنها لغرضها الفاسد ، و لعبها الزائد ، و إرادتها الفجور ، و شرب[8] الخمور ، و سماع حس[9] الناى و الطنبور ، و ركونها إلى النصارى ، و عدم رجوعها [٢٦١ : ب]

(١) فى بن : فى غربتها .

(٢ - ٢) مطموسة فى بن .

(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) كذا فى بن ، وهى فى بر : بسوادها .

(٥) فى بن : اللئام .

(٦) فى بن : الكفار .

(٧) فى بن : أشرار الفجار .

(٨) فى بن : مع شرب .

(٩) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : حسن .

مع الأسارى، فصارت مرتدة ضالة بين الأنام. نعوذ بالله من الضلال والآثام، [1]ونسأله الوفاة على الإسلام[1]، وما جاء به نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

[حكاية المرأة المهتدية]

وسأذكر هنا [2]ضد حكاية هذه المرأة المرتدة إن[3] شاء الله تعالى[3]. قال سيدى[4] إبراهيم الخواص: طالبتني نفسى فى وقت من الأوقات بالخروج إلى بلاد الإفرنج[5] فخوفت نفسى فلم تكف، وعملت على [6]القاء الخاطر[6] فلم تنتف[7]، فخرجت اخترق[8] ديارها، وأجول أقطارها، والعناية تكنفنى، والرعاية تلحفنى، لا ألقى نصرانيا إلا أغض ناظره عنى، وتباعد منى إلى أن أتيت مدينة من مدنهم، فاذا عند باب المدينة رجال معهم الأسلحة والمقامع، فلما رأونى قاموا إلى وقالوا: أطبيب أنت؟ قلت: ما تريدون؟ قالوا[9]: ابنة الملك ضعيفة تداويها. فقالوا[10] عرفوه الشرط قبل أن تحملوه إليها. فقلت: وما

(١ - ١) واردة فى بن وساقطة من بر.

(٢) ساقطة من بن.

(٣ - ٣) الجملة ساقطة من بن.

(٤) كذا فى بن، وهى فى بر: سيد الخواص.

(٥) فى بن: العلوج.

(٦ - ٦) مطموسة فى بن.

(٧) فى بن: تنته.

(٨) مطموسة فى بن.

(٩) كذا فى بن [١٨٩ : الف]، و فى بر: قال.

(١٠) فى بن: فقال بعضهم.

هو الشرط ؟ فقالوا : قد أصابها اعتلال شديد ، و قد أعيي[1] الأطباء علاجها ، و ما من طبيب دخل عليها و عالجها فلم يفد علاجه إلا قتله الملك ، فانظر لنفسك . ثم إنهم حملونى إليها و قرعوا الباب التى هى داخله ، فاذا هى تنادى : ادخلوا بالطبيب . ففتح الباب ، فاذا بيت مبسوط بالرياحين ، و إذا ستر مضروب فى زاوية البيت ، و من خلفه أنين[2] ضعيف ، يخرج من هيكل نحيف . قال : فقعدت بازاء الستر ، و أردت أن أسلم فذكرت قول النبي صلى الله عليه و سلم « لا تبدؤا[2] اليهود و النصارى بالسلام ، و إذا لقيتموهم فى طريق[3] فاضطروهم إلى ضيق » فأمسكت عن السلام ، فنادت من داخل الستر : أين سلام التودد و الإخلاص ، يا إبراهيم الخواص . فعجبت من ذلك و قلت : من[2] أين عرفتينى ؟ فقالت : إذا صفت القلوب و الخواطر ، أعربت الألسن عن مخبيات الضمائر . سألت[2] البارحة رب العزة أن يقيض [4]لى وليا من أوليائه[4] ، يكون لى على يديه الخلاص ، فنوديت إنا[2] سنرسل إليك إبراهيم الخواص . فقلت : ما خبرك[2] ؟ فقالت : إن لى أربع سنين قد لاح لى الحق المبين ، فهو المحدث و الأنيس و المقرب و الجليس ، فظن بى أهلى الظنون ، و نسبونى إلى الجنون ، فما دخل على منهم طبيب إلا أوحشنى ، و لا زائر[5] إلا أدهشنى . قال : فبينما

(١) فى الأصلين : أعيا .
(٢) مطموسة فى بن .
(٣) فى بن : الطريق .
(٤-٤) الجملة مطموسة فى بن .
(٥) فى الأصلين : زائرا .

أنا[1] أكلها، إذا دخل شيخ قسيس موكل بها قد دخـــل عليها . فقال: ما فعل طبيبك؟ فقالت[2]: عرف [3]العلة و أصاب الدواء[3]. فظهر عليه[4] السرور، و قابله [5]بالخطاب المبرور[5]، و مشى[6] إلى الملك و أخبره[7] فأمره باكرامى، [3]فبقيت أختلف إليها [٢٦٢ : الف] سبعة أيام . فقالت[3]: يا أبا إسحاق[8] الهجرة إلى دار السلام، لأستريح من رؤية الكفار الطغام[9]، فقلت: و كيف يكون خروجك[10]؟ و من يتجاسر عليه؟ فقالت: الذى أدخلك علىّ، و ساقك إلىّ. فقلت: نعم. فلما كان من الغد، خرجت أنا و إياها على باب المدينة، فحجب عنا محجب العيون، من إذ أراد أن يقول للشيء كن فيكون . فما رأيت أصبر منها على الصيام، ولا أدوم على القيام، و جاورت بيت الله الحرام، سبعة أعوام، ثم قضت نحبها، و كان بمكة قبرها. فانظر إلى هذه المرأة من تلك المرأة الأسيرة [11]المسلمة التى أقامت بقبرس[11]

---

(١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بن: قالت .

(٣-٣) الجملة مطموسة فى بن .

(٤) فى بن: على القسيس .

(٥-٥) كذا فى بن، و فى بر: بالبرور .

(٦) فى بن: و مضى .

(٧) فى بن: فأخبره .

(٨) فى بن: يا ابراهيم .

(٩) كذا فى بن، و فى بر: الطغاة .

(١٠) ساقطة من بن .

(١١-١١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

كيف تخلت عن دين الإسلام، و اختارت دين الكفار الطغاة[١]، و إلى هذه المرأة كيف[٢] رغبت فى الدين القويم، و اهتدت إلى الصراط المستقيم[٣]: "من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا[٤]".

(١) فى بن: اللام (اللئام!).
(٢) فى بن: التى.
(٣) مطموسة فى بن.
(٤) قرآن كريم ١٨: ١٦ - كذا فى بر، و الآية فى بن: «انك لا تهدى من احببت و لكن الله يهدى من يشاء» و هى من سورة القصص ٢٨: ٥٦. و زيد هنا على بن ما يلى [١٩٨: الف - ب]:

روى أن عيسى عليه السلام مرّ برجل عند قبر و كان يراه كلما مر به جالسا فقال: يا عبد الله أراك تكثر الجلوس بهذا القبر. قال: يا روح الله هو قبر امرأتى كان من جمالها و موافقتها لى كيت وكيت و لى عندها وديعة. قال: أ تحب أن يحييها الله تعالى؟ قال: نعم. فصلى ركعتين و دعا الله تعالى، فاذا رجل أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق، فقال له: من أنت؟ قال: يرسول الله أنا فى عذاب مقدار أربعمائة سنة، فلما كان فى هذه الساعة قيل لى: أجب فأجبت ثم قال قد مر على من أليم العذاب ما .... (مطموس) ... الله تعالى أعطيه عهدا أن لا أعصيه فادع الله تعالى لى. فرق له عيسى و دعا له، ثم قال له: امضى. فمضى. قال صاحب قبر المرأة: يرسول الله قد غلطت بالقبر، و أنما قبرها هذا. فدعا عيسى ربه فخرجت .... (مطموس) .... جميلة، فقال: هذه امرأتى، فأخذ بيدها حتى انتهى إلى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه فى حجرها، فمر بها ابن الملك فنظر إليها و نظرت إليه فأعجبها وأعجبته، فوضعت رأس زوجها =

[حكاية مروءة مع تغرير بالنفس]

حكاية تشتمل على مروءة مع تغرير بالنفس. أخبرني بعض المشايخ قال[1]: لما دخلت الإفرنج الإسكندرية حين ظفرهم بها، قفلت[2] داري، و خرجت من باب السدرة بعيالي، و ذلك قبل تمكنهم من البلد، ففكرت في نفسي، و قلت[3] من المصلحة رجوعي إلى الدار أحرسها[4]، فإن كان [5] بقي في أجلي [5] فسحة[1] سلمت و سلمت الدار من النهب، و إن فرغ أجلي مت شهيدا[1] سعيدا، قال فرجعت أنا و صهري أوثقنا الباب من داخله بالأقفال، و أركزنا خشبة خلفه، و نقلنا حجارة ضخمة[1] ركزناها وراءه، و صعدنا[1] إلى سطح الدار، نقضنا[6] من ستائره[1] حجارة صارت[1]

= على حجر و تبعته، فاستيقظ زوجها، ففقدها و طلبها فرآها فتنازع هو و ابن الملك فيها، فبينما هو كذلك طلع عيسى فقص عليه القصة، فقالت: أنا جارية هذا الفتى، تعني ابن الملك، و لا أعرف هذا، تعني زوجها. فقال عيسى لزوجها: رد علينا ما أعطيناك. قال: قد فعلت. فسقطت المرأة ميتة. فقال عيسى: هل رأيتم رجلا أماته الله تعالى كافرا ثم بعثه فآمن و امرأة أماتها الله تعالى مؤمنة ثم أحياها فكفرت.

(١) مطموسة في بن.

(٢) في بن: فغلقت.

(٣) في بن: فقلت.

(٤) في بن: لأحرسها.

(٥ - ٥) في بن: في الأجل.

(٦) في بن: و اتخذنا.

عدة نرمى بها من يأتينا منهم[1] ، فبينما نحن كذلك ، و [2]إذا بالإفرنج[2] قصدوا باب الدار و هو[3] فى زقاق [1]غـــير نافد[1] ، فرميناهم من طاقتين [4]بالحجارة على أعلى[5] بابها[4] ، فتركونا و مضوا من تتابع الحجارة عليهم. ثم عاودونا فعاودنا الرمى عليهم فمضوا آيسين منا بعد أن صاروا ينظرون[6] هل يجدون[7] [8]مسلقا يتسلقون[8] منه إلينا ، فلم يجدوا مكانا لعلو الدار . قال[9] : فكان رجوعنا إلى الدار سببا لسلامتها من الإفرنج[10] و العرب النهّابة التى تنهب[11] من الديار ، ما فضل عن الكفار ، و سلم[1] بسببنا من[1] كان حولنا من[1] الجار[12] ، و رجعت العيال إلينا سالمين ، فصرنا لربنا

(١) الكلمة مطموسة فى بن .
(٢ - ٢) العبارة مطموسة فى بن .
(٣) فى بن : و هى .
(٤ - ٤) فى بن : على بابها بالحجارة .
(٥) فى الأصل : أعلا .
(٦) فى بر : ينظروا ، و فى بن : يتأملوا .
(٧) فى الأصلين : يجدوا .
(٨ - ٨) فى بن : مسلكا يتوصلون .
(٩) ساقطة من بن .
(١٠) فى بن : الفرنج .
(١١) فى بن : نهبت .
(١٢) فى بن الجيران .

حامدين و شاكرين[1] ، فلو أن أهل الإسكندرية أقاموا بديارهم ، و رموا على[2] الإفرنج بحجارهم ، كما فعل الشيخ و صهره[2] ، و كما فعل ابن نخالة المتقدم ذكره بشارع المحجة ، ما كانت الإفرنج[3] تصل منها إلى[4] بيضة عجة[4] ، و كان قد[5] سلم من الأسر النساء و الرجال ، و الاماء[2] و الأطفال . إذ كانت عدة[6] [٢٦٢: ب] الإفرنج[3] على ما قيل ستة عشر ألفا[7] ، و أهل الإسكندرية نحو مائة ألف . و الكثرة بعون الله تعالى تغلب القلة[8] . و كما[2] قال الشاعر :

لا تقابل بواحد أهل بيت   فضعيفان[9] يغلبان قويا[9]

لكن أهل الإسكندرية لم يتقدم لهم قبل ذلك الوقت مع الإفرنج قضية ، بل كانوا مدة[10] طويلة هم و آباؤهم[10] فى عافية ، فلما رأوا ما حل بهم

---

(١) فى بن : شاكرين .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن الفرنج .

(٤ - ٤) فى بن : شىء .

(٥) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٦) فى بن : هذه .

(٧) فى الأصل : ألف ، و فى بن : ألف نفس .

(٨) فى بن : القوة .

(٩-٩) مطموسة فى بن .

(١٠ - ١٠) فى بن : سنين كثيرة .

من الداهية [١]، [٢] فزعوا فتركوا [٢] ديارهم مقفولة، حين [٣] رأوا سيوفهم [٤] مسلولة، و شرد كل أحد من البلد فازع، و عقله من الخوف جازع، فخرجوا من الأبواب شاردين، و إلى البر طالبين، فتمكنت من نهب دورهم الإفرنج [٥] الكافرون [٦]، [٧] و قتلوا من وجـدوه بها مقيم [٧]، من الرجال و الحريم، و كان ذلك بتقدير العزيز العليم. و لله در القائل [٨] حيث يقول:

قالت [٨] أبحت بسرّ كنت تكتمه ... و صار سرك بين النـاس مبذولا
فقلت يا هـذه دمعى أباح بـه ... ليقضى الله أمرا كان مفعولا

فانظر إلى أرباب المروءات، كيف يلقون أنفسهم للهلكات، كفعل الشيخ و صهره، إذ حمى كل [٨] واحد منهما ظهر الآخر بظهره. فالشجاع يحمى [٨] نفسه و جاره، و الجبان تقتله الأعداء و تنهب داره.

---

(١) زيد فى بن: الدمياء.

(٢ - ٢) فى بن: تركوا.

(٣) فى بن: لما.

(٤) فى بن: سيوف الفرنج خلفهم.

(٥) فى بن: الفرنج.

(٦) فى الأصلين: الكافرين.

(٧ - ٧) فى بن: و اسروا من وجدوا منهم. و صحة بر « مقيما » تركناها للسجع.

(٨ - ٨) ساقطة من بن.

[حكاية تشتمل على قوة قلب و تعزير بالنفس]

حكاية تشتمل على ١قوة قلب و تعزيرا١ بالنفس . حكى أن بعض المغاربة أقام هو و عياله بداره حين ظفر الإفرنج بالإسكندرية . فبينما هم كذلك و إذا٢ بالإفرنج٣ ٤أتوا بشارعهم٤ ، فصادفوا فيه رجالا من المسلمين قتلوهم ، و كسروا أبواب ٥دور بـه٥ نهبوها غير دار المغربى لاستغنائهم بما أخذوه من تلك الدار٦ . فحمل كل واحد منهم٧ ما أثقله حمله و مضوا٨ . فقال المغربى : ٩إن كنا سلمنا من هؤلاء لم٩ نسلم من غيرهم ، و كان ينظر إلى فعلهم من تابوت ١٠خشب بطاقة بداره١٠ ، فنزل عند مضيهم فتح باب داره ، و جر قتيلا ١١مسلما ألقاه١١ بدهليز داره ، و جر قتيلا آخر ألقاه على عتبة٢ بابها ، و ترك باب الدار مفتوحا ، و دخل و غلق باب قاعة الدار عليه و على عياله . و صعد ينظر٢ إلى

(١ - ١) العبارة ساقطة من بن .
(٢) مطموسة فى بن [١٩٩ : الف] .
(٣) فى بن : بالفرنج .
(٤ - ٤) فى بن : قد أتو إلى شارعهم .
(٥ - ٥) فى بن : دويرة .
(٦) فى بن : : الدور .
(٧) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٨) ساقطة من بن .
(٩) فى بن : فلا .
(١٠ - ١٠) فى بن : بالدار .
(١١ - ١١) فى بن من تلك القتلا فألقاه .

الشارع

الشارع من[1] التابوت الخشب المخرم، فصارت الإفرنج[2] تمر عليه[3] بالشارع، فيجدون باب تلك الدار مفتوحا و القتلى بــه. و فى الشارع أيضا قتلى مطروحة، و الأبواب مفتوحة[4]. فيتوهموا أنه لم يبق بذلك الشارع دار[5] إلا [6]و قد نهبت[6]، و لا رجال إلا [7]و قد قتلت[7]، فيتركونه و يمضون إلى شارع[8] غيره. فلما اطمأن المغربى [٢٦٣: الف] بدخول المسلمين البلد، ألقى تلك القتلى التى بدهليز داره و على بابها فى الشارع، و سلم هو و عياله من القتل و الأسر و النهب والفرار مع من[9] فر من أبواب البر.

[حكاية تشتمل على فزع و جزع و فرج بعد شدة]

حكاية تشتمل على فزع و جزع و فرج بعد شدة و هلع و غير ذلك من [10]الواردات المستطردات[10]. حكى أن الإفرنج [11]لما ظفروا بالإسكندرية، و خرجوا[11] منها بعد أن أوقروا مراكبهم بأموالها و أثاثها[8]

(١) مطموسة فى بن.
(٢) فى بن: الفرنج.
(٣) ساقطة من بر، و واردة فى بن.
(٤) فى بن: مفتحة.
(٥) فى الأصلين: دارا.
(٦-٦) فى بن: ونهبت.
(٧-٧) فى بن: و قتلت.
(٨) ساقطة من بن.
(٩) زيد فى بن: قد.
(١٠-١٠) فى بن: الاستطرادات.
(١١-١١) مطموسة فى بن.

و أسراها، و رجعت أهلها الفارون[١] منها حين الوقعة إليها، أتى رجل منهم إلى باب[٢] داره، فوجد والدته بها[٢] صحيحة الجسم، [٣]سليمة من الجراح[٣]، و مقنعتها و ثيابها مضمخة بالدماء، فتعجب من ذلك و قال: ما هذه الدماء التى أراها بثيابك و مقنعتك التى [٤]على رأسك[٤]، و ليس بك جرح و لا ألم؟ فقالت: خبرى عجيب، و أمرى غريب. فقال لها: [٥]أخبرينى وبحالك[٥] حدثينى. فقالت: اسمع حديثا ما طرق أذنك أبدا، و لا سمعه منى إلى الآن أحد[٦]. فقال: [٥]بثيه و اذكريه، و علىّ يا أماه قصيه. قالت: نعم[٥]. و ذلك أن الإفرنج[٧] لما أتوا إلى[٨] شارعنا، و أنا أنظر إليهم من كوة[٩] دارنا، أيقنت[١٠] أنهم لم يتركونى، إما أن يقتلونى أو يأسرونى. فكسروا باب دار فلان و دخلوها، فبادرت و خرجت من باب[٢] دارى، و مضيت أطلب مكانا أختفى فيه[١١]. فدفعت باب دار فانفتح فدخلتها، و صعدت من سلمها، فتوصلت منه إلى غرفة ليس بها سوى عجوزة كبيرة السن[٨] جالسة على سرير، فلما رأتنى قالت: اصعدى

(١) فى بن: الفارين. (٢) ساقطة من بن.
(٣ – ٣) ساقطة من بن.
(٤ – ٤) فى بن: برأسك.
(٥ – ٥) مطموسة فى بن.
(٦) فى الأصلين أحدا.
(٧) فى بن: الفرنج.
(٨) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٩) فى بن: طاق.
(١٠) مطموسة فى بن. (١١) فى بن: به.

عندى لأنى هاهنا وحدى ، وقد حصل لى و لها الرعب من جهة[1] الإفرنج[2] فى الشوارع . قالت فلم يعجبنى [3]جلوسى معها على السرير، بل[3] انحنيت و دخلت تحته ، فبينما نحن كذلك و إذا بالإفرنج[2] صعدوا إلى الغرفة . فحين رأوا العجوز [3]جالسة على السرير[3]، و لم يجدوا[4] بالغرفة ما يأخذونه، اختطفتها سيوفهم . فصار دمها يسيل على رأسى و وجهى و ثيابى؛ و أنا خائفة مرتعبة[5]، فلو رأونى ، كانوا بها ألحقونى ، و بسيوفهم هبرونى . ثم أنهم ولوا راجعين ، فبقيت بمكانى جالسة مرعوبة خائفة ، لا أقدر على حركة ، بل صار قلبى يضطرب كاضطراب السمكة ، فلم[6] أزل مقيمة بذلك المكان ، حتى سمعت الأذان ، فعلمت أن الناس رجعوا من فرارهم إلى ديارهم ، فأتيت إلى دارى ، فلم أجد بها قليلا و لا كثيرا ، [7]و لا جليلا و لا حقيرا[7]. فحصل لى الخوف الشديد من معاينة الإفرنج[2] و قتلهم للمرأة و سيلان دمها على و استنشاق[8] لرائحة جيفتها حين جافت ،

(١) فى بن : هجمة .
(٢) فى بن : الفرنج .
(٣–٣) مطموسة فى بن .
(٤) فى بن : يروا .
(٥) فى بن : مرعوبة .
(٦) فى بن : و لم .
(٧–٧) ساقطة من بن .
(٨) فى بن : و انتشاق .

و رؤيتى [٢٦٣ : ب]حين خرجت من تحت السرير [١]إلى صفة ما فعل بها [١]، و تفكرى فى أمرك [٢] هل أنت [٣] [٤]قتيل أو أسير [٤]؟ مع حزنى على ضياع سترتنا [٥] المنهوبة من دارنا . فأى عجب أعجب مما رأيت ، و أى خبر أغرب مما وصفت ؟ فقال لها : صـــدقت . ثم أنه الآخر حدثها بما جرى [٦]عليه من فراره [٦] من الإفرنج مع من فر ، و هم تابعونهم [٧] بسيوفهم المجردة عند خروجهم من الباب ، و كيف كان [٨] المسلمون [٩]يدوسون بعضهم [٩] بعضا من شدة الزحام إلى أن صار بعضهم موتى [١٠] من ذلك ، مع ما أخبرها بجوعه و إفلاسه ، و حفائه لضياع مداسه ، و خطف العرب لعمامته التى على رأسه . فقالت : يا بنى ما أظن أحدا فى هذه الدنيا [١١]مستريحا و لا مريحا [١١]. فقال لها : و لا الرجل الذى حسد الكلب على النبيح .

(١ - ١) ساقطة من بن .
(٢) عن بن ، و الكلمة فى بر : أمرى .
(٣) ساقطة من بن
(٤ - ٤) فى بن كذلك ، و فى بر : قتيلا أو أسيرا .
(٥) عن بن ، و فى بر : سترتها .
(٦ - ٦) فى بن [١٩٩ : ب] : له فى نراره .
(٧) فى الأصلين : تابعينهم .
(٨) فى الأصلين : كانت .
(٩ - ٩) عن بن ، و فى بر : تدوس بعضها .
(١٠) فى بن : ميتا .
(١١ - ١١) فى الأصلين : مستريح ولا مريح .

فقالت

فقالت : العجب العجاب و من يحسد يا ولدى[١] الكلاب . قال[٢] : أما سمعت خبر الرجل الذى طلبه الحجاج ليقتله فهرب منه فى كل الفجاج ؟ قالت : و ما ذاك حدثنى بحديثه .

[حكاية عن الحجاج بن يوسف الثقفى]

قال[٣] كان الحجاج بن يوسف الثقفى أميرا على العراق . و كان[٤] سفاكا للدماء ، [٥]و يقول أكبر لذاتى سفك الدماء[٥] ، و جريها[٦] على الأرض كالماء[٧] . فقتل[٤] من الناس[٨] كثيرا ، حتى من الصالحين[٩] والعلماء ، فخاف الرجل منه حين طلبه ليقتله ، فصار هاربا منه [١٠]يمينا و شمالا[١٠] لا يستقر بقرار ، و لا يقيم ببيت[١١] و لا دار[١٢] ، و لا يأوى بمكان

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢) فى بن : فقال .

(٣) زيد فى بن : نعم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥ - ٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) فى بن : و جريانها .

(٧) فى بن : بجرى الماء .

(٨) عن بن . و فى بر : الصالحين .

(٩) فى بن : انه قتل الصلحا .

(١٠ - ١٠) العبارة ساقطة من بن .

(١١) فى بن : ببلد .

(١٢) فى بن : ديار .

و لا [1] يطمئن إلى إنسان [1]، بل صار[2] بعيدا عن سكنه، بعيدا عن وطنه. فمر بكلب بين جنين[3] يقطر عليه ماؤهما. فقال: ليتني كنت[4] مثل هذا الكلب في الراحة و الأمن. فما لبث[5] أن مر به ذلك الكلب، و في عنقه[5] حبل و هو يجر، و عليه آثار الشر[5]. فسأل عنه فقال: جاء كتاب الحجاج إلى[5] الولاة و الكتاب[4] بقتل الكلاب. في كل الفجاج فقال[5] الرجل[5]: إذا ليس في الدنيا مستريح، وهج على وجهه في الفلا[6] خوفا[7] أن يضرب[8] بسيف الحجاج مندرجا[4] في جملة القتلى. [9] و أنشد يقول[9] في المعنى:

كل من أشكو له قصتي		لم ألاق غير ذي قلب جريح
يتشكى مثل شكوايا[10] له		يا لقومي ما عليها مستريح

(١ - ١) في بن: يطمان لانسان.
(٢) في بن: سار.
(٣) كذا في بر. و في بن: حسى، و نقطها ناقص و المعنى غير واضح.
(٤) ساقطة من بن.
(٥) مطموسة في بن.
(٦) في بن: الفجاج.
(٧) زيد في بن: من.
(٨) كذا في بن. و الكلمة في بر: يسير.
(٩-٩) في بن: فانشد لسان حاله.
(١٠) في بن: شكواى.

فقالت المرأة لولدها[1] : يا بنى [2]وكيف أن الحجاج يقتل العلماء و الصالحين . أما يخشى عقاب رب العالمين ؟ قال : لو كان فيه بعض الخير[2] ما قتل سعيد[3] ابن جبير سيد العلماء و قدوة الصالحين[4] و الأتقياء . فقالت[5] بالله حدثنى، و بخبره[6] معه[6] عرفنى .

قال[7] بلغنى أن سعيد بن جبير كان عبدا لرجل من بنى أسد [٢٦٤ : الف] فاشتراه سعيد بن العاص فى مائة عبد فأعتقهم أجمعين . فكان سعيد بن جبير أفضل أهل المدينة[8] فقها و زهدا . فخرج مع عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج ، فلما انهزم ابن الأشعث إلى أصبهان هرب سعيد بن جبير إلى مكة . فقيل لسعيد : ما أوجب خروجك على الحجاج ؟ قال : سمعته يقول - أليس خليفة أحدكم[6] فى أهله خير من رسوله إليهم ؟ يعنى به أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . فقلت :

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) فى بن : أما كان .... رجل مسلم ، قال نعم هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عامر بن غروة بن مسعود صاحب النبى صلى الله عليه و سلم .... كان فى الحجاج خير ما قتل - الخ .

(٣) فى بر : لسعيد . وهى كذا فى بن .

(٤) فى بن : الصلحاء .

(٥) زيد فى بن : يابنى .

(٦) مطموسة فى بن .

(٧) زيد فى بن : نعم .

(٨) فى بن : الدنيا .

[1] لله عليّ لا أصلى خلفه[1] صلاة أبدا ، و لئن وجدت قوما يقاتلونه لأقاتلنه معهم . قال أبو حصين فبلغنا أن خالدا[2] القسرى قد أمّر على مكة . فقلت يا سعيد إن هذا الرجل لا يؤمن ، و هو رجل سوء ، و أنا أخاف عليك منه. قال سعيد : يا أبا حصين قد و الله[3] فررت حتى استحييت من الله تعالى ، مرحبا بما كتب الله لى . قلت[4] : أظنك و الله سعيدا كاسمك . فكتب الحجاج إلى خالد القسرى بطلبه ، و ذكر عن عون بن أبى شداد قال ذكر سعيد بن جبير عند الحجاج ، فدعا[5] قائدا من أهل الشام يقال له المتلمس بن الأخوص[6] الثقفى و عشرين رجلا من ثقاة[7] أصحابه ، و أمرهم بطلب سعيد بن جبير . و كتب معه كتابا إلى خالد القسرى و هو إذ ذاك أمير على[3] مكة يأمره بالقبض عليه و تسليمه إلى رسله مستوثقا به ، فطلب سعيدا فوجده قائما يصلى فى الحجر ، قال المتلمس[8] : فرأيته أحسن الناس وجها[9] و أفصحهم لسانا ، له[3] وفرة إلى شحمة[3] أذنيه .

(١-١) الجملة ساقطة من بن .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : قال .

(٥) عن بن ، و هى فى بر : فدعى .

(٦) فى بن [٢٠٠ : الف] : الأحوص (بدون نقط) .

(٧) فى بن : ثقات .

(٨) زيد فى بن : ابن الأحوص .

(٩) ساقطة من بر و واردة فى بن .

لم أر مثل هيبته و لا مثله لرجل من أهل زمانا . قال : فأخذته فانطلقت[١] به حتى نزلنا[٢] ماء لبنى أسد . فقال : بهذا الماء جماعة من أهلى ، فان رأيت أن تطلق عنى هـذا الحديد . قال[٣] فأطلقت عنه حديدة ، فقال لك الله تعالى[٣] علىّ أن أرجع إليك . فلما كان فى آخر النهار[٤] أتانى فأوثقته بحديده ثم مضينا . قال فأدركنا المساء[٤] عند صومعة راهب ، فأشرف علينا الراهب و قال : اصعدوا الدير فان حوله أسودا أخشاها عليكم . فصعدنا و أبىَ سعيد أن يدخل الدير ، و قال : و الله لا أدخل بيت مشرك أبدا . قال : فانا لا ندعك [٥]فان السباع تفتلك[٥] . [٦]قال : فان معى ربى[٦] سبحانه و تعالى سيصرفها عنى ، و يجعلها حرسا حولى ، فصعدنا و تركناه ، فاذا بلبوة قد أقبلت حتى دنت منه ، فمسحت به ، و ربضت[٧] قريبا منه ، و أقبل [٨]الأسد فصنعوا به مثل ذلك[٨] . فلما رأى الراهب ما رأى من طاق صومعته نزل إليه و قال له : أنبى أنت؟ قال : لا و لكنى عبد من عبيد الله خاطئ مـذنب . قال : فسأله عن شرائع

(١) فى بن : و انطلقت .

(٢) زيد فى بن : على .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) كذا فى بن ، وهى فى بر : الليل .

(٥-٥) فى بن : تأكلك السباع .

(٦-٦) فى بن : فقال إن معى الله .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : و ربطت .

(٨-٨) فى بن : الأسد فصنع مثله ذلك .

١دينه . [٢٦٤: ب] فقسر[١] ذلك كله ، وأسلم الراهب على يديه . ثم أن الرسل ساروا بسعيد حتى أتوا إلى مدينة واسط[٢] ٣بعد أن عرفوا بركته وحراسة السباع له ، فلما أشرفوا به على واسط٣ قالوا : ليتنا[٤] لم نرسل إليك ولم نرك ، فاعذرنا[٢] عند ربك . قال سعيد : ما أعذرنى لكم وأرضانى بما سبق من علم الله فى ، فهل لكم أن ٥تتركوا سبيلى٥ حتى أتزود ١بقية ليلتى من الدنيا . فخلوا سبيله١ ، فغسل رأسه وبدنه ومدرعته وكساه . فلما انشق عمود الصبح ، دخلوا به على الحجاج ١فقال : ما١ اسمك أيها الرجل ؟ قال : سعيد بن جبير . قال : بل أنت شقى بن كسير . قال : أمى كانت أعلم باسمى منك . قال : شقيت وشقيت أمك . ثم قال له[٦] : لأبدلنك بدنياك[٦] نارا تلظى . قال : لو علمت أن ذلك بيدك ١لاتخذتك إلـها١ . قال : ما قولك فى محمد ؟ قال : نبى الرحمة ورسول[٦] صلى الله عليه وسلم ، ختمت به الرسل . [١] قال : فما تقول فى على بن أبى طالب ؟ أفى الجنة ١ هو أم فى النار ؟ قال : لو دخلت الجنة عرفت من فيها . قال : فما تقول فى الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل . قال : فأيهم أعجب إليك ؟ قال : أرضاهم للخالق بعلمه الذى يعلم سرهم

(١-١) مطموسة فى بن . (٢) مطموسة فى بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) فى بن : ليت أنا .

(٥-٥) فى بن : تتركونى .

(-) ساقطة من بر وواردة فى بن .

و بجواهم . قال: فأى الرجل أنا؟ قال: أنا أهون[1] على الله من أن يطلعنى على غيبه . قال: أبيت أن تصدقنى . قال: بل لم أرد[2] أن أكذبك . قال: الويل لك يا سعيد . قال[3]: الويل لمن زحزح عن الجنة و أدخل النار . فقال له الحجاج: ألم أقدم الكوفة و لم[4] يؤم بها الأعربى فجعلتك إماما؟ قال[3]: بلى! قال: ألم أوليك القضاء[3] فضج أهل الكوفة و قالوا لا يصلح للقضاء إلا العربى فاستقضيت أبا بردة بن أبى موسى الأشعرى[3] و أمرته أن لا يقتفى أمرا دونك؟ قال: بلى! قال: أو ما أعطيتك خمسمائة[5] درهم ففرقتها فى أهل الحاجة[6] فى أول ما رأيتك ثم لم أسألك[6] عن شيء منها؟ قال: بلى! قال: فما بالك لم تضحك قط؟ قال: وكيف يضحك مخلوق من طين، و الطين تأكله النار[7] . و لا يدرى بعد ذلك أيصبحه الموت أم يمسيه؟ و كان الحجاج رقّ عليه، و رجا له كل من حضر الخلاص من بين يديه . ثم قال له الحجاج[8]: فما أخرجك علىّ؟ قال: بيعة كانت لعبد الرحمن بن الأشعث فى عنق . قال فغضب

(١) فى بن: اهر .
(٢) فى الأصلين: ارىد .
(٣) مطموسة فى بن .
(٤) فى بن: و ليس .
(٥) فى بن: مائة الف .
(٦–٦) كذا فى بن، و الجملة فى بر: لم أسئلك .
(٧) كذا فى بن، و الكلمة فى بر: الناس .
(٨) ساقطة من بن .

الحجاج حتى زال رداؤه عن منكبيه و قال[١] : أو لم تتقدم فى عنقك بيعة[٢] [٣]أمير المؤمنين[٣] عبد الملك [٤]بن مروان[٤] من قبل؟ ثم قال: يا شقى اختر لنفسك قتلة أقتلك. قال [٤]له: بل[٤] اختر لنفسك فان القصاص أمامك. قال: و الله لأعجلنك إلى النار. قال: لو علمت أن ذلك [٢٦٥: الف] بيدك لاتخذتك إلٰها. قال فاغتاظ عليه الحجاج[٥] و قال: اقتلوه[٦]! قال: أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله. ثم ضحك، فقال: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك[٦] على الله و من حلم الله تعالى عنك[٧]، و أنا أسأل الله تعالى بعزته و سلطانه أن لا يسلطك على قتل[٢] أحد من المسلمين بعدى[٨]، و أكون فداء المسلمين أجمعين، فهذه دعوتى عند قتلى[٩]. قال فلما أراد قتله، استقبل القبلة و قال: "وجهت وجهى للذى فطر السموٰت و الارض حنيفا و ما انا من المشركين[١٠]". قال الحجاج: حولوا وجهه عن القبلة. قال: "فاينما تولوا فثم وجه الله[١١]". قال فأمر به فأضجع و قال: كبّوه على وجهه. فقال: "منها خلقنٰكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة اخرى[١٢]". قال: اذبحوه من قفاه!

(١) فى بن: قال. (٢) ساقطة من بن.
(٣-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن: أمير المعين.
(٤-٤) ساقطة من بن.
(٥) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن [٢٠٠: ب].
(٦) مطموسة فى بن. (٧) فى بن: منك. (٨) فى بن: بعد.
(٩) فى بن: قتلى. (١٠) قرآن كريم ٦: ٧٩.
(١١) قرآن كريم ٢: ١١٥. (١٢) قرآن كريم ٢٠: ٥٥.

قال

قال فذبح فجرى منه دم عظيم استكثره كل من حضر و هالهم ذلك . فقال الحجاج : هذا لاجتماع نفسه و أنه لم يجزع من الموت و لا هابه ما فعلت به ، و غيره نقتله و هو مغتوق النفس ، فيقلّ[1] دمه لذلك . ثم أنهم[2] فتشوه فوجدوا فى ثوبه ثلاثة عشر درهما ، فاختصم فيها الذى قتله [3]و الذين جا(ءوا)[3] به ، فقضى بينهما[4] الحجاج للذى قتله . و اختلط عقل الحجاج فى الوقت ، فجعل يقول : [5]قيدونا ثم قيدونا[5] . فلم يعلموا ما الذى أراد ، فقطعوا ساقى سعيد من أنصافها بالقيود التى كانت عليه ، و حزّوا عنقه[6] إلى أن بان رأسه عن جسده ، و كان قتل سعيد بن جبير و هو ابن سبع و أربعين سنة .

و قيل لما بلغ الحسن البصرى قتله قال : اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج . [7]فلم يعش الحجاج[7] بعد قتل سعيد بن جبير إلا[7] ستة عشر يوما[7] . و وقعت أكلة فى بطنه ، و دعى[1] بالطبيب لينظر إليه ، فأخذ لحما و علقه فى خيط إبريسم و سرّحه فى حلقه و تركه ساعة ثم استخرجه[1] و قد لصق به دود كثير ، و سلط الله[8] عليه الزمهرير ،

(١) مطموسة فى بن .
(٢) ساقطة من بن .
(٣-٣) كذا فى بن و بعضها مطموس ، و هى فى بر : و الذى جاء .
(٤) فى بن : فيها .
(٥-٥) فى بن : قيودنا قيودنا .
(٦) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : برأسه .
(٧-٧) مطموسة فى بن .
(٨) زيد فى بن : تعالى .

فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة نارا، و تدنى منه[1] حتى يحترق جلده[1]، و مُنع من النوم، فاذا همّ أن يغفى[2] وثب مذعورا و قال: ما لى و لسعيد[1] بن جبير. و أرسل فى طلب الحسن[1] البصرى، فأتاه فشكى[3] إليه ما نزل به. فقال الحسن: قد نهيتك أن لا تتعرض للصالحين فلجّحت ليقضى الله أمرا كان مفعولا. و خرج الحسن من عنده فسئل عنه فقال: دخلت عليه و قد تغير لونه، و غارت عيناه من[1] السهر، و احترقت ثيابه، و تسلق جلده من حر النار فى تسعة كوانين حوله، فكلمنى و قد ضعف و بحّ صوته ثم قال: [٢٦٥ : ب] يا حسن ألا أسألك[4] أن لا[5] تسأل الله أن يفرج عنى، و لكن أسألك[4] أن تسأله أن يقتص منى، و يقبض روحى و لا يطيل عذابى، و يفعل بى ما شاء. قال فبكى الحسن بكاء شديدا. و أقام الحجاج بهذا الحال خمسة عشر يوما و مات. [6]فقال الشاعر[6]:

و من عجب الأيام أنك قاعد   على الأرض فى الدنيا و أنت تسير
تسير الليالى بالفتى[6] لا يحسها[6]   من الناس إلا عاقل و بصير
فسيرك يا هذا كسير سفينة   بقوم جلوس و القلوع تطير

(١) مطموسة فى بن.
(٢) فى بن: يغفا.
(٣) فى بن: فشكا.
(٤) كذا فى بن. و الكلمة فى بر: أسئلك.
(٥) ساقطة من بن. كذا من بر و هامشها، و لعل الصواب «لا اسألك أن تسأل الله أن يفرج عنى و لكن الخ».
(٦-٦) مطموسة فى بن.

فلا تطلب الدنيا بطول غنائها فتأتى إلى الأخرى و أنت فقير
أما تنظر الحجاج من بعد ظلمه و كثرة أموال له و قصور
غدا للثرى بالذل من شؤم ظلمه و صار حديثا فى الأنام نكير

و نظرت هند بنت أسماء بن خارجة زوجة الحجاج إلى الحجاج مُسَجّا[1] و هو ميت فقالت :

ألا يا أيها[2] الجسد المسجّا[1] لقد قرت بمصرعك العيون
و كنت قرين شيطان رجيم[3] فلما مت أسلمك القرين

و قيل إن هند هذه لها معه أخبار منها أنها ولدت منه ولدا ، فلما رآه ذمه بكل ذم قبيح ، فأنشدته تقول[4] :

و هل هند إلا مهرة[5] عربية سليلة أفراس تحللها بغل

فلما سمع ذلك منها طلقها لوقتها ، و دفع لها صداقها مائتى ألف درهم ، و لحقت بقومها[6] ، فأرسل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خطبها

(١) يمكن قراءة الكلمة فى بر « مسبحا » و لكن بمقارنتها مع بن يظهر بوضوح أنها « مسجا » أو « مسجى » بمعنى « مغطى » .
(٢) فى بن : أيها .
(٣) فى بن : مريد .
(٤) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٥) كذا عن بن [٢٠١ : الف] ، و الكلمة فى بر : مرأة .
(٦) زيد فى بن : بعد أن هجته بأبيات منها :
و إن جياد الخيل و هى صواهل مطايا لأبناء الحمير النوا(هق)
و فى الأصل « الحمر » و كلمة « النواهق » آخرها ضائع فى الترميم ، انظر النص فيما بعد .

بعد وفاء[1] عدتها ، فأرسلت تقول له: شرطى يا أمير المؤمنين بعد صداقى أن تأمر عاملك الحجاج أن يأخذ بزمام ناقتى من الكوفة إلى دمشق. فأرسل عبد الملك يقول: إن هذه المرأة شريفة فى قومها ، كريمة[2] فى نسبها ، وما يضرك أن تأخذ بزمام ناقتها إلينا! فلم يجد له بدا من ذلك ، [3]لطاعة أمير المؤمنين ولعدم مخالفة مرسومه[3] . ثم أنها تجهزت ، [3]وسارت فى محفل كبير[3] ، وسار[4] الحجاج قائدا [5]لزمام ناقتها[5] على غيظ وحنق منه نادما[6] على طلاقها ، فلما قالوا : هذه غوطة دمشق ، رمت من هودجها دينارا إلى الأرض[7] وقالت : يا جمّال أعطنى الدرهم الذى وقع منى[8] . فأناخ الحجاج راحلته [3]التى هو راكب عليها[3] ونظر[7] فى الأرض ، [3]فوجد دينارا[3] ، فقال : ليس هو بدرهم ، وإنما هو دينار . [3]وناوله لها[3] فقالت : الحمد لله يا حجاج[7] ، وقع منى درهم فوجدت[9] دينارا . فلما سمع كلامها[10] ازداد غيظا على غيظه . ثم

(١) فى بن : انقضاء .
(٢) فى بن : حسيبة .
(٣-٣) ساقطة من بر وواردة فى بن .
(٤) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : صار .
(٥-٥) مطموسة فى بن .
(٦) فى بر : نادم . وهى كذا فى بن .
(٧) مطموسة فى بن .
(٨) ساقطة من بر وواردة فى بن .
(٩) فى بن : فوجدناه .
(١٠) فى بن : مقالتها تلك .

قالت

قالت تهجوه[١] : [٢٦٦ : الف]

و ما كنت من أبناء جنسى فنلتقى   خلائقك القبحا و حسن خلائقى
[٢]و لكن جياد الخيل[٢] و هى صواهل   مطايا لأبناء [٢] الحمير النواهق [٢]

فازداد[١] [٣]همّا على همه[٣] ، و غمّا [٤]على غمه . [٥]ثم لما[٥] مات عبد الملك ردها إلى عصمته ، فلما [٦]انتهت مدته[٦] أنشدت البيتين المتقدم ذكرهما [٢]و هما «ألا يا أيها الجسد المسجى» إلى آخرهما .

و لما مات[٢] الحجاج رئى[٧] فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك؟ قال : قتلنى بكل من قتلته قتلة ، و قتلنى بسعيد[١] بن جبير سبعين قتلة .
عن أبى موسى الأشعرى ، قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله عز و جل يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ : "و كذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى و هى ظالمة ان اخذه اليم شديد[٨]" [٩]اللهم إنا

---

(١) مطموسة فى بن .
(٢-٢) الجملة مطموسة فى بن .
(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .
(٤) فى بن : غما .
(٥-٥) فى بن : فلما .
(٦-٦) فى بن : مات .
(٧) فى بر : رءى . و فى بن : روى .
(٨) قرآن كريم ١١ : ١٠٢ .
(٩) استبدلت العبارة الآتية فى بن [٢٠١ : الف – ب] من هنا إلى قوله «سبحان الله العظيم» بكلام طويل فيه طمس بالكتابة وخبل فى العبارة وتعقيد فى تسلسل السياق، =

=فآثرنا إدراجه بالهامش على ما هو عليه من غير تحريف ولا تبديل فيما به من الطلاسم، وهو كما يلي: . . .(مطموس). . . بأمير بني خفاجة أبو فليته و جماعة من رؤس قومه أسارى . . . (مطموس) . . . . الحجيج و هم راجعون من الحج ، و غوروا المناهل التي يردها الحجاج ، و وضعوا فيها بطيخ الحنظل ، قيل إنه مات من العطش نحو من خمسة عشر الف حاج ، و أخذوا بقية الحجاج . . . رعات (كذا) لمواشيهم في أسوء حال ، و أخذوا جميع ما كان معهم من الأجمال و الأحمال ، فحين أحضر الوزير فخر الدولة (في الأصل : الدوه) أبو فليته أمير (في الأصل : أمر) خفاجة و أصحابه مأسورين سجنهم ، و منهم شرب الماء ما فعلوه مع الحجاج ثم صلبهم تلقاء نهر دجلة أحياء ينتظرون صفاء الماء و لا (يقوون على) شرب شيء منه حتى (ماتوا عطشا) في هذا الصنع ، و اقتدى في ذلك بحديث أنس في الرعا(ة) الذين كانوا في (زمان النبي صلى الله عليه و سلم) ، و الحديث مذكور في الصحيحين ، ثم بعث الوزير فخر الدولة إلى واليك الحجاج الذي جعلتهم . . . . (مطموس) . . . . لمواشيهم لجيء بهم و قد تزوجت نساؤهم ، و قسمت أموالهم ، فردوا إلى أهاليهم و أموالهم ، فينبغي لولاة الأمور ردع الظلمة عن المظلومين ، ففي ذلك رضى رب العالمين . كان أبو النجم الكردى الملقب ناصر الدولة من خيار الملوك بناحية الدينور و همذان له سياسة و صدقة كبيرة ، و كانت أعماله في غاية الأمن بحيث إذا أعيا جمل أحد من المسافرين فتركه بما عليه في البرية رد إليه و لو بعد حين بما كان عليه لا ينقص منه شيء . و لما عتت أمراؤه في البلاد بالفساد ، عمل لهم ضيافة حسنة ، فقدمها إليهم ولم يأتهم بخبز ، فجلسوا ينتظرون الخبز يأكلوا به الطعام الذى مد لهم، فلما استبطوه سألوا عن الخبز ، فقال لهم : إذ كنتم تهلكون الحرث و تجورون على الفلاحين فمن أين يأتون بالخبز . ثم قال لا أسمع بأحد أفسد في الأرض إلا أرقت (دمه). و اجتاز مرة في بعض أسفاره برجل معه حزمة حطب و هو يبكي فقال له : ما أبكاك؟ فقال: إني كان (معي رغيفان) أريد أن أتقوت بهما فأخذهما مني بعض الجند. فقال : =

= أ تعرفه إذا رأيته ؟ قال : نعم . فوقف به فى (مضيق) حتى مر عليه الجند ، نلما اجتاز به ذلك الجندى الذى أخذ منه الرغيفين قال : هذا هو . فأمر به أن ينزل عن فرسه و أن يحمل هذه الحزمة الحطب من الحطاب حتى بلغ بها إلى المدينة فأراد أن يفتدى من ذلك بمال ، فلم يقبل منه حتى يا(دب) بـه الجيش كلهم . و كان له صدقات و معروف كثير على الفقراء و الأرامل و الأيتام و تكفين الموتى و المجاورين بالحرمين الشريفين و عمارة المصانع و إصلاح المياه و حفر الآبار بطريق الحجاز . و ما اجتاز بما فى طريقه إلا و عمر عند . . . . . و عمر فى أيامه الخانات والمساجد فى الطرقات ما ينيف على ألفى خان و مسجد . فـاذا أمسى الليل فى الطرقا(ت) . . . . . السفار نزلوا الخان و صلوا فى المسجد الذى به ، و اشتروا من دكان الخان ما يتعيشون به . و كان له من الخي(ل) المربطة فى سبيل الله بر-(م الجهاد) ما ينيف عن عشرين ألف فرس . و كان كثير الصلاة و الذكر ، و كان مدة ملكه (اثنـان) و ثلثين سنة و دفن (بمسجد) على بن أبى طالب . فانظر إلى فعل الملك أبى النجم الكردى ، و من أذى الحاج و قصد . . . (مطموس) . . . ظلمهم ، و إذ قد . . . (مطموس) . . . . الرغيفين اللذين (أخذهما الجندى من) الحطاب ، فـأذكر ما قيـل فى الرغيف (قال بعض ا الصالحين : تفكرت فى هذا الرغيف . . . . (مطموس) . . . (و لم يروا) انا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فيخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم و أنفس(هم) . . . . صرون فالملائكة موكلون بالماء يسوقونه إلى الأرض كما قدر الله تعالى لقوله « و فجرنا الارض عيونا فالتقى المـاء على امر قد قدر » (قرآن كريم ٥٤ : ١٢) . . . . . . أهل الأرض موكلون بآلة الحرث فيحرثون الأرض و يرمون فيها البزر . و يوكل الله به (الملائكة يحفظونه من) . . . . الأرض و هوامها حتى ينبت ، فـاذا نبت وكل الله به ملائكة يحرسونه من الطير حتى يظهر (سنبله بأمر الملك الوهاب) . . . . . . =

براه من جور الظالمين و ظلم الظالمين ، و إنا محبون لمدنك فى الآخرة . فلا تجن علينا بسخطك ، و اغفر ذنوبنا إنك على كل شيء قدير . قال أبو الحسن الشاذلى : إن أردت أن لا يصدى لك قلب ، و لا يلحقه هم و لا كرب ، و لا يبقى عليك ذنب ، فأكثر من قول سبحان الله
٥ و بحمده سبحان الله العظيم .

[حكاية مؤلمة لقلب امرأة مسلمة]

حكاية مؤلمة[١] لقلب امرأة مسلمة . حكى أن امرأة مغربية كبيرة السن توفى ولدها و ترك ولدا فطيما يتيما من أبيه و أمه . فوصى

= فيلحقه و لو زاد عليه شيء من الأرض لأتلفه . قال الله تعالى : « و كل شيء عنده بمقدار » (قرآن كريم ١٣ : ٨) . و قال الله تعالى : « و أرسلنا (الرياح) لواقح » (قرآن كريم ١٥ : ٢٢) ثم يسخر الله تعالى البخار بالحديد حتى يعمل له آلة الحصد أوانه وقت انتفاعه كالمنجل و المقصل و أحصد . وكل الله به ملائكة تحرسه من الفار ثم يدرس ثم يحمل على ظهر الأنعام ثم يخلق الله تعالى من يقطع الحجارة و يبنى الطواحين فيطحن و يعجن ، و من يبنى الأفران و يخبزه ، ثم يأتى به إليك ، فانظر ما تجد من الرغيف . و قال بعض الصالحين : دخلت طاحونا فى ...... (فرأيت) الجمل يدور و عيناه مغطيتان فقلت بلسان الحال : أراك مغطى (العينين) ...... هذا الوقت أحب فيه فتح عينى كلما نظرت إلى نعمة خالقى يزداد فى قلبى محبته . قال النبى صلى الله عليه و سلم : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها و ليس العبد يحسن غير مولاه .

(١) فى بر : مؤمنة . و صحتها فى بن كما أوردنا بالمتن .

الرجال

الرجل والدته عليه فى مرض موته ، و ترك له من الدراهم النقرة ألفين ، فدفنتها[1] المرأة بالأرض حفظا لها. فلما ظفرت الإفرنج[2] بالإسكندرية حملتها معها و حملت جاريتها الولد المذكور و مضوا هاربين مع جملة من هرب من باب البر . فثقلت الدراهم على المرأة و عجزت عن حملها لكبر سنها ، فصادفت رجلا كان صديقا لولدها [3]فى حياته[3] ، فركنت إليه و ذكرت له عجزها عن حمل مال اليتيم ، و لم تجد دابة تكتريها لتحملها[4] و سألته[5] أن [6]يحمل ذلك[6] عنها ، و يحفظه لليتيم ، [3]و يكون عنده وديعة إلى أن تأمن الناس[3] . فأخذ تلك الدراهم منها و مضى إلى حال سبيله . فلما أمنت الناس سألته فى رد الوديعة فأنكرها ، و جحدها فعادت عليه السؤال و هو لا يزيدها على الانكار و الجحود شيئا . فقيل لها لما[7] شكت حالها لغيرها: ما منعك من ترك[8] الدراهم مدفونة[9] ، أكانت الإفرنج[2] تعلم ما تحت الأرض ؟

(١) فى الاصلين : فد فنتها .

(٢) فى بن [٢٠١ : ب] : الفرنج .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن [٢٠٢ : الف] .

(٤) الكلمة ساقطة من بر وواردة فى .

(٥) فى بن : فسألته .

(٦-٦) عن بن ، وفى بر : يحملهم .

(٧) فى بن : حين .

(٨) فى بن : ان تكون .

(٩) ساقطة من بن .

قالت : نعم ، كانت الأرض أحفظ لها ، لكن[1] حملى على حملها معى وقعة طرابلس الغرب [2]وأخذ الإفرنج لها[2] و إقامتهم بها مدة أشهر ، و حفرهم لأراضى[3] بيوتها . [٢٦٦ : ب] لطول إقامتهم بها ، [4]حسبت أن الذى ظفرنا بالإسكندرية يقيم بها هو و جيشه[4] كما أقاموا بطرابلس ،
٥ و يحفروا[5] و يأخذوا الدراهم [2]المذكورة بحفرهم ديارها المعمورة[2] و لو علمت [6]أنهم أتوا لصوصا[6] خطافة نهابة[7]، لا يلبثوا بها كما لا يلبث اللص بمكان سرق منه ، كنت تركتها بمكانها[8] . قيل لها : فكنت تركت[9] الجارية تحملها[10] لقوتها[11] و شبابها[12] . قالت : [12]يكفى الجارية حملها للولد[12] .

(١) فى بن : و الكن .
(٢-٢) ساقطة من بن .
(٣) فى بن : اراضى .
(٤-٤) فى بن : فظننت أنهم يقيموا بالإسكندرية .
(٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٦-٦) الجملة مطموسة فى بن .
(٧) ساقطة من بن .
(٨) فى بن : مكانها .
(٩) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : تركتى .
(١٠) الكلمة مطموسة فى بن .
(١١) فى بن : لقدرتها على ذلك .
(١٢-١٢) فى بن : كتنيت للجارية بحمل الولد .

و خفت [1]أن العربان تخطف الجارية[1] [2]بما معها[2] كما خطفوا غيرها، لأن الإفرنج[3] كانت تنهب فى[4] البلد، [5]و العرب ينهبون من خرج منها بشىء له فى البر[5]، و ذلك لكثرة العرب[6] و حرصهم على خطف من وجدوا معه شيئا، فانهم أتوا ينصرون أهل الإسكندرية، فصاروا عليهم نقمة و بلية[6]. ثم أن المرأة حملت على قلبها من أمر الوديعة[7] و المودع المذكور، فماتت بغمتها[8] و قهره لها. فصار الصغير مع الجارية حائرة به، لم تجد ما يقوم بهما[9]. [10]فرفعت أمرها[10] [2]لنائب السلطان[2]

(١-١) كذا فى بن، و العبارة فى بر: من العرب الجارية (كذا).

(٢-٢) الجملة مطموسة فى بن.

(٣) فى بن: الفرنج.

(٤) ساقطة من بن.

(٥-٥) فى بن: والعربان تنهب من قد شرد.

(٦-٦) فى بن: و العربان الذين جاءوا لقتال الفرنج (فلما لم يقدروا) على الفرنج صاروا ينهبوا المسلمين و يحرصوا على خطف ما وجدوه مع الناس الخارجين من باب البر. و فى بر كلمة «ينصروا» صححناها.

(٧) ساقط من بر و واردة فى بن.

(٨) فى بن: قهرا. (و ما تلاها من الجملة مطموس).

(٩) فى بن: بها و بالصغير.

(١٠-١٠) فى بن: فرفع الأمر.

بذلك[1]، [2]فأدعى بالرجل و سايسه بالحد و اللين[2] حتى أخذ[3] لليتيم ماله بكماله[4] .

[حكايات فى الودائع]

و إذ قد ذكرت [5]الوديعة، فسأذكر ما قيل فى الودائع إن شاء الله تعالى[5] . قيل إن رجلا أودع عند رجل كيسا مختوما[6] فيه ألف دينار، و سافر و رجع من سفره بعد ثمان سنين، فطلب الكيس منه، فأعطاه إياه بختمه كما دفعه له أولا، فمضى الرجل به إلى داره فتحه و صبّه، فاذا هو دراهم، وكان المودع المذكور فتقه من أسفله، و أخذ ما فيه من الذهب، و جعل مكانه دراهم، و خاطه فصار كما كان مختوما[6] . فرفع صاحب الكيس أمره إلى القاضى، فأحضره و سأله عن ذلك، فقال: إنه دفع لى كيسا مختوما لم أعلم ما فيه، و أعدته له [5]بختمه، فقال صاحب[5] الكيس: نعم[6]، وجدته مختوما بختمى، لكن كان [7]دنانيرا فوجدته دراهما[7]، [5]وكان المودع صاحبه[5] رجلا مشهورا بالأمانة،

---

(١) فى بن: بالإسكندرية .

(٢-٢) فى بن: فأحضر الرجل و أخذ باللين و الحد .

(٣) فى بن: استخلص .

(٤) فى بن: بتمامه و كماله .

(٥-٥) مطموسة فى بن .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧-٧) فى بن: دنانير ـ دراهم .

فتحير

فتحير الحاكم[1] و قال: احضروا لى مشايخ الفقهاء، فمثل هذا [2]لا يهمل[2] بشهرته[3]، أى[4] صاحب الكيس يصدق[5] القول بين الناس. [6]فلما حضرت مشايخ الفقهاء فكلهم جعلوا القول قول المستودع، لأن صاحب الكيس أقر أنه مختوم بختمه[6]، فقال أحد الفقهاء. و كان لا يؤبه له: متى أودعته إياه؟ قال: من مدة[7] ثمان سنين. قال[8] لغريمه: هكذا تقول؟ قال: نعم، فقصد [9]ذلك الفقيه إظهار[9] نفسه ليصير [9]فى درجة[9] تلك المشايخ الفقهاء، و قال: إن رأى مولانا القاضى أيده الله تعالى و وفقه للصواب[10] [٢٦٧ : الف] أن يحكمنى بينهما [9]سيرى ما أحكم به[9]. قال: قد حكمتك و أمضيت ما تحكم به. قال: و أين الكيس؟ قال: ها هو. فقال للرجلين: أنظراه! فنظراه فاعترفا به. فقال: و انظرا[11]

---

(١) فى بن: القاضى.

(٢-٢) العبارة ساقطة من بن.

(٣) فى بن: لشهرة.

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

(٥) فى بن: لصدق اللهجة و القول.

(٦-٦) فى بن: لإقراره انه وجده مختوما بختمه.

(٧) ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٨) فى بن: فقال.

(٩-٩) مطموسة فى بن.

(١٠) فى بن: الصواب.

(١١) عن بن، وفى بر: وانظروا.

إلى[1] مكان الختم . فنظراه و عرفا . فقال: و أنتما متفقان على المدة؟ فقالا: نعم . ففتح الكيس و جعل يقلب الدراهم و ينظر إليها و يضعها و ينظر إلى كل واحد منها[2] . فقال للمستودع: اتق الله و اردد على الرجل دنانيره قبل أن ينتهك سترك . قال: أفبغير الحق تحكم؟ قال: لا و الله إلا بالحق . و مال[3] الناس كلهم مع المستودع و قالوا: لا نصبر على الهوى. فقال: لا والله و لا[4] أحكم في دين الله بالهوى، اشهدوا علي أني[5] قد حكمت على هذا الخائن برد الدنانير و باسقاط[6] أمانته . قالوا: من أين حكمت؟ قال: إني سألتها بأن الوديعة لها ثمان[7] سنين . فاعترفا بذلك [8]إلى آخره[8] ثم قرأت سكك الدراهم فإذ فيها ما قد ضرب من[9] [10]سنة، و منها ما قد ضرب من[10] ثلاث سنين . و منها أربع سنين . فعرفت[11] كذبه،

---

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بر : منها . و الكلمة صححت بغير قلم الناسخ .

(٣) في بن : و تعصب .

(٤) في بن : لا .

(٥) في بن : أنني .

(٦) في بن : و إسقاط .

(٧) في بن : ثماني .

(٨-٨) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٩) في بن : منذ .

(١٠-١٠) ساقطة من بن [٢٠٢ : ب] .

(١١) في بن : فعلمت .

فحكمت عليه بالرد و الخيانة[1]، فاستحسنوا منه ذلك، و لم يفهمها غيره، فكبر شأنه عند القاضي، و ألحقه بدرجة الفقهاء الكبار لفهمه و حذقه، [2]وهمّ على الخائن حتى أعطى لصاحب الكيس الألف دينار[2] ـ انتهى.

قال مالك رحمه الله فى امرأة بالإسكندرية، كتبت وصيتها إلى ورثتها، و هم بمدينة[3] يثرب، فلم يأت من ورثتها خبر، فخرج رجل بتركتها المودوعة عنده إليهم، فهلكت فى الطريق، فهو لها ضامن من حيث[4] خرج بها من غير إذن أربابها. [5]فلو استودع جرارا و شبهها فنقلها نقل مثلها فتكسرت، ضمن لأنها جناية خطأ. و قالوا فيمن وقف على فخار ليشترى منه، فأذن له فى تقليب الفخار، فأخذ آنية فسقطت من يده على آنية أخرى فانكسرت الآنيتان[6] معا، لم يضمن التى سقطت من يده و يضمن الأخرى لأنها جناية خطأ.

إذا أودع رجل رجلا وديعة[7] و قال له لا تقفل عليها الصندوق، فقفله ضمنها. و احتج ابن عبد الحكم بأن الإقفال للصندوق إطماع للسارق فيما احتوى عليه الصندوق و حائل له على ما فى الصندوق. كان عليه قفل أو لم يكن،

(١) فى بن: و خيانته.
(٢-٢) فى بن: و رده على الخائن حتى أعطى لصاحب الكيس الدنانير.
(٣) ساقطة من بن. (٤) فى بن: حين.
(٥) الكلام من هنا ساقط من بن و يستأنف فى كل من بن و بر بالعبارة «اختصم رجلان فى شاة».
(٦) فى بر: الآنيتين.
(٧) فى الأصل: وداعة.

و الذى قاله ظاهر إلا أن يقال إن طلب السارق للصندوق المقفل أشد من طلبه لما لا قفل عليه. قال ابن عبد الحكم و لو قال رب الوديعة للودع اجعلها فى قدر فخار، فجعلها فى [٢٦٧ ب] سطل نحاس، فضاعت لضمن[1] لأن السارق عينه إلى سطل النحاس أكثر من الفخار. و لو قال اجعلها فى سطل نحاس، فجعلها فى قدر فخار فضاعت لم يضمن. ولو قال اجعلها فى كمك فتركها فى يده فضاعت لم يضمن، لأنه بالغ فى حفظها، لأن كونها فى يده أصون لها من كمه. إلا أن يقصد به إخفاءها[2] عن عين الغاصب فليضمن، لأن الكم أحرز من اليد، و لو سعى بها الوديع إلى مصادر ضمنها، أى لو وشا بها إلى ظالم، فانه ضامن بسبب التضييع فانه إنما أمسكها ليحفظها عن مثل هذا، فاذا أخبر ظالما بها فذلك عين التضييع فيضمنها لربها ـ انتهى.

[حكاية فى المخاصمة]

فلنذكر الآن ما قيل فى المخاصمة و الفتيا إن شاء الله تعالى. [2]اختصم رجلان فى شاة قد أخذ كل واحد[3] بأذنها يقول هى لى. فمر رجل كان قد[4] ولد له ولد و ليس معه ما يشترى به شاة للعقيقة، و كلفته امرأته لشرائها و هو حائر كيف يجتمع له ثمنها، و يقول: لم[5] كلفتنى هذه المرأة

(١) كذا فى بر، و هذا القسم ساقط من بن.
(٢) من هنا يستأنف الكلام فى كل من بر و فى بن.
(٣) فى بن: رجل. (٤) ساقطة من بن.
(٥) فى بن: قد.

لما

لما لا طاقة لي به، و تكليف ما لا يطاق، يؤدي إلى الشقاق[1]، و تلى[2] قوله تعالى: "لا يكلف الله نفسا الا وسعها[3]". و هو مفكر فيما ذا يفعله. فبينما هو كذلك و إذا بالرجلين[1] قالا [4]لأبي المولود[4]، و هما لا[1] يعرفانه[5]: احكم بيننا في هذه الشاة، و مهما حكمت به علينا رضيناه، فقد طال الخصام[1] بيننا. فقال: إنكما لن[6] ترضيا[1] بحكمي، و إني لا أحكم إلا بالحق. فقالا: رضينا بحكمك. قال: لا أحكم حتى تحلفا [7]لي بالطلاق[7] و العتاق و الحج[8] و العمرة مشاة[1] حفاة[9] أنكم ترضون بحكمي. ففعلا ذلك و التزماه بالأيمان[8]. فقال: حكمت عليكما أن [7]تخلياها لي[7]، فانه ولد لي مولود، و كلفت لشرائها للعقيقة[1] و لا معي ثمن شاة[1]. و يحصل لكما[10] أجرها[1]. فقالا: خذها و امض[1] بها. فأخذها[11] و مر بها[1] و هما ينظران إليه. فقال

(١) الكلمة مطموسة في بن.

(٢) في بن: و تلا.

(٣) قرآن كريم ٢: ٢٨٦.

(٤ – ٤) في بن: له.

(٥) في بن: يعرفان.

(٦) في بن: لم.

(٧ – ٧) العبارة مطموسة في بن.

(٨) ساقطة من بن.

(٩) ساقطة من بر و واردة في بن.

(١٠) في بن: لمن هي له منكما.

(١١) في بن: فأخذ.

أحدهما[1] لصاحبه: ضيعتها[2] عليّ بباطلك. لا أبرأ الله[3] لك ذمة. [4]وسلط عليك النقمة[4].

[حكاية فقيه وأعرابي بطريق مكة]

ومر بعض الفقهاء [5]بطريق مكة[5]، فأصابه عطش شديد، فقال: هل من ماء؟ فقال رجل من العرب: عندي قربة ماء. فقال: اسقني منها. فقال: إنها موقوفة للبيع، وظهر له قوة عطش[6] الفقيه. فقال له الفقيه: بعها مني. فقال: والله لا أبيعها إلا بخمسة [5]دنانير. فرأى[5] الفقيه أنه[7] لا بد له من شرائها لشدة عطشه[8]. فقال له الفقيه: اشتريت منك القربة بمائها بما ذكرت. قال البدوي: [5]نعم بعتكها بمائها[5] بالثمن المعين، [9]هات الدنانير[9]. فأعطاه[10] [٢٦٨ الف] خمسة دنانير وهو متألم لخروجها

(١) الكلمة ساقطة من بن.

(٢) في بن: صنعتها.

(٣) ساقطة من بر وواردة في بن.

(٤ - ٤) الجملة ساقطة من بن.

(٥ - ٥) العبارة مطموسة في بن.

(٦) في بن: العطش من.

(٧) في بن: أن.

(٨) زيد في بن: وخوفا من أن يلقي نفسه .... (مطموس) .... تذكر قوله .... (مطموس) .... تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

(٩ - ٩) العبارة ساقطة من بر وواردة في بن.

(١٠) زيد في بن: الفقيه.

منه . [1]فلما ملكها فتح فاها و شرب حتى ارتوى ، و زكا حينئذ ثم قال للبدوى[1] : [2]يا وجه العرب[2] تأكل شيئا من سويق مصر ! قال أى و الله و أراك كريما تشترى الماء بالذهب ، و تتكرم فى الفيافى المنقطعة بالزاد . فقال[3] : أقصد[4] بذلك الأجر[5] . فقال البدوى[6] : آجرك الله[7] على فعلك ، هات[8] . فأخرج الفقيه سويقا كبيرا[8] وضعه[9] فى قصعة ، و صب عليه سمنا كثيرا و قال له : كل يا أخا العرب إلى أن تشبع فاغتنمها الأعرابى و أكل ما فى القصعة جميعه . و كان[9] الفقيه قد شرب منها حتى ارتوى و كاها ، فاشتد الحر[9] و عطش الأعرابى من شدة حر الشمس وحر السمن ، و الماء من البدوى على مسافة بعيدة ، فقال للفقيه : اسقنى شربة ماء . فامتنع ، فسأله ثانيا و هو يمتنع . فقال : تطعم العيش و لا تسقى الماء ، اسقنى فقد ألهب العطش كبدى . فقال : إن رددت علىّ ذهبى سقيتك و أرويتك ، و إلا مت عطشا ، أما يكفيك أكل سويق و سمنى حتى تأخذ[10] ذهبى منى[10] ؟

(١ - ١) الجملة واردة فى بن و فى بر « فقال له » و بقيتها ساقطة منها .

(٢ - ٢) الجملة ساقطة من بن . (٣) زيد فى بن : الفقيه .

(٤) فى بن : انى أقصد .

(٥) زيدت فى بن جملة أغلبها مطموس و لا تؤثر على السياق .

(٦) فى بن : له .

(٧) زيد فى بن : تعالى .

(٨) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٩) لكلمة مطموسة فى بن .

(١٠ - ١٠) فى بن : دنانيرى .

فـلم يجد البدوى[1] بـدا من رد الذهب[2] إليـه، فعند ذلك سقاه حتى ارتوى[3]. ثم قال: مضت و الله القربة، بأكلة و شربة، لا قوة إلا بالله، [4]فليتنى ما[4] أكلت من قصعة، بأصابعى[5] الخمسة[6] و كنت فزت بالدنانير الخمسة. و مضى[7] شبعانا ريانا، و على[8] الدنانير مقهورا[3] ندمانا.

[حكاية فى تأدية الشهادة]

دخل أبو دلامة الشاعر على قاض، يؤدى عنده شهادة، [9]و خاف أن لا يقبله لمعرفته بحاله[9]، فأول ما قاله أبو دلامة:

إن الناس غطونى تغطيت عنهم   و إن بحثوا عنى ففيهم مباحث
و إن حفروا بئرى حفرت بيارهم   فسوف يروا ما ذا تثير النبائث[10]

---

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٢) فى بن: الدنانير.
(٣) ساقطة من بن.
(٤-٤) فى بن: ليتنى لم.
(٥) مطموسة فى بن.
(٦) زيد فى بن [٢٠٣: الف]: و كنت فزتها لدنانير الخمسة، لكن هذه آفة الطمع. قال الشاعر:
«و تضرب أرقاب الرجال المطامع»
(٧) فى بن: ثم أنه ذهب.
(٨) فى بن: لكن على ضياع.
(٩-٩) فى بن: فقال له رقيبى!!
(١٠) فى بن: النبايب.

 فقهم

ففهم القاضى عنه إنه [١] إن رد شهادته هجاه [١]، و فى الهجو منقصة و ذلة للرجل الفاضل، و تذكر قول بعضهم:

لو هجا [٢] المسك و هو أهل   لكل مدح لصار جيفة

فسأله القاضى عن أمره. [٣] قال: تأدية [٣] شهادة. فقال: أدها! فأداها فقبلها منه [٤] و انصرف. [٥] قال الشاعر:

ما دمت حيا فدارى الناس كلهم   فانما أنت فى دار المدارات
من يدر دار.... لم يدر سوف يرى   عما قليل نديما للندامات [٥]

[٦] و مما قيل فى معنى شعر أبى دلامة:

يا حافر البئر على ذروة   عبى لرجليك مراقيها
من يحفر البئر و لا يتقى   يوقعه رب السما فيها

و مما قيل أيضا فى المعنى:

قضى الله أن البغى يصرع أهله   و أن على الباغى تدور الدوائر
/ و من يحتفر بئرا ليوقع غيره   سيوقع يوما فى الذى هو حافر [٦]   [٢٦٨: ب]

(١-١) فى بن: بسبب أداء الشهادة و خاف إن رد شهادته هجاه.

(٢) فى الأصلين: هجى.

(٣-٣) فى بن: فقال أداء.

(٤) ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٥-٥) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن.

(٦-٦) هذا الجزء ساقط من بن. و زيد فيها قبل القصة التالية: و قد يفتى المفتى لأحد باحتياله لينفعه بفتاة فينفع ذلك المفتى كما قيل.

[حكايـة رجل و امرأة و بعض المفتين]

جاء رجل إلى بعض المفتين فقال: إنى خطبت عند قوم و قد ردونى، و أنا أحب أن أتزوج عندهم. فقال: ويحك علامَ ردوك. قال: ذكروا أنى فقير. فقال: و ما أصنع؟ فقال: قد دلونى عليك تتحيل لى و لك الأجر. و صار يقبل يديه [1]و رجليه و يتضرع بين يديه[1]، و دموعه تسيل على خديه، فرثا له و قال: تقدر على نقدها و نفقتها. قال: نعم[2]. [3]قال: إن[3] كان و لابد لك من التزويج بها، فبع إحليلك منى. قال: و بم[4] أطأها إذا أنا بعتك إياه تقطعه و أصير كالخادم النادم، هذا[5] لا يمكن أبدا أيها العالم. قال: هذا[6] ما أخبرتك. [3]و أنا أعطيك فيه ألف[3] درهم. فقال: اتق الله و هل يمكن ذلك؟ [7]قال: ألفى درهم[7]. ثم لم يزل بـه حتى قال: أنا أعطيك به عشرة آلاف درهم. قال: لا و الله لا كان ذلك أبدا. قال: فاذهب الآن

(١-١) ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٢) فى بن: لا، و ربما كانت الكلمة هى الصواب.

(٣-٣) مطموسة فى بن.

(٤) كذا فى بن، و الكلمة فى بر: و بما

(٥) زيد فى بن: لما.

(٦) فى بن: هو.

(٧-٧) ساقطة من بن.

و اخطب[١]، فان طردوك فقل لأى شيء تطردونى، فان قالوا لأنك فقير، فقل إن المفتى فلان يعرف حالى، و لا تتكلم بكلمة زائـدة على ما قلت لك أبدا[٢] لئلا[٢] تفسد علىّ الحيلة. فقال: سمعا و طاعة. و مضى إليهم يخطب[٣]، فقالوا: إنا لا[٣] نزوجك. فقال: و ما الذى[٣] كرهتم[٤] منى. قالوا: أنت[٥] فـقير و لا قدرة لك. فقال[٦]: إن المفتى فلان يعرف[٧] حالى[٣]. فقالوا: إن عرف المفتى حالك[٣] زوجناك! و أتوا إليه [٨]فسألوه عنه[٨] فقال: لا أعرفه و لا أعرف حاله إلا أنى [٩]رأيت بعض[٩] الناس ساومه فى[٢] سلعة يملكها [٨]أعطاه فيها[٨] عشرة آلاف درهم و أبى[١٠] بيعها، و ما أظنه ترك [٩]بيعها إلا و يريد[٩] فيها أكثر من ذلك. فركنوا إليـه و زوجوه و دخل بالمرأة، فاذا هى[١١] شابة جميلة متمولة، و فحصوا عن أمره، فلم يجدوا له شيئا. فعلمت أنه ما وصل إليها إلا بحيلة، فقالت [٩]له: عرفنى من[٩] ذلك علىّ. فقال: رأيتك

(١) فى بن: فاخطب.
(٢) الكلمة ساقطة من بن.
(٣) الكلمة مطموسة فى بن.
(٤) فى بن: كرهتموه.
(٥) فى بن: لأنك.
(٦) فى بن: قال.
(٧) فى بن: يعرفنى.
(٨-٨) ساقطة من بر و واردة فى بن
(٩-٩) العبارة مطموسة فى بن.
(١٠) فى بر: و ابا. و فى بن: فأبى.
(١١) ساقطة من بر و واردة فى بن.

مرة[1] تنظرى من طاق دارك[2] فأحبتك ، فتحيلت عليك حتى وصلت إليك . فقالت : أذكر لى حيلتك التى تحيلت بها كيف كانت ؟ فامتنع فتسلطت عليه بالمضاجرة[3] حتى أخبرها بما فعله المفتى معه ، فسكتت على غبن و قهر ، و كان على باب [4]درب المفتى[4] [5]دار فيها[5] رجل[6] بقال[7] عنده ابنة بكر[3] قرعا شلا زمنة كانت تعرفها و تتصدق عليها ، فلما كان ثالث يوم من[8] قول زوجها لها تلك الحيلة[9] ، لبست أفخر ثيابها ، و تطيبت و تعطرت ، و أتت إلى منزل المفتى ، فضربت الباب ، فخرج إليها فقال : ما قصتك ؟ قالت : فتوى عافاك[10] الله . قال : تكلمى . [٢٦٩ : الف] قالت : يا سيدى أنا ابنة فلان البقال الذى حانوته[2] على باب هذا[3] الدرب ، و قد أعيتنى الحيل . و أبى[11] كل من خطبنى

(١) الكلمة مطموسة فى بن .
(٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٣) ساقطة من بن .
(٤-٤) مطموسة فى بن .
(٥-٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٦) كذا فى بن ، و فى بر : رجلا .
(٧) ساقطة من بن ، و هى فى بر : بقالا .
(٨) زيد فى بن : حين .
(٩) فى بن : المقالة .
(١٠) فى بن : أعزك .
(١١) فى بن : فى أبى .

منه

منه لا يزوجنى . و يعتذر باعتذارات[1] ليست بصحيحة ، يقول ابنتى شلا اليد ، و هذه يدى - و أبرزت معصمها كالجمارة[2] فيه أساور الذهب و اللؤلؤ ، فرأى المفتى ما حيره . ثم قالت له : و يقول ابنتى قرعا - [3] و هذا شعرى ، فرأى شعرا أسود براقا حسنا . و يقول ابنتى كادومة [3] - و كشفت عن وجه يتلألأ حسنا و جمالا ، فبهت المفتى لما رأى . ثم قالت : و يقول ابنتى زمنة عرجاء - و كشفت عن قدميها[4] و مشت بين يديه مشيا سويا[5] - و إنه لا يريد يا سيدى[6] يزوجنى[7] ألبتة ، و قد بلغت[8] و عيرتنى البنات التى[9] هن أقرانى بتزويجهن[10] قبلى ببوارى و شوم بختى ، [3] و قلة قسمتى و سوء حظى [3] ، و جعلت تبكى و تلين كلامها فى بكائها ، فأخذت بمجامع قلب المفتى ، و حركت بسواكنه[11] ، [12] و كانت امرأته توفيت[12] ، و هو عازب ينظر [13] فى أمره ليجد [13] امرأة يتزوجها.

(١) ف بن : باعذار .
(٢) ف بن : كالجمار .
(٣-٣) ساقطة من بر و واردة ف بن .
(٤) ف بن [٢٠٣ : ب] : قدم كالجمارة .
(٥) ف بن : مستويا .
(٦) الكلمة ساقطة من بن .
(٧) ف بن : تزويجى .
(٨) ف بن : كبرت .
(٩) ف بن : اللواتى .
(١٠) ف بن : بتزوجهن .
(١١) ف بن : ما هو ساكن .
(١٢-١٢) ف بن : و كان قد توفيت زوجته .
(١٣-١٣) الجملة ساقطة من بن .

فقال فى نفسه هذه هى[١] الزوجة المطلوبة للمتعة[٢] . ثم قال لها : هل لك[١] أن [٣]أتزوج بك[٣] ؟ فما انقضى كلامه ذلك[١] حتى انكبت على قدميه تقبلهما و تقول : من[٤] لى بأن أكون لك جارية و مملوكة[١] و خادمة . فقال : اذهبى فى حفظ الله ! فانصرفت . و طلب البقال فحضر فقال :
٥ زوجنى بابنتك[٥] . فقال : الله الله فى أمرى ، ان ابنتى قرعا شلا كادومة زمنة ، و لم تصلح[٦] لغلامك ، فكيف لك[٧] ؟ قال : قد رضيت بجميع ما ذكرت ، [٨]و دفع له[٨] خمسين دينارا نقدا[٩] معجلة ، و وقع العقد على [١٠]مائة دينار[١٠] أخرى مؤجلة ، و شرط فى نفس العقد أنه رضى[١١] بجميع العيوب التى ذكرها أبوها فيها . و قال : عجل على بها[١٢] . فلما كان[٦] المساء،
١٠ أحضر البقال ابنته يحملها هو و عبد له ، فلما رآها المفتى قال : ويلك

(١) الكلمة ساقطة من بن .
(٢) فى بن : التمتع .
(٣-٣) فى بن : أتزوجك .
(٤) فى بن : و من .
(٥) فى بن : ابنتك .
(٦) الكلمة مطموسة فى بن .
(٧) فى بن : بك .
(٨-٨) فى بن : و أعطاه .
(٩) ساقطة من ر و واردة فى بن .
(١٠-١٠) مطموسة فى بن .
(١١) كذا فى بن ، و الكلمة فى بن : راضى .
(١٢) فى بن : بسناها (!!) .

ما هذه؟ قال: ابنتي التي زوجتك[1] بها[2]، عافاك الله[2]، و هي على ما وصفت و شرطت لك بحضرة العدول و رضيت بها. فقال: ويلك [3]أحق ما تقول[3]؟ قال البقال: أمها[2] طالق ثلاثا إن كان له ابنة[2] سواها. فعند ذلك طلقها [4]المفتي بالثلاث و قال[4]: اردها إلى منزلك و أنت في حل من الخمسين[2] دينار المعجلة، و اردد إلى[4] الصداق المؤجل. ففعل البقال له ذلك[4]، و بقي المفتي متفكرا فيما جرى [5]شهرا كاملا[5]. فلما كان [4]بعد الشهر، و إذا بتلك المرأة أتت[4] في أحسن ما تكون من هيئتها الأولى، فسلمت على المفتي، فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت[6]: ما حملك أنت على ما صنعت، غررتنا برجل فقير، زوجتنا به بحيلتك، [4]فكان جزاؤك[4] مني أن[7] احتلت[8] عليك، و أغرمتك خمسين دينارا حتى لا تعود تغرر ببنات الرؤساء الكبراء[9]، و تزوجهن

---

(١) في بن: ازوجتك.

(٢) الكلمة مطموسة في بن.

(٣-٣) كذا في بن، و الجملة في بر: اتق الله.

(٤-٤) العبارة مطموسة في بن.

(٥-٥) في بن: مدة شهرين كاملين.

(٦) في بن: قالت.

(٧) ساقطة من بر و واردة في بن.

(٨) في بن: اقبلت.

(٩) الكلمة ساقطة من بن.

بحيلتك للفقراء[1]، و تميل[2] إلى [٢٦٩: ب] الخلاعة[3]، بسومك[2] تلك[4] البضاعة، التى لا تباع و لا تشترى، بين سائر[4] الورى، فواحدة بواحدة جزاء. فبهت المفتى من كلامها، [5]و انصرفت تضحك من توبيخها له و ملامها، ثم أنها سعت فى خلاص نفسها من زوجها الفقير و قالت له: امض بالخيبة يا حقير، و عادت إلى المفتى و قالت له: قد طلقنى الذى احتلت له[5]، فان رغبت فى فأنا بك راضية، و لك جارية، و يكون ما أخذته بنت البقال نقدى، أشهد لك بقبضى له، و يكون لتلك المسكينة، تقنع[6] به [7]على ما بليت به[7]، [8]و تصدقنى صداقها[8] المؤجل إن اخترت. فقال: حبا و كرامة. فتزوجها[9] بعد انقضاء[10] عدتها، و دامت[11] له مودتها و عشرتها ٢.

---

(١) فى بن: للفاليس.

(٢) الكلمة مطموسة فى بن.

(٣) فى بن: الخلافة.

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

(٥-٥) فى بن: ثم قالت... (مطموسة)... كلمتك و مضيت إلى زوجى فآجرته إلى أن طلقنى و الآن قد انقضت عدتى.

(٦) فى بن: تنتفع.

(٧-٧) ساقطة من بن.

(٨-٨) مطموسة فى بن.

(٩) فى بن: فتزوج بها.

(١٠) فى بن: وفاء.

(١١) كذا فى بن، و هى فى بر: و دام.

[النخعى عن العدة]

[1]وسأذكر ما قاله[1] النخعى فيما[2] [3]سئل عنه عن العدة إن شاء الله تعالى[3] . سئل النخعى هل للرجل عدة[4] ؟ قال : نعم عـــدة [5]واحدة وعدتان[5] وثلاث عدد . قيل : كيف ذلك رحمك الله ؟ قال : إذا كان للرجل أربع نسوة[6] ، فطلق الواحدة منهن طلقة سنية . فليس له أن يتزوج غيرها[7] حتى تنقضى عدتها ، لأنها فى حكم[8] عصمته ما دامت فى العدة ، فلا يحل له[8] أن [9]يملك خمسة فى عدة[9] . والعدة الثانية[10] إذا طلق زوجتـــه ، فأراد نكاح أختها ، [11]فيتربص هو[11] حتى تنقضى

(١-١) فى بن : وإذ قد ذكرت العدة فأذكر ما قال .

(٢) فى بن : فيها .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : من عدة يعتد بها .

(٥-٥) فى بن : و يعتد عدتين .

(٦) الكلمة مطموسة فى بن .

(٧) فى بن : بغيرها .

(٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٩-٩) فى بن : يجمع خمسا فى عصمته .

(١٠) فى بن : الثالثة .

(١١-١١) فى بن : وهى قد طلقها طلقـة سنية ، فليس له أن يتزوج أختها حتى تنكح أختها حتى تنقضى عدة أختها فعليه ... (مطموسة) .

عدتها، فهذه عدتان. و أما العدة الثالثة: فالرجل يكون له زوجة، ولها ابن من غيره، فمات ابنها الذى هو من غيره، فيؤمر ذلك[١] الرجل باعتزال زوجته قرا واحدا و ذلك حتى تستبرأ. و ليعلم أنها حامل أم لا، [٢] لأنها إن كان [٢] يوم مات ابنها حاملا فقد وجب للحمل ميراثه فى [٣] أخيه المتوفى لأمه، إذ هو أخوه لأمه إذا خرج و استهل صارخا، فيكون له السدس مما ترك أخوه. و إن كانا اثنين[٤] كانا لهما الثلث ذكورا كانوا[٥] أو أناثا[٦].

و يجب[٧] الاعتناء بالنظر فى العدة، لأن الله سبحانه و تعالى أكد ذلك بقوله: "و أحصوا العدة و اتقوا الله ربكم[٨]" على خلاف بين المفسرين من المخاطب بذلك، هل الحكام أو المطلقون و هو الأظهر أو المطلقات. و اختار بعضهم أن الأمر بالإحصاء يتناول الجميع لأن لكل واحد منهم تعلقا بذلك.

و العدد ثلاثة: عدة الطلاق و عدة الوفاة[٩] و الاستبراء. و الأولان

---

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٢-٢) مطموسة فى بن.
(٣) فى بن [٢٠٤: الف]: من.
(٤) فى بن: اثنتين.
(٥) «كانوا» فى بر قبل «ذكورا» و بعدها فى بن.
(٦) و زيد فى بن: انتهى. (و ذلك للدلالة على أن الكلام عن العدة فى بن انتهى و دخول الكاتب فى موضوع فقهى آخر).
(٧) ابتداء من هنا يسقط الكلام الباقى فى الموضوع من بن لآخر هذا المجلد.
(٨) قرآن كريم ٦٥: ١. (٩) فى الأصل بر: الوفا.

مذكوران فى القرآن . قال الله تعالى : "و المطلقت يتربصن بانفسهن ثلٰثة قروء[١]" . و قال : "و الّٰئ يئسن من المحيض من نسائكم[٢]" الآية . و قال سبحانــه و تعالى : "و الذى يتوفون منكم و يذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر و عشرا[٣]" . و هو خبر وقع موقع الأمر . قال اللخمى : و المعتدات خمسة عشرة : ذات حيض ، و ذات حمل ، و صغيرة لم تبلغ الحيض ، [٢٧٠ : الف] و مسنة قعدت عن الحيض ، و شابــة متأخر حيضها ، و مستحاضة ، و مرتابة ، و مرضع ، و صغيرة ابتدأت العدة بالشهور ثم حاضت قبل أن تخرج من عدتها ، و يائسة ذات حيض ، و مستحاضة ترى الحيض ، و مستحاضة ارتابت ، و مرتـابة بحس بطن ، و مرتـابة لا بحس بطن . قال ابن رشد : العدة تجب بأحد وجهين : إما بخلوة تعرف ، و إما باقرارها على نفسها بالمسيس . قال فى المدونــة : و إذا كان الصبى لا يولد لمثله ، و هو يقوى على الجماع ، فظهر بامرأته حمل لم يلحق به ، و تحــد المرأة ، و إن مات هذا الصبى لم تنقض[٤] عدتها من الوفـاة بوضع حملها ، و عليها أربعة[٥] أشهر و عشر من يوم مات . قوله تعالى : "يٰايها الذين اٰمنوا اذا نكحــتم المؤمنت ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها[٦]" .

(١) قرآن كريم ٢ : ٢٢٨ .
(٢) قرآن كريم ٦٥ : ٤ .
(٣) قرآن كريم ٢ : ٢٣٤ .
(٤) فى الأصل : لم تنقضى .
(٥) فى الأصل : أربع .
(٦) قرآن كريم ٣٣ : ٤٩ .

قال ابن الحاجب المالكى: وإذا دخل الصبى وهو لا يقوى على الجماع، ولا يولد لمثله، ثم صالح أبوه أو وصيه، فلا عدة على امرأته ولا صداق ولا غسل عليها إلا إن تلتذ، يعنى إن أنزلت. ومقطوع الذكر والخصيتين. وظاهر المذهب لزوم العدة.

وقال أبو حنيفة والشافعى: يلحق الخصى والمجبوب نسب ولد زوجته إن كان ينزل. وقال أبو يوسف وزفر: يلزمه الولد. ولم يشترطا أنه ينزل. والحمل الذى تقضى العدة بوضعه لا يشترط فيه أن يكون مصورا، بل يصح أن يكون فى أول النطوف. وهو العلقة فما فوقها، كما أن الأمة تكون بوضعها للعلقة أم ولد. وقال أشهب: لا تكون الأمة أم ولد بالدم المجتمع. ولا تنقضى به عدة المطلقة. قيل معنى هذا أن يصب على الدم الماء فلا يذوب - والله أعلم بذلك[1].

---

(١) إلى هنا تنتهى مخطوطة برلين (بر). وقد آثرنا أن نختم المجلد الرابع بتمامها. ويلاحظ أن المسائل الفقهية التى ختم بها الناسخ تلك المخطوطة ساقطة من (بن)، وقد استعاض ناسخ الأخيرة عن ذلك ببعض القصص والفتاوى الفقهية ملأ بها الصفحتين بن ٢٠٤ الف - ب وقد تجاوزنا عنها فى هذه الحواشى لكثرة ما بها من طمس وسقط وخبل يجعلها غير صالحة للنشر. ذلك بالإضافة لقلة أهميتها الموضوعية.

وناسخ (بن) يستأنف الكلام من جديد (٢٠٤: ب) عن «ذكر الرتب العلية التى بعد الإسكندرية وذلك أن الأمير صلاح الدين خليل بن علاء الدين على الشهير بابن عرام نائب السلطنة بالإسكندرية لما (ولى) بالإسكندرية الخ» وفيها يستمر الكلام حتى الورقة (٢٧٦: ب) حيث يختم الناسخ المخطوطة بقوله: تم الكتاب، بلطف الملك الوهاب، بتاريخ مستهل ذى قعدة أحد (شهور) =

سنة

=سنة تسع و ثما(ثمانة) » . و اسم الناسخ غير مذكور ، و المخطوطة بخط نسخ معتاد ، و رغم ما بها من أخطاء لفظية و عبارات ساقطة و طمس بالرطوبة و ترميم بالتجليد ، فان قيمتها عظيمة لما ورد بها من الأقسام التى سقطت من مخطوطة برلين و التى أكملنا بها النص كما يرى من صلب المجلدين الثالث و الرابع.

و صفة مخطوطة الهند أن عدد أوراقها ٢٧٧ ورقة ، و بكل من صفحاتها ٢٧ سطرا و مقاسها ١٧٠ × ٢٠٠ مليمترا . و هى مصورة فى معهد إحياء المخطوطات العربية تحت رقم القيد ٣٠٨٥ ص ١/٢٨٢ ، و المكتبة خدا بخش پتنه تحت رقم ٢٣٣٥ . راجع « فهرس المخطوطات المصورة » جزء ٢ (التاريخ) ص ٣٠ - ٣١ .



خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الرابع من كتاب الإلمام للعلامة محمد بن قاسم بن محمد النويرى رحمه الله يوم الأحد الحادى و العشرين من شهر رمضان المكرم سنة ١٣٩٠ ﻫ المطابق ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٧٠ م . و الجزء الرابع هو آخر ما جاء فى مخطوطة برلين . اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه الأستاذ الفاضل المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطيه - أبقاه الله للخدمة العلمية . و عنى بتنقيحه و مراجعة النسختين راقم هذه الخاتمة تحت إدارة الحسيب اللبيب صاحب الفضيلة المدير السيد حامد على العباسى عم كرمه الدانى و القاصى .

و فى الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و هو حسبنا و نعم الوكيل ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم . و صلى الله على خير خلقه و نبيه الكريم سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد عظيم الدين غفرله
(كامل الفقه بالجامعة النظامية)
المصحح بدائرة المعارف العثمانية